

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري - تيزي وزو-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



التخصص: اللغة والأدب العربي.

الفرع: النحو العربي

مذكرة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة: ويزة أعراب

الموضوع:

تقويم الفكر النحوي للسهيلي من خلال كتابه
(نتائج الفكر في النحو) في ضوء علم اللغة الحديث
- دراسة تحليلية تأصيلية-

لجنة المناقشة

- أ.د صالح بلعيد، أستاذ التعليم العالي، جامعة تيزي وزو..... رئيساً.
أ.د عبيد عبد الرزاق، أستاذ محاضر صنف (أ)، جامعة الجزائر (٢)..... مشرفاً ومقرراً.
أ.د السعيد حاويزة، أستاذ محاضر صنف (أ)، جامعة تيزي وزو..... عضواً ممتحناً.

تاريخ المناقشة: ٢٠١٢/٠٢/٠١

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تعتبر الأندلس الجسر الرابط بين الحضارة الغربية والحضارة العربية الإسلامية، فهي دولة عربية إسلامية في بلاد النصارى، وهذه المنطقة لو حددناها لغويًا فنجد فيها عدة لغات عربية، وإفريقية، وبربرية... إلخ ففيها خليط من الأجناس البشرية، وخليط من اللغات، فلعل هذا من بين الأسباب الكثيرة التي جعلت البحث اللغوي يزدهر في هذه البلاد، فرغم الظروف السياسية القاهرة، ودفاعاً عن لغة القرآن، نجد الكثير من شيوخ الأندلس اهتموا بتدريس اللغة العربية، حفاظاً على الدين الإسلامي، والقرآن الكريم، ومن بين هؤلاء الشيوخ نجد أبا القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن (أحمد بن أبي) الحسن الخثعمي ثم السهيلي - رحمه الله - (ت ٥٨١هـ)، الذي لم يدخر جهداً في تبين موقفه من لغة القرآن، فعند الإمام السهيلي من أراد العلى والعلم فعليه بالعربية، ولغيرته على هذه اللغة فهو يقدم لنا كتابه " نتائج الفكر في النحو"، الذي قمت بدراسته في ضوء علم اللغة الحديث.

إنّ أول من قام بتحقيق كتاب نتائج الفكر في النحو هو الدكتور محمد إبراهيم البناء، وأما الكتاب - نتائج الفكر في النحو - الذي أنوي دراسته فقد أعاد تحقيقه وعلق عليه كل من: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ولقد اخترت إنجاز دراسة في الكتاب - نتائج الفكر في النحو - في ضوء علم اللغة الحديث معتمدة أكثر على النظرية الخليلية الحديثة، رغبة مني في تقريب الدرس النحوي العربي من عصرنا، وكذلك من أجل التعرف على التراث العربي الأصيل، ومدى مقارنته للفكر اللغوي المعاصر، والتعرف من خلال الكتاب على منهج السهيلي في النحو، ودراسة المسائل المعروضة في الكتاب في ضوء الدرس اللغوي الحديث. وكذلك البحث في المصطلحات، والدلالة، وقضية العامل. وعليه فقد طرحت الإشكالية التالية: إنّ المسائل التي درسها السهيلي في الكتاب لم تتعلق بجميع القضايا النحوية المعروفة فلماذا اختار تلك المسائل بالضبط؟ إلى أي حد يقترب فكره إلى الدرس اللغوي الحديث؟ وهل حقا وفق في النتائج التي توصل إليها؟

من الفرضيات المتعلقة بالبحث نذكر: وجود فكر نحوي خاص بالسهيلي، واقتراب طريقة تحليله النحوي من الدرس اللغوي الحديث، ووجود مصطلحات له سبق إليها.

وعليه قسمت البحث إلى:

تمهيد: وقسمته إلى:

المبحث الأول: قمت بدراسة الظروف السياسية والاجتماعية التي نبغ فيها

الأستاذ السهيلي،

المبحث الثاني: وضعت فيه ترجمة للإمام السهيلي؛

الفصل الأول: قمت بدراسة تطبيقية على الكتاب - نتائج الفكر في النحو - في ضوء علم

اللغة الحديث وفيه درست:

المستوى النحوي، تناولت فيه دراسة أقسام الكلام لدى القدماء ثم لدى الإمام السهيلي، وأخيراً لدى المعاصرين، وأدرجت فيه المصطلح النحوي عند الإمام السهيلي، قارنت بين مصطلحات الإمام السهيلي والنحاة العرب القدماء ومنهم "سيبويه" من خلال كتابه "الكتاب"، ومع "الخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال الكتاب المنسوب إليه " الجمل في النحو"، وابن الأنباري من خلال كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" من أجل الوصول إلى تحديد مصطلحات الإمام السهيلي أهي بصرية أم كوفية؟ فربما من خلال المصطلحات يتحدد لنا مذهب النحوي؟ وأتبعته مباشرة بنظرية العامل عند الإمام السهيلي؛

الفصل الثاني: درست **المستوى الدلالي** معتمدة في ذلك كتب على علم الدلالة وتطرقت إلى بعض المسائل التي ذكرها الإمام السهيلي وقمت بمقارنتها بالمسائل المذكورة في علم الدلالة، ومن بين المسائل أذكر: مسألة المعنى، التطور الدلالي، الترادف...إلخ؛

الفصل الثالث: تعرضت **لمستوى التركيبي** حيث حاولت دراسة الكتاب من خلال النظرية الخليلية الحديثة؛

الفصل الرابع: تطرقت إلى **المستوى الصوتي** الذي درست فيه آراء السهيلي في ضوء علم اللغة الحديث، ومن بين المسائل التي عالجتها أذكر على سبيل الأمثلة لا الحصر: الحركة والسكون(خاصة من حيث ما ذكره الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح) وخصائص بعض الحروف...وإلخ.

وللوصول إلى نتائج مقبولة نوعاً ما استعملت المنهج الوصفي التحليلي حيث ذكرت نصوصاً من كتاب " نتائج الفكر في النحو" وقمت بتحليلها في ضوء علم اللغة الحديث، فاستعملت تقنية الوصف في ذكر النصوص وتفسيرها دون نقدها، ثم حللتها باستعمال تقنية التحليل.

ومن بين الصعوبات التي صادفتها، ربّما لا يجب تسميتها صعوبات لأنها إشكالات جعلتني أتعرف أكثر على فكر الإمام السهيلي، فإذا نظرنا في العنوان " نتائج الفكر في النحو " نفهم أنه عبارة عن حوصلة أو نتائج توصل إليها بعد طول بحث! فالموضوع شائك ومتشعب ولكن العجيب في الأمر أن يبسط السهيلي هذا الموضوع في كتاب، حيث نجد المحتوى عبارة عن نتائج نراها للوهلة الأولى بسيطة ولكن كلما أمعنا النظر فيها دخلنا بحراً عميقاً، فبجملته يلخص معاني كثيرة! ألا يدل هذا على تبحر العالم الفذ كما يقول عنه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح فقد استطاع أن يلخص كلامه في ألفاظ معدودة ولكن المعاني بحار عميقة فهذا يدل على ذكاء الإمام السهيلي وإلمامه بأسرار اللّغة، أوليس كتاب نتائج الفكر مبني على نظرية اللفظ والمعنى؟ نعم! وقد جسد الإمام هذا أفضل تجسيد فهو لا يتحدث عن اللفظ والمعنى فقط بل طبق كلامه في هذا الكتاب فكما يقال خير الكلام ما قلّ ودلّ؟ وبعد:

فإني أتوجه بجزيل الشكر والامتنان لله تعالى، الوهاب المنان، الذي أعانني ووفقني، وسهل لي الصعاب، وفتح لي أبواب العلم، وأسأله أن يرزقني الزيادة فيه ما حبيت.

ثم الشكر كل الشكر لأستاذي المشرف الدكتور عبد الرزاق عبيد، الذي لم يبخل علي بوقت أو جهد، والذي صبر معي وتفهمني طوال فترة البحث، فجزاه الله عنى خير الجزاء، وجعل ذلك في موازين حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون.

كما أتوجه بالشكر إلى جامعتي؛ جامعة مولود معمري بتيزي وزو، ممثلة في رئيس قسم اللّغة العربيّة، ورئيس الشعبة، وعمال المكتبات، وجميع القائمين عليها، ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في بناء هذا البحث العلمي من قريب أو بعيد،

وختاماً، أضع بحثي بين أيديكم، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، وما كان فيه من نقص أو خلل أو قصور، فمن نفسي والشيطان؛ والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

المبحث الأول: الظروف السياسية والاجتماعية في القرن السادس الهجري: أردت دراسة هذا العصر لأنه العصر الذي عاش فيه الإمام السهيلي، ففي هذا القرن قامت دولتان عظيمتان في الأندلس والمغرب وهما: دولة المرابطين ودولة الموحدين، فكان زعيم الدولة المرابطية يوسف بن تاشفين، وكان عبد المؤمن زعيم دولة الموحدين.

١- **المرابطون في الأندلس (٤٩٣ - ٥٤١هـ):** لما هدد النصارى إمارات الطوائف بالأندلس، واستتجد هؤلاء بالمرابطين في المغرب وقاموا بصد النصارى معاً، ثم انقلب المرابطون ضد أمراء الطوائف، ونظراً لهذه الظروف فلم تستقر الحياة في الأندلس في عصر يوسف بن تاشفين - توفي سنة ٥٠٠هـ - إلا في السنوات الأخيرة من حكمه، وهذا الاستقرار كان نتيجة عدل واحترام يوسف بن تاشفين وتطبيقه لأحكام الشريعة، ويقول صاحب الموسوعة الميسرة " أما دور يوسف بن تاشفين في الأندلس فحاسم، فلولا تدخله وتمكنه من هزيمة النصارى في موقعة الزلاقة وغيرها لضاع أمر الأندلس الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وقد امتد عمر الأندلس نتيجة للتدخل المرابطي أربعة قرون أخرى بين مدّ وجزر وزيادة وانحسار وحرب وسلم ونصر وهزيمة.^١ وبعد وفاة يوسف بن تاشفين تولى الحكم ابنه علي ويقول عنه حسين مؤنس:

- **علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠هـ - ٥٣٣هـ / ١١٠٧م - ١١٣٨م):** " خلف يوسف ابنه علي، وكان شاباً مكتمل التكوين في نحو الخامسة والثلاثين من عمره، وكان قد تدرّب على شؤون الحكم والحرب وسياسة الدولة في أيام أبيه، ولهذا فقد سار بأمور دولته سيراً حثيثاً إلى الأمام، وسجل أيامه بين عظماء تاريخ المغرب الإسلامي.^٢ وكما نلاحظ فإنّ مرحلة الطلب عند الإمام السهيلي كانت في هذه الفترة وهي الفترة التي ولد فيها، وكبير، حيث ولد سنة ٥٠٨هـ، وتوفي ٥٨١هـ، وعليه فعمره في هذه الفترة كان حوالي ٢٥ سنة. أما من الناحية العلمية في هذه الفترة فقد تبع علي طريقة أبيه في الحكم حيث يقول حسين مؤنس "...وقد ظل الاتجاه الثقافي العربي للحركة كلها مستمراً، ويتمثل فيما يسمى بسيادة الفقهاء في دولة المرابطين، فقد كان لهم دائماً مكان ممتاز في الدولة، وفي بعض الأحيان أخذ هذا المكان صورة سياسية، وقد نقد كثير

^١ - حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ - وفكر وحضارة وتراث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ط١، ج٢، ص ٧٧.

^٢ - نفسه، ص ٧٧.

إلى المرابطين وخاصة إلى علي بن يوسف بسبب سلطان الفقهاء في الدولة، ولكن هذا الاهتمام مفتعل ومبالغ فيه، فلم يكن للفقهاء في دولة المرابطين من السلطان أكثر مما كان في غيرهم من الدول، ولكن الذي لاشك فيه هو أنّ أولئك الفقهاء قاموا بعمل تعريبي واسع المدى في أنحاء دولة المرابطين فساروا خطوة واسعة بما بدأه الأدارسة في هذا الاتجاه.¹ ويقول كذلك "وقد كان لأمراء المرابطين اهتمام كبير باللغة والأدب والنثر خاصة، ويعتبر العصر المرابطي العصر الذهبي للنثر الفني في المغرب والأندلس، ففي ذلك العصر ظهر فطاحل الناثرين وكتاب الرسائل من أمثال أبي بكر بن الجد وأبي محمد بن أبي الحفال وأخيه أبي مروان وأبي بكر بن القبطورنة. وقد أكثر المرابطون من إنشاء المساجد في بلادهم، حتى قيل إنّ يوسف بن تاشفين خطب له على ٦٠٠ منبر، والمساجد كما تعلم مراكز للعلم العربي الإسلامي."² فكما نلاحظ فهذه المرحلة عظيمة للعلم والعلماء، رغم الظروف السياسية الصعبة التي تعيشها البلاد.

٢- **الموحدون في الأندلس ٥٤١ - ٦٦٨ هـ**: وفي سنة ٥١٤ هـ أعلن محمد بن تومرت إمام الموحدين دعوته على المرابطين، وفي سنة ٥١٦ هـ ثار عليهم في المغرب، و يصف صاحب موسوعة تاريخ الأندلس محمد بن تومرت، قائلاً: "...وقد كثر جمع محمد بن تومرت وانتشر صيته كولي من أولياء الله وكان هو فقيهاً عالماً كبيراً لا يتصدى له فقيه إلا غلبه، وكان يهتم اهتماماً شديداً بإظهار علمه الواسع وجهل الفقهاء الذين يحاولون الاعتراض على ما كان يتظاهر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر."³ وبويع عبد المؤمن بن علي زعيم الموحدين سنة ٥٢٦ هـ، ولما مات علي بن يوسف اضطربت أحوال الدولة، وشهد غرب الأندلس عدة ثورات، وسقطت بعض قواعده سنة ٥٣٩ هـ، وفي نفس السنة ثارت قرطبة مرة أخرى، وكذلك غرناطة ومالقة وأعلنت جيان ورندة وشريش وقادس حكومات مستقلة، ويصور المراكشي أحوال الأندلس في هذه الفترة بقوله: "فإنه لما كان آخر دولة المسلمين أبى الحسن علي بن يوسف، اختلت أحوالها اختلالاً مفرطاً، أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم، وميلهم إلى الدعة، وإيثارهم الراحة، وطاعتهم النساء، فهانوا على أهل الجزيرة لبلادهم، وكان أيضاً من أسباب ما ذكرناه من اختلالها، قيام ابن تومرت بسوس، واشتغال علي بن

1 - نفسه، ص ١٠١.

2 - نفسه، ص ١٠١.

3 - نفسه، ص ٨٧.

يوسف به عن مراعاة أحوال الجزيرة. ولما رأى أعيان بلاد تلك الجزيرة ما ذكرناه من ضعف أحوال المرابطين، أخرجوا من كان عندهم من الولاة، واستبد كل منهم بضبط بلده، وكادت الأندلسُ تعود إلى سيرها الأولى، بعد انقطاع دولة بني أمية^١. هذا ما نقلناه عن إبراهيم البنا في حين يقول حسين مؤنس " ولقد اجتهد محمد بن تومرت في توجيه الاتهامات إلى المرابطين دون حق، وجاء مؤرخوهم فحملوا على المرابطين حملة ظالمة، ومن أولئك الظالمين عبد الواحد المراكشي صاحب كتاب المعجب الذي قال في حق علي بن يوسف كلاماً لا تؤيده حقيقة واحدة من حقائق الواقع، فأخذ المستشرق راينهارت دوزي كلام عبد الواحد المراكشي واعتمد عليه في توجيه النقد لعلي بن يوسف والمرابطين عامة، فاتهمهم بالتخاذل وقلة الإيمان والضعف والخضوع للنساء والانصراف إلى اللهو، وإذا كان عبد الواحد المراكشي مؤرخاً مأجوراً لدى الموحدين ومن بعدهم فإن دوزي قبل ذلك بدافع التعصب والكراهية للإسلام وأهله،... يهاجم الإسلام بروح متعصب مليء بالحق والكراهية، وهذا الرجل الذي اتهم المرابطين بالضعف والتخاذل امتدح المعتمد به عباد وهو نموذج الضعف والتخاذل والتدهور الأخلاقي، والسبب في ذلك أن كل ما يضعف الإسلام والعرب يسر دوزي ويعجبه...^٢ " ومن بين الإدعاءات أيضاً يقول: "... وهنا نسمع أنه هاجم ما كان يسميه بتجسيم المرابطين، والتجسيم معناه إعطاء الله تعالى صورة مادية أو ملموسة كالقول بأنه له سبحانه وتعالى وجه ويدان وعينان أو أن له صوتاً يُسمع وما إلى ذلك، وما كان المرابطون يقولون بذلك، لأنهم كانوا جماعة سنية مجاهدة تعمل ولا تتكلم أو تكتب، فلم يكن لأفرادها رأي خاص في أي ركن من أركان الإسلام،"^٣. ويقول إبراهيم البنا إن " دولة الموحدين "تقوم على " شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^٤، في حين يخبرنا حسين مؤنس أن هذا إدعاء أيضاً، ومنذ سنة ٥٣١هـ ووفود الأندلس ترد على عبد المؤمن بالبيعة، مما كان له أكبر الأثر في إنكفاء عزمه على فتح الأندلس، التي كان يعدها جزءاً لا يتجزأ من مملكة الموحدين، ورثة مملكة المرابطين، وقد استغرق ذلك فترة من الزمن، ذلك أن بعض

¹ - محمد إبراهيم البنا، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ط١، ص ٩-١٠.

² - حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ- وفكر وحضارة وتراث، ص ٩٨-٩٩.

³ - نفسه، ص ٨٧.

⁴ - محمد إبراهيم البنا، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، ص ١١.

المدن ظلت مستعصية عليهم، فتم لهم فتح إشبيلية سنة ٥٤٢ هـ وقرطبة سنة ٥٤٣ هـ—
ومالقة موطن السهيلي سنة ٥٤٧ هـ، وغرناطة سنة ٥٥١ هـ.^١ وعليه فأنا لا أريد الخوض
في هذا الصراع ولكن ذكرت هذا فقط لإظهار الظروف التي عاش فيها الإمام السهيلي.

• خلفاء عبد المؤمن بن علي:

١- أبو يعقوب يوسف ٥٥٨ هـ - ٥٨٠ هـ / ١١٦٣م - ١١٨٤م: لم يكن يوسف بأكبر
أبناء عبد المؤمن ولكنه كان أصلحهم بحسب ما رأى شيوخ الموحدين، ولكن في حدود
الثلاثين عندما تولى الأمر، وكان قد قضى سنوات طويلة في الأندلس عاملاً على إشبيلية
لأبيه فتدرب على قيادة الأمور، وكان ذا ثقافة واسعة وأيمان متين، ومع أن ملكاته لم تكن
بالمستوى الذي كانت تتطلبه ظروف إمبراطورية واسعة كإمبراطورية الموحدين إلا أنه
بذل أقصى جهده في القيام بأمرها وساس الأمور في حزم واجتهاد فوفق في المحافظة
على التراث الضخم الذي سار عليه.^٢ وهذه الفترة هي أعظم فترة للإمام السهيلي حيث
فيها تحول من مرحلة الطلب إلى مرحلة العطاء، وكما ذكرنا من قبل فإن تلاميذه كثر.
وهذه ربما تكون المرحلة التي رحل فيها إلى مراكش.

٢- أبو يوسف يعقوب المنصور، الدولة الموحدية في ذروتها ٥٨٠ هـ - ٥٩٥ هـ /
١١٨٤م - ١١٩٩م: تعتبر السنوات الخمس عشر التي حكمها أبو يوسف يعقوب
المنصور ثالث خلفاء الموحدين العصر الذهبي للدولة الموحدية والذروة التي وصل إليها
التطور السياسي في المغرب نحو التوحد وإقامة الدول الكبرى، ولقد كان ذلك العصر
قصيراً لا يتناسب مع دولة ضخمة مترامية الأطراف غزيرة الثروة والموارد مثل الدولة
الموحدية فإن خلفاء الموحدين حكموا بلاداً تضاهاي ما حكمه العباسيون في أوج
قوتهم،^٣ وهي أعظم مرحلة في تاريخ الموحدين، ويقال إن السهيلي بقي ثلاث سنوات
في مراكش وتوفي في سنة ٥٨١ هـ مما يعنى أنه عاش سنة من هذه الفترة، رحمه الله.
ويقول إبراهيم البناء: "ولم ينقطع الصدام بين النصارى والعرب. في عهد الموحدين، ولم
يزل الحال كذلك حتى استطاعوا في النهاية حصر دولة الإسلام بالأندلس في جزء صغير
وهو مملكة غرناطة، وذلك سنة ٦٦٨ هـ، ويعزو المؤرخون إخفاق الموحدين في المحافظة
على رقعة الوطن الإسلامي بالأندلس إلى عدّة أسباب، منها: ضعف القيادة، وافتقار

١ - نفسه، ص ١١.

٢ - حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ - وفكر وحضارة وتراث، ج ٢، ص ١٠٩.

٣ - نفسه، ص ١١٢.

جيوش الموحيدين إلى التنظيم، واضطراب وسائل التموين، كما يرجع كذلك إلى تضاعف قوة النصارى، واستنزافها المستمر لجهود الموحيدين¹ ويقول صاحب الموسوعة " تسمى فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحيدين بعصر الطوائف الثاني، ويبدأ من سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م وهي السنة التي قُتل فيها تاشفين بن علي ثالث أمراء المرابطين عند وهران وتنتهي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م وهي السنة التي تمكن الموحدون فيها من استعادة المرية بعد سقوطها في يد النصارى، وباستعادة المرية توحد ما بقي من الأندلس مرة أخرى تحت راية الموحيدين.^٢ وهذه لمحة موجزة للحياة السياسية والاجتماعية في القرن السادس وهي الفترة التي عاش فيها الإمام السهيلي ففي فترة المرابطين كان في مرحلة الطلب وفي زمن الموحيدين هي فترة العطاء.

٣- النشاط اللغوي في الأندلس في القرن السادس:

أ- مقام اللغة عند الأندلسيين: يقول ألبير حبيب مطلق: " قد تحملنا الصورة السابقة على التوهم بأن اللغة العربية تضععت أمام هذه المنافسة القويّة التي كانت تلقاها من العجمية ومن اللهجة العامية الداريجة ولولا التراث الأندلسي الغزير الذي وصلنا، ولكنها كانت على نأبي هذا القطر - أحسن حالاً من أكثر بلدان المغرب. ولذلك أعتقد أنّ عناية الأندلسيين باللغة كانت بالغة وهذا يظهر في أسلوب التعليم الذي اتبعوه للمبتدئين، وأنا استمد هذا من شهادة ابن خلدون لاعتقادي أنّه يصور ما كان عليه الحال في العصور الأولى من تاريخ التعليم بالأندلس فهو يحدثنا أنّ الأندلسيين يجعلون القرآن أصلاً في التعليم ولكنهم لا يقفون عند ذلك كما يفعل سائر أهل المغرب وإنما يخلطون في تعليمهم رواية الشعر والترسل والأخذ بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط: " إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما^٣ ولأنّ الإمام السهيلي من أهل الأندلس فنجدّه حافظاً للقرآن، شاعراً، مفسراً، نحويّاً...

¹ - محمد إبراهيم البناء، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، ص ١٢.

² - حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ- وفكر وحضارة وتراث، ص ١٠٢.

³ - البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الآداب إلى دائرة اللغة العربية، الجامعة الأمريكية في بيروت، أيار ١٩٦٥، ص ٢٢-٢٣، نقلاً عن المقدمة، ج٣، ص ١٢٤٠.

ب- مدرسة النحو: ويعتبر النشاط اللغوي الذي عرفته الأندلس في عصر المرابطين امتداداً لعصر الطوائف، كما كان هو أيضاً امتداداً للحركة العلمية المزدهرة التي رعاها الحكم المستنصر في منتصف القرن الرابع، وفيها شهدت الأندلس قيام مدرستها في النحو على يد القالي وأبي عبد الله الرباحي.¹ وقبله في القرن الثالث، حيث يقول الأستاذ ألبير حبيب في حركة التأليف اللغوي حتى أواخر القرن الثالث، بعد أن فرغ من الحديث النشاط اللغوي الشفوي فيقول: " ذلك هم حال النشاط الشفوي في ميدان اللغة، فإذا ذهبنا نلتمس النشاط في التأليف وجدنا ثمرة حفزت إليها مجالس التدريس من ناحية، والاحتذاء للكتب المشرقية المهاجرة من ناحية أخرى، وأكبر ما يميز التأليف اللغوي في هذه الفترة عدم انفصاله عن الحديث.² ويقول كذلك عن بطلان العلل النحوية: "... التي جاء بها ابن حزم إبطاله العلل النحوية، فقد قال في كتاب "التقريب"، " وأما علم النحو نال مقدمات محفوظة عن العرب الذين تزيد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم، وأما العلل فيه ففاسدة جداً". فقوله بفساد العلل لمحة تقضي على أكثر أجزاء النحو، ولكنه لم يفسر كيف يمكن أن يكون هناك نحو دون تلك العلل. وما كان ابن حزم في هذا إلا متأثراً بموقفه الظاهري من أهل القياس وإبطاله لأحكام العلية جميعها في الشرائع". أما الحملة على العلل النحوية والقياس فسوف تغدوان موضوع ابن مضاء في كتابه "الرّد على النحاة" لكن ابن مضاء يمثل عصرًا آخر غير هذا العصر الذي أتحدث عنه".³ ويقول الدكتور إبراهيم البنا ما "يلفت النظر، وعكفوا على كتاب سيبويه حتى حفظه بعضهم، وكان حفظه مظهرًا من مظاهر النبوغ في النحو، كما ذاع كتاب الجمل للزجاجي، الذي حمله إلى الأندلس تلميذه أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر الأنطاكي، المتوفى سنة ٣٦٧ هـ، فاحتفل به الأندلسيون ودارت حوله شروح ومطولات، على أن المدارس اللغوية في الأندلس قد عُنيت تمام العناية بتراث المشرق جميعه، فكتب السيرافي، والرماني، والمبرد، وابن السراج، وابن ولاد، والنحاس، والفارسي، وابن جني، قد نظرها علماء الأندلس، وعرضوها على ميزان النقد".⁴

1 - محمد إبراهيم البنا، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، ص ١٤.

2 - البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ص ٤٣.

3 - نفسه، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

4 - محمد إبراهيم البنا، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، ص ١٥.

ج- شيوخ النحو واللغة في عصر المرابطين: وعلى الرغم من عدم الاستقرار الذي عاشته الأندلس على عهد المرابطين، فقد عرفت الأندلس جماعة من أعلام اللغة والنحو، عبّرت عليهم الدراسة اللغوية بين عصران زاهران، فأدركهم عصر المرابطين وقد فرغوا من الطلب، وقاموا بواجب التدريس والرواية والتأليف، وتخرج عليهم أعلام النحو واللغة في عصر الموحدين، ومن هؤلاء:

- ١- أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤ - ٥٢١)
- ٢- أبو الحسين بن محمد، المعروف بابن الطراوة (ت ٥٢٨)، وهو أستاذ السهيلي، وتجمع المصادر الأندلسية على الإشادة به، يقول الضبي: لم يكن أحد أحفظ منه لكتاب سيبويه ولا أعلم به، ولا أوقف منه عليه.
- ٣- أبو الحسن علي بن خلف الأنصاري، المعروف بابن الباذش (ت ٥٢٨).
- ٤- محمد بن عبد الرحمن بن خلسة اللّخمي النّحوي، من أهل بلنسية.
- ٥- أبو القاسم عبد الرحمن بن الرّمّاك،
- ٦- ومن الأعلام كذلك: أبو القاسم خلف بن يوسف الشنتريني، المعروف بابن الأبرش، قال عنه الضبي: " كان وحيد عصره في علم اللسان، ذا سبق فيه؛
- ٧- أبو عبد الله بن سليمان، المعروف بابن أخت غانم (ت ٥٢٥) ذكره السيوطي^١ الضبي: وكان من المتقدمين في الإقراء لكتب العربية واللغة".
- ٨- ومن أعلام هذه الفترة كذلك: أبو بكر محمد بن عبد الغني بن محمد بن عبد الله بن فندلة، روى عن الأعلام جميع تواليه، كما روى عن غيره، وروى عنه جماعة، وقد توفي سنة ٥٣٣هـ.

وقد درس السهيلي على أغلب شيوخ هذا العصر، كما سيتضح ذلك فيما بعد. واستمر ذلك منذ عهد أبي علي القالي، وقد أشار إلى طبيعة هذه الدراسة ابن خلدون، وهو يتحدث عن الملكة وصناعة العربية، وأنّ الملكة غير الصناعة، قال: " وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم، ولقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم، والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم، فيسبق إلى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التعليم فتقطع النفس لها، وتستعد إلى تحصيلها وقبولها^٢ " ولهذا يندر أن تجد في نحاة الأندلس من لا ينظم الشعر، على عكس

^١ - نفسه، ص ٢٣.

^٢ - نفسه، نقلا عن مقدمة ابن خلدون ج ٤، ص ١٢٧٨، ص ٢٤.

المشاركة الذين نددت طباعهم في الغالب عنه، ولم يكن لهم في جانب الإبداع نصيب مذكور، وكان من ألقاب الأندلس لقب أستاذ، لا يلقب به إلا صاحب الذوق المطبوع، المتمكن في النحو، يقول القفطي في ترجمته ابن الطراوة: " ولا يلقب أحد ببلد الأندلس بالأستاذ إلا النحوي الأديب" وقد لقب به السهيلي.¹ ولقد ذاعت في هذا العصر كتب أبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جنبي، وكان قد حملها إلى الأندلس أبو الحسن علي بن إبراهيم التبريزي سنة ٣٢١هـ، فأخذ عنه² تلك صورة للحياة الفكرية والنشاط اللغوي على عصر المرابطين، وهو العصر الذي قضاه السهيلي في لقاء الشيوخ بين مدن الأندلس، يتبعها صورة مماثلة للحياة الفكرية في عصر الموحدين، وهو العصر الذي استقبل به السهيلي مرحلة التوجيه والتدريس.³

ح- **أعلام النحو واللغة في عصر الموحدين:** ويكفي في هذا المقام أن نقدم بعض أعلام القرن السادس، وهم جيل السهيلي الذين قادوا الحركة اللغوية في النصف الثاني من هذا القرن، ومعنى ذلك أنه يبقى بعد ذلك نحو جيلين في عصر الموحدين (٦٦٨هـ) وهما اللذان عاشا في القرن السابع:

١- أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس العبدي، من أهل قرطبة، في إشارة التعيين: " إمام في النحو، مقدم في علم اللسان، أخذ عنه الجملة، وله على جمل الزجاجي شرح في عدة مجلدات، استعمله الناس، توفي بقرطبة سنة سبع وستين وخمسمائة".

٢- داود بن عبد الله السعدي، من أهل قلعة يحصّب، قال صاحب الإشارة: " آخر النحويين بغرناطة، كان زاهداً، وانتفع به خلق كثير، ومن تلاميذه ابن خروف النحوي، توفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة".

٣- أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري الاشبيلي المعروف بالخدب، في بغية الوعاة: " نحوي مشهور، حافظ بارع، اشتهر بتدريس الكتاب فما دونه، وله على الكتاب طُررٌ مدونة مشهورة، اعتمدها تلميذ ابن خروف في شرحه، وله تعليق على الإيضاح... أخذ الكتاب عن ابن الرماك، وابن الأخضر، وكان يقرئ بفاس.. أجل من أخذ عنه ابن خروف ومُصعب الخشني.. مات في عشر الثمانين وخمسمائة".

1 - نفسه، ص ٢٥.

2 - نفسه، ص ٢٦.

3 - نفسه، ص ٢٩.

٤- أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد ملكون الحضرمي الاشبيلي، قال عنه صاحب الإشارة: "له تآليف حسان، منها كتاب على كتاب التبصرة للصيمري، وشرح الجمل للزجاجي. توفي بإشبيلية سنة إحدى وثمانين وخمسائة، وابن خروف ممن يروى عنه وأبو الشلوبين.

٥- محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد الأنصاري، من أهل مرسية، في إشارة التعيين: "الإمام النحوي، أقرأ سيبويه وأخذ الناس عنه، روى عنه الجملة" شرح إيضاح الفارسي، وجمل الزجاجي، روى عنه الجم الغفير، توفي سنة ست وثمانين وخمسائة".

٦- أبو بكر محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن صياف، من أهل مرسية، ذكر له صاحب الإشارة كتاباً في ألفات الوصل والقطع، ومسائل في آيات القرآن الكريم، وأجوبة لأهل طنجة في أسئلتهم المعربين والنحويين، وشرح فصيح ثعلب، وشرح الأشعار الستة، وتوفي أبو بكر سنة ٥٨٦ هـ.

٧- أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن، المعروف بابن مضاء القرطبي، يقول ابن فرحون: كان مقرئاً مجوداً، مُحدثاً أكثر، قديم السماع واسع الرواية ضابطاً، ماهراً في كثير من علوم الأوائل، متوقد الذهن، متين الدين، حافظاً للغات، بصيراً بالنحو، مختاراً فيه، مجتهداً في أحكام العربية، منفرداً فيها بآراء ومذاهب شذّ بها عن مألوف أهلها، وصنف فيها يعتقد منه كتابه المشرق المذكور، وتنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان... وقد توفي بإشبيلية سنة ثنتين وتسعين وخمسائة".

٨- أبو ذر الخشني، وهو مصعب بن محمد بن مسعود الجبالي الغوي، يقول الذهبي: "صاحب التصانيف، وحامل لواء العربية بالأندلس". ومن مصنفاته شرح السيرة النبوية، وهو شرح لغريب سيرة ابن هشام، وقد طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٣٢٩ هـ وتوفي أبو ذر سنة ٦٠٤ هـ. ولأبي ذر آراء في النحو ذكرها أبو حيان في الارتشاف.

٩- علي بن قاسم بن يونس الاشبيلي، المقرئ، المعروف بابن الزقاق، قال القفطي: أخذ طرفاً من العربية على شيوخ بلاده، وسكن دمشق، وانتقل إلى حلب وأقام بها وتصدر لإقراء القرآن بجامعها.. صنف في النحو شرحاً لكتاب الجمل للزجاجي، في أربع مجلدات كبار، ملكته بخطه، وله مفردات في القراءات وقد توفي في حدود سنة ٦٠٥ هـ.

١ - نفسه، ص ٣٥.

١٠- أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي الاشبيلي، المعروف بابن خروف، قال عنه صاحب الإشارة: " إمام في النحو واللغة، أخذ كتاب سيبويه عن أبي اسحق بن ملكون، وأبي بكر بن طاهر الخدب، له مصنفات مفيدة، شرح كتاب سيبويه شرحاً جليلاً، سماه : تنقيح الأبواب في شرح غوامض الكتاب، وله شرح على كتاب الجمل للزجاجي... وله ردود على أبي زيد السهيلي، وابن ملكون، وابن مضاء... توفي سنة تسع وستمائة".

١١- أبو عمر عبد المجيد الرندي، تلميذ السهيلي، وكان إماماً في العربية، ذكر صاحب الإشارة: " وله شرح الجمل للزجاجي، ورد على ابن خروف منتصراً لشيخه السهيلي" وقد توفي سنة ٦١٦^١.

د- الملامح التي اتسمت بها الدراسة اللغوية في هذه الفترة:

هذا مثل من أعلام اللغة والنحو، الذين عرفتهم الأندلس في النصف الثاني من القرن السادس، وفيما يلي الملامح التي اتسمت بها الدراسة اللغوية في هذه الفترة:

١- **الاتجاه إلى الشرح:** فأعلام هذه الفترة قد تسابقوا إلى شرح كتب النحو، فشرحوا كتاب سيبويه، والجمل، والتبصرة للصيمري، وفصح ثعلب، والإيضاح للفارسي، وشرحوا غريب السيرة، وقد كان هذا المظهر بادياً في العصور المتقدمة، ولكنه برز بروزاً غير مألوف، واقترن بظاهرة الإفاضة في الشرح، فمن ينظر كتاب الجمل للزجاجي، أو كتاب التبصرة للصيمري، أو كتاب الإيضاح للفارسي يجدها مختصرات أعدت لشادين في العربية، وقد شرحوها فأطنبوا، وكأنهم أرادوا أن يدلوا على ثبات أقدامهم ونفاذ خاطرهم في العلم.

٢- **الاتجاه النقدي:** وقد وضح في هذه الفترة، ويمكن تقسيمه إلى ناحيتين:

- ناحية عنيت بالنقد العام لمنهج النحاة، ويمثلها أبو جعفر أحمد بن مضاء، صاحب كتاب الرد على النحاة، وكتاب: تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان، والذي ناقضه أبو الحسن بن خروف بكتابه: " تنزيه أئمة النحو، عما نسب إليهم من الخطأ والسهو"^٢. وكانوا بها وحدها آخذين بمذهب الظاهرية، يقول الأستاذ أحمد كحيل: " الواقع أننا إذا استعرضنا كتب الأندلسيين وتتبعنا آراءهم في النحو، فإننا نجد جمهورهم يعولون على القياس، ويعتمدون

^١ - نفسه، ص ٣٦ - ٣٧.

^٢ - نفسه، ص ٣٨.

عليه إلى حد ما في دعم آرائهم وتقريرها، ولاسيما المسائل التي لم يرد فيها سماع عن العرب والمسائل النظرية.

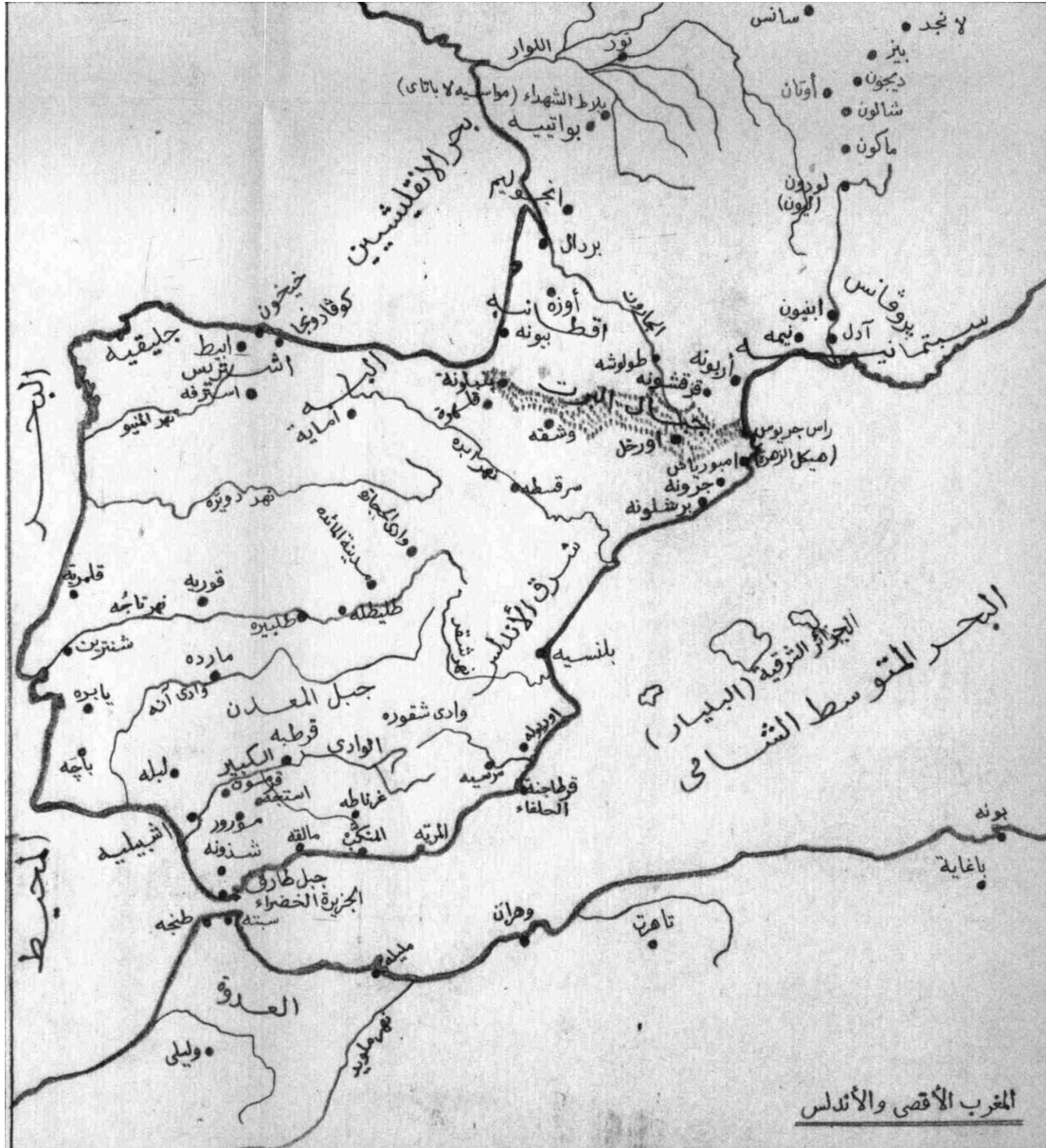
- يقوم المذهب الظاهري على إنكار القياس، ويرى أنّ في القرآن والسنة وعمومياتهما ما يكفي لبيان الأحكام. ولا يبيح القياس إلا إذا ورد نص بتحريم أو تحليل، وبين فيه علته، فحينئذ يجوز أن يُشرك معه في حكمه ما لم ينص عليه، ولكن اتّحد معه في العلة، أما إذا لم يُنص على العلة فليس للمجتهد أن يقول من عنده ثم يقيس عليها. ¹ ولكن كان يوجد بجانب هؤلاء من العلماء من تشدّد في القياس، ووقف عند ظاهر الشواهد، وأغلب هؤلاء ممن أخذ بالمذهب الظاهري في الفقه، كأبي حيان. ² ومن ملامح الحركة اللغوية في هذا العصر ظهورُ الاستشهاد بالحديث، فقد استفاض بين النحاة، وكان من أعلامهم السهيلي وابن خروف اللذين أكثر من الاستشهاد بالحديث. ولم يكن ذلك بدعاً، فقد اعتمد الأندلسيون الحديث منذ قامت لهم مدرسة نحوية، ومن يتتبع الزبّيدي في كتابه "لحن العامة" يجده قد استشهد بالحديث في مواضع كثيرة، ومن المشاركة من سبق إلى ذلك كابن السكيت في كتابه "إصلاح المنطق" وابن جني وابن فارس، على أنّ هذا الأمر لم يكن بارزاً بروزاً واضحاً في هذا العصر، الذي أقبل فيه الناس على الحديث يدرسونه ويحفظونه لا يتخلف عن ذلك واحد منهم. ولقد كان من نتائج تشجيع الموحدين للعلم والعلماء، إقبال الكثير من طلبة المغرب إلى الأندلس في عصرهم، ورحيل الإمام السهيلي إلى مراكش حاضرة الموحدين. "وسطع في هذا العصر من الفلاسفة: ابن الطفيل، وابن زهر، وابن رشد، وابن الرومية، وابن البيطار. واشتهر من الشعراء الرصافي، وصفوان بن إدريس، وحفصة شاعرة غرناطة، وكثر الشعراء بإشبيلية، وكأنّها استعادت أيام بني عباد. وشهد عصر الموحدين من العلماء والمحدثين ما لم يشهده عصر آخر، وقد نشط العلماء للتأليف والتدوين، وكان للنحو واللغة نصيب وافر وأصيل بين هذه المصنفات. ³ وفي عهد الموحدين (٥٤١هـ - ٦٦٨هـ)، أطلقوا حرية التفكير على عكس المرابطين الذين حاربوا الفلسفة وكتب الأصول، ونظراً لكون ملوكهم متعلمين (" ويصف المراكشي الخليفة الثاني أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بقوله: " أعرف الناس كيف تكلمت العرب، وأحفظهم لأيامها ومآثرها وجميع أخبارها في الجاهلية

¹ - نفسه، ص ٣٩. وينظر، أحمد كحيل، النحو في الأندلس، ص ٨٩.

² - نفسه، ص ٤٠.

³ - نفسه، ص ٣٣.

والإسلام، صرف عنايته إلى ذلك، أيام كونه بأشبيلية والياً عليها في حياة أبيه، ولقي بها رجالاً من أهل علم اللغة والنحو والقرآن. منهم الأستاذ اللغوي المتقن أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك، المعروف بابن ملكون¹ فلم يحاربوا العلم، بل شجعوا العلماء والشعراء، فازدهرت إشبيلية، ونشطت المدارس الإقليمية في قرطبة وغرناطة ومالطة وبلنسية ومرسية، مما كان سبباً في نبوغ علماء كثر.



- صورة ضوئية، تمثل خريطة المغرب الأقصى والأندلس -²

¹ - نفسه، ص ٣٠، نقلاً عن المعجب ص ٣٠٩.

² - البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ص ٣٤٤.

وأختم هذه اللّمة القصيرة من تاريخ الأندلس بالخريطة المبينة أعلاه والتي تبين كبر مساحة الأندلس، فهي امتداد بين المغرب في إفريقيا صعوداً إلى أوروبا، ويقول حسين مؤنس: " وعلى هذه الصورة نرى أنّ تاريخ الأندلس في جملته إنّما صراع طويل بين شعب عفا ذي إرادة وحضارة قوية من ناحية وظروف غير مواتية من ناحية أخرى، ففي حين انقطعت الأسباب بين الأندلس وأمّ الإسلام في المشرق كانت الأبواب مفتوحة على مصاريعها بين إسبانيا النصرانية وبلاد أوروبا المسيحية والبابوية، وفي المواقع الحاسمة التي قررت مصير الأندلس نجد أوروبا المسيحية كلها في جانب والأندلس والمغرب الأقصى أحياناً في جانب، وقد كسب المسلمون مع ذلك انتصارات كبرى،¹ ويقول كذلك " وتاريخ الأندلس على هذا قصة صرح متين أقامه العرب بين فكي الأسد وفي قلب بلاد الأعداء، وقصة حضارة زاهرة تعتبر من أجمل وأطرف فصول تاريخ الحضارة العالمية، وتاريخه على هذا صفحة مجيدة من تاريخ العرب العام.² فكما قال فرغم كل هذه الظروف الصعبة نبغ في هذه البلاد علماء يفتخر بهم العالم الإسلامي ومن أمثالهم الإمام السهيلي.

¹ - حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ- وفكر وحضارة وتراث، ج ١، ص ٩.

² - نفسه، ص ٩.

المبحث الثاني: ترجمة السهيلي :

١ - نسبة: ذكرت تراجم كثيرة للسهيلي لكنها متشابهة فيما بينها، وعليه ذكرت ترجمة وفيات الأعيان التي تبدوا إلى حد ما كاملة، حيث يقول أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: " أبو القاسم أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، وهو الداخلى إلى الأندلس. قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: هكذا أُملي علي نسبة الخثعمي السهيلي الإمام المشهور صاحب كتاب "روض الأنف" في شرح سيرة رسول الله ﷺ".^١

٢ - ما يكنى به: لقد اشتهر السهيلي عند من أرخ له بثلاث كنى، وهي أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن، ذكرهما ابن دحية في المطرب وصاحب وفيات الأعيان نقل عنه وغيرهما، وذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ أنه يكنى أيضاً أبا الحسن، ولكن ما اشتهر به السهيلي في كتب النحو وغيرها هو أبو القاسم، وكثير من الأحيان يذكر باسم السهيلي فقط كما في كتاب ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي، المتوفي (ت ٧٤٥هـ). ويقول لسان الدين بن الخطيب: " عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسن بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي مالمقى يكنى أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسين، وهي قليلة، شهر بالسهيلي".^٢ من هذا التعريف نفهم أنّ السهيلي ليس اسمه إنّما اشتهر به، ربّما لأنه ينتمي إلى قرية سهيل الموجودة بمالقة حيث مولده.

٣ - تعريف سهيل: يقول شهاب الدين في نفح الطيب حيث يذكر "سهيل": " وبغربي مالقة عمل سهيل، وهو عمل عظيم كثير الضياع، وفيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل بالأندلس إلا منه".^٣ وعليه فسهيل تطلق على الجبل الذي يرى منه نجم سهيل بمعنى أنّ الكلمة أطلقت على مدلولين وهما الجبل المسمى سهيل، والنجم المسمى سهيل؛ ويقول في موضع آخر: "وأما ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فأكثر من أن يعبر

^١ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت، ج٣، ص ١٤٣.

^٢ - لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة، موقع الوراق، <http://www.alwaraq.net>.

^٣ - شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، بيروت - لبنان، ١٩٦٨، ط١، ج١، ص ١٦٤.

عنه بما يحصره، وقد اجتزت بها مرة، وأخذت على طريق الساحل من سهيل إلى أن بلغت إلى بليش قدر ثلاثة أيام متعجباً فيما حوته هذه المسافة من شجر التين، وإن بعضها ليحتوي جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالأرض، وقد حوت ما يتعب الجماعة كثرة، وتين بليش، هو الذي قيل فيه للبربري: كيف رأيته قال: لا تسألني عنه، وصب في حلقي بالqqة...¹ ومن هنا نفهم أن سهيل عبارة عن منطقة بينها وبين منطقة بليش يوجد تين كثير. ويقول إبراهيم البنا في "سهيل": "أما لسان الدين بن الخطيب فقد ذكرها وقال: حصن حصين، يضيق عن مثله هند وصين...² أما السر في تسمية هذا الوادي أو القرية بسهيل فقد ذكره الحميري وهو يصف مَرَبَلَة وأنها بالقرب من مرسى سهيل فقال: "وهناك جبل مُنيف عال، يزعم أهل تلك الناحية أنّ النجم المسمى سهيلاً يُرى من أعلاه، ولذلك سمي أبو القاسم الأستاذ الحافظ، مؤلف الروض الأنف: السهيلي"³ ويقول إبراهيم البنا: "والحق أن سهيلاً بلدة أسبانية قديمة يرجع تاريخها إلى عهد الرومان، وكانت تدعى Selitana فغيّر المسلمون اسمها إلى سهيل، وأحسب هذا الاسم الإسلامي نشأ عن تحريف لاسمها الروماني، وإلى غربي سهيل يقع حصن سهيل الذي بناه عبد الرحمن بن حكم (ت ٢٣٨) وما زالت المدينة قائمة الآن وتدعى Fuengirola وتقع على البحر الأبيض مباشرة وتبعد عن مالقة بنحو ثلاثين كيلو متراً من ناحية الغرب"⁴، وأما الحصن فقد بقي ثم عدل بناؤه أيام الإمبراطور شارلكانن الطلل القائم اليوم، وإنما هو طلل هذا الحصن المعدل البناء"⁵. ويقول ابن خلكان: "والسهيلي: بضم السين المهملة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام، هذه النسبة إلى سهيل، وهي قرية بالقرب من مالقة، سميت باسم الكوكب لأنه لا يرى في جميع بلاد الأندلس إلا من جبل مطل عليها"⁶ يقول أبي زرع الفاسي، في "الأنيس المطرب في روض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، حين ذكره لسهيل في حديثه عن "الخبر عن

1 - نفسه، ص ٢١٩.

2 - محمد إبراهيم البنا، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، ص ٤٧، نقلاً عن الحل السندسية ١/ ٢٠٤.

3 - نفسه، ص ٤٧، نقلاً عن صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٠.

4 - نفسه، ص ٤٨.

5 - نفسه، ص ٤٧، نقلاً عن الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ص ٢٥٧.

6 - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص ١٤٤.

غزوة أمير المسلمين يعقوب رحمه الله الخامسة وهي غزوة قرطبة^١ ويصف هذه الغزوة ويقول: "وكانت غزوة عظيمة لم يكن مثلها في سالف الدهر، فدخل الجزيرة في شعبان من السنة المذكورة، وخرج في أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وستمئة (الخميس ١ أبريل سنة ١٢٨٣م)، فنزل مالقة وفتح بأجوارها حصونا كثيرة منها حصن قرطبة وذكوان وسهيل".^٢ ومن هنا نستنتج أنّ سهيل حصن في مدينة مالقة.

٤- **تسميته الخثعمي:** يقول الأستاذ إبراهيم البنا: "رأينا السهيلي ينتسب إلى خثعم، لعنه من ولد أبي روية الخثعمي^٣،... "ذكر ابن حزم أنّ "شدونة" هي دار خثعم بالأندلس"^٤ ويقول كذلك: "ولقد ذكر ابن القوطية أنّ أهل فلسطين نزلوا شدونة"^٥ ولقد ذكر الدكتور محمد إبراهيم البنا أنّ "فلسطين كانت منزل أبي روية وعقبه من خثعم، وعلى هذا نتصور أنّ عقب أبي روية قد دخلوا الأندلس مع القبائل المهاجرة، وأنّ مقامهم أول الأمر كان بشدونة، ثم تفرقت ببعضهم البلاد، فانتقل أحد أجداد السهيلي على مالقة أوسهيل".^٦ ويقول ابن خلكان: "والخثعمي: بفتح الخاء الموحدة وسكون الناء المثناة وفتح العين المهملة وبعدها ميم، هذه النسبة إلى خثعم بن أنمار، وهي قبيلة كبيرة، وفيه اختلاف".^٧ ويقول عن مالقة: "ومالقة: بفتح الميم وبعدهم الألف لام مفتوحة ثم قاف مفتوحة وبعدها هاء، وهي مدينة كبيرة بالأندلس، وقال السمعاني: بكسر اللام وهو غلط".^٨

٥- **مولده:** يقول صاحب الوفيات إنه "ولد سنة ثمان وخمسائة بمدينة مالقة وهي مدينة كبيرة بالأندلس"^٩. ويقول صاحب الإحاطة: "مولده: عام سبعة أو ثمانية وخمسماية"^{١٠}.

١ - ابن أبي زرع الفاسي، الأنيب المطرب في روض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة - الرباط، ١٩٧٢، ص ٣٢٦.

٢ - نفسه، ص ٣٣٨.

٣ - محمد إبراهيم البنا، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، ص ٤٦.

٤ - نفسه، ص ٤٦، نقلاً عن جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٩.

٥ - نفسه، ص ٤٦، نقلاً عن تاريخ فتح الأندلس ص ١٥.

٦ - نفسه، ص ٤٦.

٧ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، ص ١٤٤.

٨ - نفسه، ج ٣، ص ١٤٤.

٩ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، ص ١٤٤.

١٠ - لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

وكما نلاحظ فالاختلاف في يوم واحد، وبما أنهما متفقان على ثمانية ، فسنعول إنه ولد سنة ثمان وخمسمائة وهذا ما تقول به أغلب التراجم التي قدمت في تعريف السهيلي.

٦- **حياته العلمية:** " أخذ القراءات عن أبي داود الصغير سليمان بن يحيى وأخذ بعضها عن أبي منصور بن الخير، وسمع من أبي عبد الله بن معمر والقاضي أبي بكر بن العربي، وشريح بن محمد وأبي عبد الله بن نجاح الذهبي وطائفة، وأجاز له أبو عبد الله بن أخت غانم وناظر في كتاب سيبويه على أبي الحسن بن الطراوة وسمع له كثيراً من كتب الأدب." ويذكر لنا محمد إبراهيم البنا أن الإمام السهيلي كان مالكي المذهب حيث يقول: "وقد كان أبو القاسم السهيلي مالكي المذهب، وذكر ابن العماد ذلك قائلاً: " وكان مالكيًا"^١.

٧- **شيوخه:** أخذ العلم من شيوخ كثير، ونذكر منهم من ذكرهم صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة حيث يقول: " تلا بالحرمين على خال أبيه الخطيب أبي الحسن بن عباس، وبالسبع على أبي داود بن يحيى، وعلى أبي علي منصور بن علاء، وأبي العباس بن خلف بن رضي، وروى عن أبي بكر بن طاهر، وابن العربي، وابن قندلة، وأبي الحسن شريح، وابن عيسى، ويونس بن مغيث، وأبي الحسن بن الطراوة، وأبي عبد الله حفيد مكي، وابن يمن الله، وأبوي القاسم بن الأبرش، وابن الرماك، وأبوي محمد بن رشد، والقاسم بن دحمان، وأبوي مروان بن بونة، وأبي عبد الله بن بحر. وناظر في المدونة على ابن هشام. وأجاز له ولم يلقه، أبو العباس عباد بن سرحان، وأبو القاسم بن ورد.^٢ وحاولت جمع بعض التعريفات عن شيوخه من البلغة، وبغية والوعاء، فيقول صاحب بغية الوعاء (وذكرتهم حسب ترتيبهم):

١- سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي المالقي، أبو الحسين بن الطراوة: " بفتح الطاء والراء المهملتين. قال ابن عبد الملك: كان نحوياً ماهراً، أديباً بارعاً، يقرض الشعر وينشئ الرسائل. سمع على الأعم كتاب سيبويه وعلى عبد الملك بن سراج، وروى عن أبي الوليد الباجي وغيره، وعنه السهيلي والقاضي عياض وخلاتق. وله آراء في النحو تفرد بها، وخالف فيها جمهور النحاة. وعلى الجملة كان مبرزاً في علوم اللسان نحواً ولغة وأدباً، لولا ارتكابه لتلك الآراء، فمن متن عليه بالإمامة والتقدم في الصناعة كأبي بكر بن

^١ - محمد إبراهيم البنا، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، نقلاً عن شذرات الذهب ج٤، ص ٢٨٢، ص ١١٥.

^٢ - لسان الدين بن الخطيب ، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

سمحون، فإنه كان يغلو في الثناء عليه، ويقول: ما يجوز على الصراط أعرف منه بالنحو، ومن غامز يجهله وينسبه إلى الإعجاب بنفسه، كابن خروف. تجول كثيراً في بلاد الأندلس. وألف: الترشيح في النحو وهو مختصر، المقدمات على كتاب سيبويه، ما قاله في الاسم والمسمى. مات في رمضان - أو شوال - سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عن سن عالية. ومن شعره في فقهاء مالقة:¹

إذا رأوا جملاً يأتي على بعد مدوا إليه جميعاً كف مقتض
أو جئتهم فارغاً لزوك في قرن وإن رأوا رشوة أفتوك بالرخص

٢- **عبد الملك بن مجبر بن محمد البكري المالقي الضرير**، أبو مروان: "قال ابن الزبير: كان مقرئاً نحويّاً فاضلاً، روى عن ابن الطراوة وابن أخت غانم، وروى عنه أبو عبد الله بن الفخار وأبو زيد السهيلي، ومات بعد الخمسين وخمسمائة. وقال ابن عبد الملك: كان من أهل المعرفة بالقراءات والأدب، ودرس ذلك طويلاً، وشهر بالنبل والفضل، روى عنه دحمان بن عبد الملك."²

٣- **القاسم بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الرحمن بن مسعدة بن عثمان بن إسماعيل بن عثمان بن مطرف بن دحمان الأوسي المالقي**، أبو محمد: "قال ابن دحية في "المطرب": من شعراء أهل المغرب، صاحب لواء العربيّة، ومن ذوي الأنساب السرية، لقبته بمالقة فسمعت عليه وأجاز لي ولأخي، وأخبرني أن مولده سنة خمس وثمانين وأربعمائة ببلنسية، وقرأ القرآن على أبي عبد الله المعزوي والعربية على ابن الطراوة - واختص به - ولقي أبا عبد الله محمد بن سليمان المشهور بابن أم غانم وآخرين، وأجاز له أبو بحر سفيان بن العاصي والفيّيه أبو الحسن بن مغيث وأبو الفضل جعفر بن محمد بن يوسف، حفيد الأعم النحوي أبي الحجاج الشنتمري وغيرهم، وقرأ عليه شيخنا أبو القاسم السهيلي. وكان إماماً في العربيّة، وله في الشعر والقريض لسان طويل وباع عريض وأكثر من الحديث والفقّه، وانفرد في آخى عمره لإقراء القرآن والاجتهاد في العبادة، مع أنه لم يعرف له قط في شببته صبوة، ولا اتخذ أهلاً، ولا

¹ - الحافظ جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ط٢، ج١، ص ٦٠٢.

² - نفسه، ج٢، ص ١١٤.

سمعت منه هفوة. مات بمالقة يوم الاثنين الثاني من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة وله اثنتان وتسعون سنة.¹ وفي البلغة يقول صاحبها:

٤- سليمان بن محمد بن عبدالله السبائي النحوي من أهل مالقة أبو الحسين بن الطراوة: "أخذ النحو عن أبي الحجاج الأعلم وأبي بكر الشرشائي الأديب وأبي مروان بن سراج وأخذ الكتاب عن الثلاثة طاف بلاد الأندلس وكان اعلم أهل عصره بالأدب والعربية له مصنفات منها الإفصاح على الإيضاح والترشيح والمقدمات على كتاب سيبويه وتلمذ له السهيلي وابن سمحون القرطبي وكان من العلاة فيه كان يقول ما يجوز على الصراط أسخى منه توفي بمالقة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة"²

من روى عنه: ويذكر تلاميذه لسان الدين بن الخطيب فيقول: "روى عنه أبو إسحق الزوالي، وأبو إسحق الجاني، وأبو أمية بن عفير، وأبو بكر بن دحمان، وابن قنتال، والمحمدون بن طلحة، وابن عبد العزيز، وابن علي جويحات، وأبو جعفر بن عبد المجيد، والحفار وسهل بن مالك، وابن العفص، وابن أبي العافية، وأبو الحسن السراج، وأبو سليمان بن حوط الله، والسماطي. وابن عياش الأندلسي، وابن عطية، وابن يربوع، وابن رشيد، وابن ناجح، وابن جمهور، وأبو عبد الله بن عياش الكاتب، وابن الجذع، وأبو علي الشلوبين، وسالم بن صالح، وأبو القاسم بن بقي، وأبو القاسم بن الطيلسان، وعبد الرحيم بن الفرس، وابن الملجوم، وأبو الكرم جودي، وأبو محمد بن حوط الله، إلى جملة لا يحصرها الحد."³ ويذكر إبراهيم البناء شيوخ الإمام السهيلي في مالقة، وقد حاولت تلخيصها فيما يلي:

٨- شيوخه في مالقة:

١- المقرئ أبو علي الحسين بن منصور بن الأحذب، قال ابن دحية: "أخبرني أنه قرأ القرآن العظيم جمعاً وإفراداً على المقرئ الشهير أبي علي الحسين بن منصور الأحذب رحمه الله"⁴؛

1 - نفسه، ص ٢٥٥.

2 - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تح: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧، ط ١، ص ٢٥.

3 - لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

4 - محمد إبراهيم البناء، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، ص ٥٩، نقلاً عن المطرب، ص ٢٣٠.

٢- المقرئ أبو الحسن علي بن عيسى، يقول ابن دحية: " ثم قرأ أيضاً بالمقرئين: مقرئ نافع وابن كثير، على الأستاذ المقرئ أبي الحسن علي بن عيسى المروى، نزيل مالقة"؛

٣- أبو مروان عبد الملك بن مجير بن محمد البكري، يذكر ابن دحية: " وقرأ الكتاب العزيز أيضاً بالمقرئ الأربعة وشيئاً من العربيّة على المقرئ النحوي الزاهد الضرير أبي مروان عبد الملك بن مجير" وفي بغية الوعاة: "قال ابن الزبير: كان [أبو مروان] مقرئاً نحويّاً فاضلاً، روى عن ابن الطراوة وابن أخت غانم، وروى عنه...؛

٤- الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن معمر المالقي (ت ٥٣٧) كان من أعلام عصره في الرواية والتدريس،..؛

٥- الإمام أبو عبد الله محمد بن سليمان النحوي المعروف بابن أخت غانم (٤٣٤- ٥٢٥)، وكان أيضاً من أعلام الفقه و الأدب والنحو "في عصر المرابطين؛

٦- أبو محمد عبد الرشيد المالقي؛

٧- أبو الحسن علي بن عياش؛

٨- أبو الحسين سليمان بن محمد السبّئيّ، المعروف بابن الطراوة (ت ٥٢٨) وقرأ النحو عنه، وهو من أعظم شيوخ السهيلي أثراً في اتجاهه النحوي واللغوي، ولئن قدر للسهيلي أن يلقى شيخه و يقرأ عليه كتاب سيبويه، لقد كان شيوخه في النحو أيضاً من تلاميذ هذا الرجل.

ويقول عن منهج ابن الطراوة اللغوي أنه يعتمد اللّغة أساس البحث والنظر والاستنباط، ومن ثم وجدناه يصف بعض أمثلة النحو بأنها غير مستعملة في الكلام، أو يقول إنني لم أسمع في هذا شيئاً، أو إن ما يراه تشهد له الأشعار، ونص القرآن. وله أراء في النحو ولم يقبل تعريف الفارسي للنحو بأنه: "علم بالمقاييس المستتبطة من استقراء كلام العرب" فقال: "والصواب: النحو تسديد الذهن للتمييز بين الاستقامة في الكلام والإحالة" فليست مهمة النحويّ وفقاً على العلم بالقوانين، ولكنها في نظره أعمق وأبعد

1 - نفسه، ص ٥٩، نقلاً عن: المطرب، ص ٢٣٠.

2 - نفسه، ص ٥٩، نقلاً عن: بغية الملتمس، ص ٤٦١.

3 - نفسه، ص ٦٠، نقلاً عن: المطرب، ص ٢٤٠-٢٣١.

4 - نفسه، ص ٦٧.

حين تمتد إلى مدارس النصوص بحثاً عن منهج اللّغة في التعبير، ومن ثم يتكون لدى الدارس الحس اللّغوي الذي يفقه على ما يكون به الكلام مستقيماً وصواباً، ويكون بدونه مستحيلاً وخطأً.

٩- **مناظرات مع السهيلي:** ويذكر كل من السيوطي والفيروزآبادي العلماء الذين لهم مناظرات مع الإمام السهيلي وهم:

- **علي بن محمد بن علي الشهير بابن خروف الحضرمي الإشبيلي:** " إمام النحو واللّغة أخذ كتاب سيبويه عن أبي إسحاق بن ملكون وأبي بكر بن طاهر وله مصنفات مفيدة منها شرح الكتاب وهو جليل سماه تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب وشرح جمل الزجاجي وكتاب في الفرائض وله ردود في العربيّة على أبي زيد السهيلي وابن ملكون وابن مضاء وعني بالرد حتى على أبي المعالي الجويني في تصانيفه ورد الناس عليه لأنّه لم يصب شاكلة المراد توفي سنة (٢٠٩) "؛ ويقول عنه السيوطي: **علي بن محمد بن علي بن محمد نظام الدين، أبو الحسن بن خروف الأندلسي النحوي:** " حضر من إشبيلية، وكان إماماً في العربيّة، محققاً مدققاً، ماهراً مشاركاً في الأصول. أخذ النحو عن ابن طاهر المعروف بالخدب، وكان في خلقه زعارة، ولم يتزوج قط، وكان يسكن الخانات. أقرأ النحو بعدة بلاد، وأقام بحلب مدة واختل في آخر عمره حتى مشى في الأسواق عريان، بادي العورة، وله مناظرات مع السهيلي: صنف: شرح سيبويه، شرح الجمل، كتابا في الفرائض. ووقع في جب ليلاً، فمات سنة تسع وستمائة - وقيل خمس وقيل عشر. وقال ياقوت: سنة ست - بإشبيلية عن خمس وثمانين سنة. وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان: مات بحلب،^٢

وأنشد له في الكأس:^٣

أنا جسم للحیما والحميا لي روح
بين أهل الظرف أغدو كل يوم وأروح

وله في نيل مصر:

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله في ضفتيه من الأشجار أرواح

1 - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، ص ٤٦.

2 - الحافظ جلال الدین عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢، ص ٢٠٣.

3 - نفسه، ج ٢، ص ٢٠٤.

من جنة الخلد فياض على ترع تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا وإنما هي أرزاق وأرواح

ويمكن الإطلاع على المناظرات في كتاب " الأشباه والنظائر " للسيوطي الجزء الثالث.

١٠- تلاميذه: لقد حاولت في هذا المقام جمع ما تمكن لي جمعه عن تلاميذه الذين
رووا عنه، وهم:

١- محمد بن أحمد بن يربوع الجباني، أبو عبد الله: " قال ابن الزبير: كان مقرئاً للقرآن
والأدب، كاتباً شاعراً. أخذ القرآن والعربية والأدب عن أبي القاسم بن دحمان، وأبي زيد
السهيلي. وروى عنهما، وعن ابن خروف وغيرهم، وروى عنه عبد الله بن أيوب
الجباني، ومحمد بن إبراهيم بن القرشية. وألف في الآداب، وسكن آخر عمره فيجاطة.
وكان حياً سنة سبع وستمئة." ^١

٢- محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المري الغرناطي أبو عبد الله: " قال في "تاريخ
غرناطة": كان شيخاً جليلاً، كاتباً مجيداً، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والعروض. بارع
الأدب، رائق الشعر، سيال القريحة، سريع البديهة، ذاكراً لأيام السلف، طيب
المحاضرة، مليح الشبية، حسن الهيئة، مع الدين والفضل، والطهارة والوقار والصمت.
قرأ بغرناطة على أبي محمد عبد الرحيم بن الفرس وغيره، وبمالقة علي السهيلي، وبجيان
علي بن يربوع، وبإشبيلية علي أبي الحسن بن زرقون وغيرهم. وله مكاتبات ومراجعات
بارعة. وأسر أولاده بأخرة، فمات أسفاً في حدود سنة سبع وثلاثين وستمئة." ^٢

٣- أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن خلف بن مسعود المحاربي الغرناطي، أبو جعفر:
" كان مقرئاً مجوداً، نحويماً ماهراً معنياً بالعربية، فقيهاً حافظاً، روى عن السهيلي، ولازم
عبد المنعم بن الفرس، وولى قضاء قيجاطة فأحسن السيرة. مات سنة تسع وثمانين
وخمسمائة. ذكره ابن الزبير." ^٣

٤- أحمد بن عبد الله بن محمد بن مجبر البكري المالقي، أبو جعفر: " قال ابن الزبير:
أخذ عن السهيلي علم العربية وغيره، وكان من جملة أصحابه ومتقدميهم، بارع الخط،
سهل الخلق، كريم النفس، كثير التواضع، متين الديانة. مات سنة عشر وستمئة." ^٤

١ - نفسه، ج ٢، ص ٤٩.

٢ - نفسه، ج ١، ص ١١٩.

٣ - نفسه، ص ٢٩٤.

٤ - نفسه، ص ٣١٩.

٥- أحمد بن عيسى بن أحمد بن نام الغساني البرجي: قال ابن الزبير: أقرأ العربيّة والأدب ببلده، وكان أستاذاً أديباً، بارعاً في الخط، روى عن السهيلي وأبي القاسم بن دحمان، وأخذ عنه الناس. ومات في عشر الثمانين وخمسمائة.^١

٦- أحمد بن محمد بن أحمد العكي اللوشي، أبو جعفر بن الأصلع: قال ابن عبد الملك: كان من جلة أهل بلده وأعيانهم، متقدماً في تجويد القرآن والعربيّة والرواية للحديث، تلا على أبي العباس الأندرشي، وأخذ كتاب سيبويه عن أبي بحر بن جامع وأبي محمد القاسم بن دحمان، وروى عن أبيه والسهيلي وابن بشكوال. وعنه ابن الطيلسان، وتصدر ببلده للإفادة. مولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ومات بأندوجر أسيراً بأيدي الروم في ذي الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة.^٢

٧- حاجر بن حسين بن خلف المعافري: "من أهل الجزيرة الخضراء. أبو عمر يعرف بابن حاجر قال ابن الزبير: كان نحويّاً مقرئاً شاعراً خطيباً، ذا حظ من الأصول، من أحسن الناس خلقاً، حمل عن السهيلي. ومات في حدود سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ولم يعمر."^٣

٨- الحسن بن إبراهيم بن الحسن المعروف بابن عياش الخزاعي يلقب بقريعات: "من أهل الجزيرة الخضراء. أبو علي: قال ابن الزبير: أستاذ نحوي جليل، أخذ الكتاب عن السهيلي، وروى عن ابن ملكون وعنه أبو الحسن الغافقي، وكان حسن العبارة في إلقائه، سهل الإلقاء، فاعتقد ناس أنه أعرف بالعربيّة من أبي علي الرندي، فمالوا إليه، وتركوا الرندي، فكان ذلك سبب خروج الرندي من سبّة إلى مألقة. مات الخزاعي سنة خمس وتسعين وخمسمائة."^٤

٩- داود بن أحمد بن داود الغافقي الخضراوي، أبو سليمان: قال ابن عبد الملك: كان نحويّاً ماهراً، درس العربيّة ببلده زماناً، وكانت له مشاركة حسنة في غير ذلك من المعارف. روى عن أبي بكر بن خير وأبي عبد الله بن أحمد البقاعي وأبي القاسم السهيلي. مات ببلده قبل ستمائة.^٥

١ - نفسه، ص ٣٥١.

٢ - نفسه، ص ٣٦٠.

٣ - نفسه، ص ٤٩١.

٤ - نفسه، ص ٤٩٣.

٥ - نفسه، ص ٥٦٢.

١٠- سهل بن محمد بن سهل بن أحمد بن مالك الأزدي الغرناطي أبو الحسن: " قال ابن عبد الملك: كان من أعيان مصره وأفاضل عصره، تفنناً في العلوم، وبراعة في المنثور والمنظوم، محدثاً ضابطاً، عدلاً ثقة، ثبتاً، مجوداً للقرآن، متقدماً في العربية، وافر النصيب من الفقه والأصول، كاتباً، مجيد النظم، متين الدين، تام الفضل. روى عن خاله أبي عبد الله بن عروس وأبي الحسن بن كوثر والسهيلي وأبي العباس بن مضاء وغيرهم، وأجاز له من المشرق القاسم بن عساكر، وبركات الخشوعي وغيرهما. روى عنه ابن أبي الأحوص وابن الأبار، وجمع وامتحن ببغية بعض حسدته عليه، فغرب عن وطنه إلى مرسية، ثم أطلق إلى بلده. وكان معظماً عند الخاصة والعامة. صنف في العربية كتاباً مفيداً على ترتيب كتاب سيبويه، وله تعليقات على المستصفي. ولد سنة تسع وخمسين وخمسائة، ومات بغرناطة في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة.

وقال الذهبي: سنة أربعين. وله: ^١

منغص العيش لا يأوي إلى دعة من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته سكنى مكان ولم تسكن إلى أحد

١١- الطيب بن محمد بن الطيب هارون بن الطيب الكناني المرسي، أبو القاسم النحوي: " من بيت علم مشهور. كان متقدماً في طلبه، متقناً، يتعاطى درجة الاجتهاد، وأجاز له السهيلي وابن مضاء وابن بشكوال. وولى قضاء مرسية، وأخذ عنه النحو أبو عبد الله ابن أبي الفضل المرسي. مات سنة ثمان عشرة وستمائة. ذكره ابن الزبير وغيره. ^٢

١٢- عبد الله بن أحمد بن محمد بن عطية المالقي، أبو محمد: " قال ابن عبد الملك: كان بارعاً في العربية، حافظاً للغة، راوية عدلاً، ضابطاً متقناً، جمع الله له العلم والعمل، آخر الورعين بالأندلس، مقتصداً في لباسه، روى عن أبي محمد القرطبي وأكثر عنه، وعن السهيلي، وحج، وأجاز له من المشرق الحسن الجواليقي وأبو الحسن بن البناء وخلق، وروى عنه بالإجازة ابن الزبيري وابن أبي الأحوص وغيرهما. وكان شديد الورع، لا يأكل ممن يتحقق طيب كسبه، ولا سيما بعد حدوث الفتن؛ فإنه قطع أكل اللحم، وكان يختم القرآن كل جمعة، منقبضا عن الناس، لا يجلس إليهم إلا في الاثنين

¹ - نفسه، ص ٦٠٥.

² - نفسه، ج ٢، ٢١.

والخميس. ولد في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، ومات يوم السبت خامس جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة. وقال ابن الأبار: سنة ست، وهو غلط.^١

١٣- عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري القرطبي المالقي، أبو محمد: "قال ابن الزبير: كان محدثاً حافلاً ضابطاً، حافظاً إماماً في وقته، نحويّاً لغويّاً، أديباً كاتباً، شاعراً، عارفاً بالقراءات وطرقها، فقيهاً زاهداً، ورعاً عالماً عاملاً، روى عن أبيه والقاسم بن دحمان والسهيلي، وعن هؤلاء أخذ القراءات والعربية، وأخذها أيضاً عن ابن عروس وابن كوثر وابن الفخار. وأجاز له من المشرق الخشوعي وغيره."^٢

١٤- عبد الجليل بن محمد بن عبد الجليل الأنصاري القرطبي، أبو محمد الملكي: "قال ابن عبد الملك: كان متقدماً في صناعة العربية، وله فيها مسائل تدل على بصيرة بها، وتبريزه في معرفتها. قرأها على السهيلي وأبي سليمان السعدي. وروى عن ابن بشكوال وابن الفخار، وأقرأ بواديّاش القرآن والعربية، ثم تحول إلى مراکش، وولي قضاء الجزيرة الخضراء ودكالة. وروى عنه أبو الربيع بن سالم. ومات في حدود ستمائة."^٣

١٥- عبد الرحمن بن يخلفتن - بفتح الياء واللام وسكون الخاء المعجمة والفاء - ابن أحمد "أبو زيد الفازاري القرطبي، نزيل تلمسان: قال الذهبي: كان شاعراً محسناً، بليغاً، فصيحاً فقيهاً، متكلماً لغويّاً، كاتباً. روى عن أبي القاسم السهيلي وأبي الوليد بن بقي وابن الفخار وطبقتهم، وكتب للأمرء زماناً، وكان شديداً على المبتدعة، مال إلى التصوف. مولده بعد الخمسين وخمسمائة، ومات بمراكش في ذي القعدة سنة سبع وعشرين وستمائة. ومن شعره:

علم الحديث لكل علم حجة فاشدد يدك به على التعيين
وتوخ أعدل طرقه واعمل بها تعمل بعلم بصيرة ويقين^٤

١٦- عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأستاذ، أبو علي الإشبيلي الأزدي المعروف بالشلوبين: "بفتح المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الموحدة وبعدها تحتانية

١ - نفسه، ج ٢، ص ٣٣.

٢ - نفسه، ج ٢، ص ٣٧.

٣ - نفسه، ص ٧٣.

٤ - نفسه، ج ٢، ص ٩١.

ونون، وربما زيد بعدها ياء النسبة، ومعناه بلغة الأندلس "الأبيض الأشقر". قال ابن الزبير: كان إمام عصره في العربية بلا مدافع، آخر أئمة هذا الشأن بالمشرق والمغرب، ذا معرفة بنقد الشعر وغيره، بارعاً في التعليم، ناصحاً، أبقى الله به ما بأيدي أهل المغرب من العربية. لازم أبا بكر محمد بن خلف بن صاف حتى أحكم الفن، وأخذ عن ابن ملكون وغيره، وأقرأ نحو ستين سنة، وعلا صيته، واشتهر ذكره، وبرع من طلبته جلة، وقلما تأدب بالأندلس أحد من أهل وقتنا إلا وقرأ عليه، واستند ولو بواسطة إليه. روى عن السهيلي وابن بشكوال وغيرهما، وأجاز له السلفي وغيره، وأخذ عنه ابن أبي الأحوص، وابن فرتون، وصنف تعليقاً على كتاب سيبويه، وشرحين على الجزولية، وله كتاب في النحو سماه التوطئة. وكان فيه غفلة، قعد يوماً إلى جانب نهر وبيده كراسه يطالع فيها، فوقع كراس في الماء فغرقه بآخر. مولده سنة ثنتين وستين وخمسمائة، ومات في العشر الأخير من صفر سنة خمس وأربعين وستمائة. أسندنا حديثه في الطبقات الكبرى، وتكرر في جمع الجوامع. وله:

قالوا حبيبك ملثات فقلت لهم نفسي الفداء له من كل محذور

يا ليبت علتة بي غير أن له أجر العليل وأني غير مأجور

قلت: كذا نسبهما إليه الصفدي، ونسبهما بعد ذلك لمحمد البيدق.¹

١٧- موسى بن عبد الرحمن بن يحيى العربي الحميري الغرناطي، أبو عمران: " قال ابن الزبير: كان أستاذاً نحويًا لغويًا، حافظًا. روى عن السهيلي وابن بشكوال، وعنه ابن أبي الأحوص، وأقرأ بقرناطة، وأخذ الناس عنه كثيراً. مولده سنة سبع وخمسين وخمسمائة، ومات بقرناطة سنة إحدى وثلاثين وستمائة.²

١٨- هاني بن الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مشرف بن قاسم محمد بن هاني اللخمي القاضي، أبو يحيى: " قال ابن الزبير: كان من أهل المعرفة بالفقه والأدب والنحو، مشاركاً في الحديث والأصول والطب؛ من أكرم الناس عهداً ومروءة وعشرة وبراً، روى عن أبيه وعمه أبي الحسن وأبي عبد الله بن عروس والسهيلي وغيرهم، وعنه ابن فرتون، وولي قضاء باجة وغيرها. ومات في رمضان سنة أربع عشرة وستمائة.³

1 - نفسه، ص ٢٢٤.

2 - نفسه، ص ٣٠٧.

3 - نفسه، ص ٣٢٢.

١٩- يوسف بن معزوز القيسي، أبو الحجاج: "الأستاذ الأديب النحوي. من أهل الجزيرة الخضراء. قال ابن الزبير: كان نحويًا جليلاً، من أهل التقدم في علم الكتاب، أخذ العربية عن أبي إسحاق بن ملكون، وأبي زيد السهيلي، وروى عنهما، وأقرأ ببلده مدة، ثم انتقل أخيراً إلى مرسية فأقرأ بها، وكان متصرفاً في علم العربية، حسن النظر، أخذ عنه علماء كثر؛ منهم أبو الوليد يونس بن محمد الوقشي وغيره. وألف: شرح الإيضاح للفارسي، والرد على الزمخشري في مفصله، وغير ذلك، وتوليفه مفيدة حسنة؛ وإن كان في أغراضه حدة. مات بمرسية في حدود سنة خمس وعشرين وستمائة."¹

وبنفس الطريقة في البلغة؛ ويقول صاحبها عن تلاميذه:

٢٠- عمر بن عبد المجيد بن عمر الرندي: "تلميذ السهيلي قرأ القراءات عليه وعلى غيره وأتقن علومًا وصار إماماً في العربية وله شرح على الجمل للزجاجي ورد على ابن خروف منتصراً لشيخه السهيلي مات سنة عشر وستمائة"²

٢١- محمد بن أحمد بن عبد الله بن هشام الفهري المري المعروف بالشواش وبالذهبي: إمام في العربية والعلوم الأدبية أخذ عن الجلة كالسهيلي والجزولي وأبي القاسم بن حبيش وله في النحو كتاب لطيف سماه المقرب توفي سنة ثمان عشرة وستمائة"³

٢٢- محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك بن أحمد بن خلف بن الأسعد النحوي: "من أهل يا برة إمام في العربية لقي السهيلي وسمع عليه بعض الروض الأنف غلب عليه تحقيق العربية والقيام عليها قرأ عليه خلق كثير كابن عبد النور والسقطي والشلوبين وغيرهم وكان أستاذاً حاضرة إشبيلية يميل إلى مذهب ابن الطراوة في العربية توفي سنة ثمان عشرة وستمائة"⁴

٢٣- يوسف بن إبراهيم بن عبد العزيز القيسي: "من أهل الجزيرة الخضراء أخذ النحو عن السهيلي ولقي أبا ذر الخشني له شرح على الإيضاح وتببيهاً على أغلاط الزمخشري في مفصله أقرأ ببلده ثم انتقل إلى مرسية توفي في حدود خمس أو إحدى وعشرين وستمائة وعمره خمسون سنة"⁵

1 - نفسه، ص ٣٦٢.

2 - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٤٨.

3 - نفسه، ص ٦١.

4 - نفسه، ص ٦٥.

5 - نفسه، ص ٨٣.

وذكرهم محمد إبراهيم البنا على حسب الترتيب الأبجدي، كما يلي:

- ١- " أحمد بن عبد الله بن محمد بن مجير البكري الملقى، أبو جعفر يقول ابن الزبير: "أخذ عن السهيلي علم العربيّة وغيره، وكان من جملة أصحابه ومتقدميهم؛"
- ٢- أحمد بن محمد بن أحمد العكي اللوشي، أبو جعفر بن الأصلع، يقول ابن عبد الملك: "كان من جلة أهل بلده وأعيانهم، متقدماً في تجويد القرآن والعربيّة والرواية للحديث... وروى عن أبيه والسهيلي؛"
- ٣- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عرفة السبتي أبو العباس ذكر صاحب نيل الابتهاج أنّه أخذ عن السهيلي؛
- ٤- أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي صاحب بغية الملتمس. قال الضبي في البغية في ترجمة السهيلي: "أذن لي في الرواية عنه؛"
- ٥- أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد قال ابن الأبار: "وسمعت من السهيلي تأليفه الروض الأنف؛"
- ٦- أبو علي الحسن بن محمد بن علي الأنصاري، ويعرف بابن كسرى؛
- ٧- أبو سليمان داود بن أحمد بن داود الغافقي الخضراوي، قال ابن عبد الملك: " وكان نحويًا ماهراً، درس العربيّة ببلدة وماناً روى... عن أبي القاسم السهلي. مات ببلدة قبل ستمائة؛"
- ٨- أوا الحسن سهل بن محمد بن أحمد بن مالك الأزدي الغرناطي (٥٥٩ - ٦٣٩) قال ابن عبد الملك: " وكان من أعيان مصره وأفاضل عصره.. محدثاً ضابطاً متقدماً في العربيّة.. روى عن السهيلي وابن مضاء.. صنف في العربيّة كتاباً مفيداً على ترتيب كتاب سيويه."
- ٩- " أبو القاسم الطيب بن محمد بن محمد بن الطيب الكنانى المرسى النحو (ت ٦١٨)، ذكر السيوطي أنّه: " من بيت علم مشهور، كان متقدماً في طلبه، متفنناً، يتعاطى درجة الاجتهاد، وأجاز له السهيلي وابن مضاء.."
- ١٠- أبو بكر عبد الرحمن بن دُحمان الملقى (ت ٦٢٧)؛^١
- ١١- " أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن عطية الملقى (٥٧٣ - ٦٤٨)، قال ابن عبد الملك: " كان بارعاً في العربيّة حافظاً للغة.. روى عن السهيلي.."

^١ - محمد إبراهيم البنا، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحو، ص ٨٨.

١٢- أبو محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري القرطبي المالقي (٦٥٦ - ٦١١). قال ابن الزبير: " كان محدثاً حافلاً.. نحوياً لغوياً أدبياً، كاتباً شاعراً، روى عن أبيه والقاسم بن دحمان والسهيلي، وعن هؤلاء أخذ القراءات والعريية"؛

١٣- " أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الأنصاري الحارثي (ت ٦١٢). ذكر ابن فرحون أنه " أكثر عن ابن حبيش والسهيلي"؛

١٤- أبو عمرو عثمان بن حسن السبتي اللغوي (ت ٦٣٤). وهو أخو بن دحية الذي قال في المطرب: " وقد أجاز لي ولأخي الحافظ أبي عمرو جميع مروياته ومجموعاته ومجموعاته؛

١٥- أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجميل بن دحية الكلبي، شقيق أبي عمر والمتقدم (ت ٦٣٣). ذكر في ترجمته للسهيلي: " قرأت عليه.. وسمعت كثيراً من أماليه التي أملاها في معاني الكتاب العزيز وأنواره، ودقائق النحو وأسرارها، وغوامض علم الأصول وأغوارها".^١ " ولقد حفظ ابن دحية بترجمته للسهيلي كثيراً من أخباره وآثاره، فكان وفياً له بعد وفاته وفاءه له في حياته عندما أطلع حاضره الموحدين على مكانة شيخه. هذا وقد دخل ابن دحية مصر، " وله بني الكامل دار الحديث الكاملة بالقاهرة وجعله شيخها"؛

١٦- أبو علي عمر بن عبد المجيد الرندي (ت ٦١٦). يقول الجزري في ترجمته: " قرأ بالروايات على أبي القاسم السهيلي، وأحكم عنه العريية، وكان إماماً في القراءات والعريية.. وشرح الجمل للزجاجي"؛

١٧- أبو علي عمر بن محمد بن عبد الله الاشبيلي الأزدي، المعروف بالشلوبيني (٥٦٢ - ٦٤٥). يعد أبو علي من أبرز تلاميذ السهيلي، وأكثرهم إفادة من كلامه، وقد كان أبو علي- كما يقول ابن الزبير- " إمام عصره في العريية بلا مدافع، آخر أئمة هذا الشأن بالمشرق والمغرب.. روى عن السهيلي وابن بشكوال وغيرهما "؛

١٨- محمد بن أحمد بن عبد الله بن هشام الفهري، من أهل المريية، يعرف بالشواش وبالذهبي (ت ٦١٨). ذكر صاحب إشارة التعيين أنه كان إماماً في العريية، وأنه " أخذ عن الجلة كالسهيلي والجزولي وله في النحو كتاب لطيف سماه (المقرب)؛

¹ - نفسه، ص ٨٩.

١٩- أبو عبد الله محمد بن سودة المريّ الغرناطي. (ت ٦٣٧)؛^١
٢٠- " أبو عمر بن عبد الرحمن يحيى بن العربي الحميري الغرناطي
(٥٥٨ - ٦٣١). قال ابن الزبير: " كان أستاذاً نحوياً لغوياً حافظاً، روى عن السهيلي
وابن بشكوال "؛

٢١- أبو يحيى هانئ بن الحسن بن عبد الرحمن اللخمي (ت ٦١٤) قال ابن الزبير:
" كان من أهل المعرفة بالفقه والأدب والنحو، وروى عن السهيلي "؛
٢٢- أبو الحجاج يوسف بن معروز القيسي (ت ٦٢٥). قال ابن الزبير: " كان نحوياً
جليلاً، من أهل التقدم في علم الكتاب، أخذ العربيّة عن أبي إسحق بن ملكون وأبي زيد
السهيلي، وروى عنهما، وكان متصرفاً في علم العربيّة، وألف شرح الإيضاح
للفارسي، والرّد على الزمخشري في مفصله.."^٢

١١- من شعره: قال ابن دحية: أنشدني وقال: إنه ما سأل الله تعالى بها حاجة إلا أعطاه
إياها وكذلك من استعمل إنشادها وهي:^٣ ويقول في بغية الوعاة: قال ابن الزبير: "...
رأيت بخط القاضي عز الدين بن جماعة: وجد بخط الشيخ محيي الدين النواوي ما نصه:
"ما قرأ أحد هذه الأبيات، ودعا الله تعالى عقبها بشيء إلا استجيب له".^٤

يا من يرى ما في الضمير ويسمع	أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها	يا من إليه المشتكي والمفزع
يا من خزائن رزقه من قول كن	امنن فإنّ الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة	فبالافتقار إليك فقري أدفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة	فلئن رددت فأني باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه	إن كان فضلك عن فقري يمنع
حاشا لمجدك أن يقنط عاصياً	الفضل أجزل والمواهب أوسع ^٥

١ - نفسه، ص ٩٠.

٢ - نفسه، ص ٩١. بتصرف.

٣ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنبياء أبناء
الزمان، ج ٣، ص ١٤٣.

٤ - الحافظ جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، ج ٢، ص ٨١.

٥ - هذه الأبيات مأخوذة من قصيدة العينة، ويقول محقق نفع الطيب أنّ الأبيات مذكورة في: (١) المطمح:
٢٣٤، التكملة رقم: ١٦١٣ والمطرب: ٢٣٠، وأدباء مالقة؛ الورقة: ١٢٧. ويقول صاحب البلغة عن هذه الأبيات
أنّها من "الأبيات السائرة المشهورة".

" قال أبو عبد الله بن عبد الملك: أنشدني أبو محمد القطان، قال أنشدني أبو علي الرندي، قال أنشدني أبو القاسم السهيلي لنفسه:

أسايل عن جيرانه من لقيته وأعرض عن ذكره والحال تنطق
ومالي إلى جيرانه من صباية ولكن قلبي عن صبح يوفق

ونقلت من خط الفقيه القاضي أبي الحسن بن الحسن، من شعر أبي القاسم السهيلي، مذيلاً
بيت أبي العافية في قطعة لزومية¹:

ولما رأيت الدهر تسطو خطوبه بكل جليد في الورى وهدان
ولم أر من حرز ألوذ بظله ولا من له بالحادثات يدان
فزعت إلى من تملك الدهر كفه ومن ليس ذو ملك له بمران
وأعرضت عن ذكر الورى متبرماً إلى الرب من قاص هناك ودان
وناديته سراً ليرحم عبرتي وقلت رجائي قاذني وهدان
ولم أدعه حتى تطاول مفضلاً علي بالهام الدعاء وعان
وقلت أرجي عطفه متمثلاً بببيت لعبد صايل بردان
تغطيت من دهري بظل جناحه فعسى ترى دهري وليس براني

ومن شعره قوله²:

تواضع إذا كنت تبغي العلا وكنت راسياً عند صفو الغضب
فخفض الفتى نفسه رفعة له واعتبر برسوب الذهب

وقال ملغزا في محمل الكتب، وهو مما استحس من مقاصده³:

حامل للعلوم غير فقيه ليس يرجوا أمراً ولا يتقيه
يحمل العلم فاتحاً قدميه فإذا التقتا فلا علم فيه

¹ - لسان الدين بن الخطيب ، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

² - نفسه.

³ - نفسه.

ومن ذلك قوله في المجنبات^١:

شغف الفؤاد نواعم أبار
بردت فؤاد الصب وهي حرار
أذكى من المسك العتيق لنا
نشقاً وأذ من صباً حين تدار
وكأن من صافى اللجين بطونها
وكأنما ألوانهن نضار
صفت البواطن والظواهر كلها
لكن حكمت ألوانها الأزهار
عجباً لها وهي النعيم يصوغها
نار وأين من النعيم النار

ومن شعره وثبت في الصلة^٢:

إذا قلت يوماً سلام عليك
ففيها شفاء وفيها سقام
شفاً إذ قلتها مقبلاً
وإن قلتها مدبراً فالحمام
فأعجب لحال اختلافيهما
وهذا سلام وهذا سلام

وكل هذه الأبيات مذكورة في الإحاطة في أخبار غرناطة^٣ ويقول صاحبها: " وشعره كثير، وكتابته كذلك، وكلاهما من نمط يقصر عن الإجابة."^٣

ومن نظم السهيلي يقول شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني^٤:

أسائل عن جيرانه من لقبته
وأعرض عن ذكره والحال تنطق
وما بي إلى جيرانه من صباية
ولكن نفسي عن صبوح ترقق وله
لما أجاب بلا طمعت بوصله
إذ حرف لا حرفان معتقان
وكذا نعم بنعيم وصل آذنت
فنعم ولا في اللفظ متفان

ويقول: "...فخرج السهيلي ماراً في الطريق الذي جرت عادته بالمشي فيه، فوجد قناة تصلح، فمنعته من المرور، فرجع وسلك طريقاً آخر، فمر على دار تلميذه المضيء، فقال له بعض أصحابه ممازحاً بعبوره على منزله، فقال: نعم، وأنشد ارتجالاً: "^٥

جعلت طريقي على بابه
وما لي على بابه من طريق
وعاديت من أجله جيرتي
وأخيت من لم يكن لي صديق

1 - نفسه.

2 - نفسه.

3 - نفسه.

4 - شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج ٢، ص ١٠، نقلاً عن: أدباء مالطة: ص ١٢٩.

5 - نفسه، ج ٣، ص ٤٠٠.

فإن كان قتلي حلالاً لكم فسيروا بروحي سيراً رفيقاً

ويقول: " واجتاز على سهيل وقد خربه العدو لما أغار عليه وقتلوا أهله وأقاربه، وكان غائباً عنهم، فاستأجر من أركبه دابة، وأتى به إليه، فوقف بإزائه، وأنشد ^١:"

يا دار أين البيض والآرام أم أين جيران عليّ كرام
راب المحبّ من المنازل أنه حياً فلم يرجع عليه سلام
لما أجابني الصدى عنهم ولم يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنماً بمقال صبّ والدموع سجام
يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام "

" وجرى بين السهيلي والرصافي الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافي ^٢:

عفى الله عني فإني امرؤ أتيت السلامة من بابها
على أن عندي لمن هاجني كنائن غصت بنشابها
ولو كنت أرمي بها مسلماً لكان السهيلي أولى بها

ومن شعر السهيلي أيضاً يقول صاحب نفع الطيب " ومن شعره أيضاً لما قال: " كيف أمسيت " موضع " كيف أصبحت " ^٣ :

لئن قلت صباحاً كيف أمسيت مخطئاً فما أنا في ذلك الخطأ بملوم
طلعت وألقي مظلم لفرأكم فخلتكم بدرأ والمساء همومي

يقول صاحب الوفيات " وأشعاره كثيرة وتصانيفه ممتعة " ^٤.

ومن شعره يذكر صاحب البلغة: ^٥

إذا قلت يوماً سلام عليك ففيها شفاء وفيها سقام
شفاء إذا قلتها مقبلاً وإن قلتها مدبراً فالحمام

^١ - نفسه، ج ٣، نقلاً عن المغرب ١: ٣٧٠، ص ٤٠٠.

^٢ - نفسه، ج ٣، ص ٤٠١.

^٣ - نفسه، ج ٣، ص ٤٠١.

^٤ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلکان، وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، ج ٣، ص ١٤٤.

^٥ - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج ١، ص ٣٣.

فأعجب بحال اختلافيهما وهذا سلام وهذا سلام

ومن شعره في المجبنة وهي أفخر ما يصنعها المغاربة من المآكل يقول:

شغف الفؤاد نواعم أباكار
بردت فؤاد الصب وهي حرار
أزكى من المسك الفتيق نسيما
وألذ من صهباء حين تدار
وكأن من صافي اللجين قلوتهما
وكأنما ألوانهن نضار
صفت البواطن والظواهر كلها
لكن حكمت ألوانها الأزهار
عجبا لها وهي النعيم تصوغها
نار وأين من النعيم النار

١٢ - مصنفاته:

- ١- أمالي السهيلي، حققه محمد إبراهيم البنا طبع في القاهرة سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م؛
- ٢- "الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين"؛
- ٣- "التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن والأعلام"^١، وحققه عبد الله محمد علي النقرات ويقول إنه يسمى أيضا "الإيضاح والتبيين لما أبهم في تفسير الكتاب المبين" وقد حققه هيثم عياش وسماه "غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن"؛ وذكره صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة باسم: "كتاب الشريف والإعلام بما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام"^٢. وذكره صاحب الوفيات بعنوان: "التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام"^٣
- ٤- تفسير سورة يوسف، أو "قصة سيدنا يوسف عليه السلام" وهي مخطوط في الخزانة العامة بالرباط برقم (٣١٤٢٧)؛
- ٥- الروض الأنف والمشروع الروي. هو كتاب شرح فيه سيرة ابن هشام ذكر أنه استخرجه من مائة وعشرين مصنفًا؛ ويذكره صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة بعنوان: "الروض الأنف والمشروع الروي فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واحتوى".

^١ - لسان الدين بن الخطيب ، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

^٢ - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج ١، ص ٣٣.

^٣ - شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج ٣، ص ٤٠١.

^٤ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ١٤٣.

ويقول: "وابتدأ إملأه في محرم سنة تسع وستين وخمسمائة، وفرغ منه في جمادى منها"؛ ويذكره صاحب الوفيات بعنوان: "كتاب "الروض الأنف" في شرح سيرة رسول الله ﷺ"؛^١

٦- الفرائض وشرح آيات الوصية. وقد حققه محمد إبراهيم البنا؛ وذكره صاحب الإحاطة بعنوان: "شرح أية الوصية"^٢؛ والعنوان المذكور في البلغة بعنوان: "شرح أية الوصية"^٣.

٧- نتائج الفكر في النحو وهو كتابنا هذا، رتبته الإمام السهيلي على ترتيب أبواب كتاب الجمل لميل قلوب الناس إليه، حققه الدكتور محمد البنا ونشر في جامعة قاريونس سنة ١٣٩٨هـ. وكذلك حققه وعلق عليه كل من: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ونشرت الكتاب دار الكتب العلمية في بيروت- لبنان، حيث نشرت الطبعة الأولى منه سنة: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م؛ وذكره صاحب الوفيات بعنوان: كتاب "نتائج الفكر"^٤، ذكر هذا العنوان صاحب بغية الوعاة^٥، وصاحب البلغة^٦.

٨- "شرح الجمل للزجاجي في النحو لم يتم"^٧؛ ويقول صاحب البلغة: "... وله على الجمل شرح ناقص لم يكمله..."^٨

٩- "مسألة رؤية الله تعالى في المنام، ورؤية النبي ﷺ"^٩؛

١٠- "حلية النبيل في معارضة ما في السبيل"^{١٠}؛

١١- القصيدة العينية؛ ومنها الأبيات:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع

1 - نفسه، ج٣، ص ١٤٣.

2 - لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

3 - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج١، ص ٣٣.

4 - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج٣، ص ١٤٣.

5 - الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢، ص ٨١.

6 - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج١، ص ٣٣.

7 - الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢، ص ٨١.

8 - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج١، ص ٣٣.

9 - شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج٣، ص ١٤٣.

10 - لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

١٢- "مسألة السرّ في عور الدجال"؛

١٣- المسائل المفردات، وهي عبارة عن أمالي متناثرة، أحصاها محمد البناء، فمنها سبع مسائل في النحو، وسبع عشرة مسألة في التفسير والحديث.

١٣- **ثناء العلماء عليه:** ويقول صاحب البلغة: "إمام في اللّغة والنحو وصاحب الاختراعات والاستنباطات مع فطنة فائقة، وشهامة زائدة"^١، يقول صاحب بغية الوعاة: "قال ابن الزبير: كان عالماً بالعربيّة واللّغة والقراءات، بارعاً في ذلك، جامعاً بين الرواية والدراية، نحوياً متقدماً، أديباً، عالماً بالتفسير وصناعة الحديث، حافظاً للرجال والأنساب، عارفاً بعلم الكلام والأصول، حافظاً للتاريخ، واسع المعرفة، غزير العلم، نبهها ذكياً، صاحب اختراعات واستنباطات. تصدر لإقراء والتدريس، وبعد صيته"^٢ ويقول صاحب الإحاطة عليه: "كان مقرباً مجوداً، متحققاً بمعرفة التفسير، غواصاً على المعاني البديعة، ظريف التهدي إلى المقاصد الغريبة، محدثاً واسع الرواية، ضابطاً لما يحدث به، حافظاً متقدماً، ذاكراً للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب، مبرزاً في الفهم، وذكياً، وأديباً بليغاً، وشاعراً مجيداً، ونحوياً عارفاً بارعاً، ويقظاً، يغلب عليه علم العربيّة والأدب. استدعي آخراً إلى التدريس بمراكش، فانتقل إليها من مالقة، محل إقراءه، ومتبواً إفادته، فأخذ بها الناس عنه، إلى حين وفاته"^٣ ويقول ابن خلكان "وأشعاره كثيرة وتصانيفه ممتعة، وكان ببلده يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف، حتى نمي خبره إلى صاحب مراكش فطلبه إليها وأحسن إليه، وأقبل بوجه الإقبال عليه، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام"^٤ ولقد وصفه الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح بالعبري في قوله: "...أضف إلى ذلك البحوث التي كتبها بعض العباقرة من العلماء كالسهيلى وعبد القاهر الجرجاني والرّضي الأسترابادي وغيرهم"^٥

^١ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص ١٤٣.

^٢ - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، ج١، ص ٣٣.

^٣ - الحافظ جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، ج٢، ص ٨١.

^٤ - لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

^٥ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج٣، ص ١٤٤.

^٦ - عبد الرحمان الحاج صالح، "النّظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية" - عد٤، مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة، وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ٢٠٠٧. ص ٥.

١٤ - تنقلاته: ويقول شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني " ... وسكن رحمه الله تعالى إشبيلية مدة، ولازم القاضي أبا بكر بن العربي وابن الطراوة، وعنه أخذ لسان العرب، وكان ضريراً." ^١ ويقصد هنا السهيلي ونفهم من كلامه أن الإمام السهيلي قد سكن في إشبيلية بمعنى أنه انتقل من مالطة موطنه الأصلي إلى إشبيلية، ويقول صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة " دخل غرناطة. وكان كثير التأميل والمدح لأبي الحسن بن أضحى قاضيها ورئيسها. وله في مدحه أشعار كثيرة، وذكر لي من أرخ في الغرناطيين، وأخبرني بذلك صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عن يثق به." ^٢ ويقول ابن الزبير في بغية الوعاة: "... وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة واستدعى إلى مراکش، وحظي بها، ودخل غرناطة." ^٣ ويبدو من هذا الكلام أن أبا القاسم قد دخل غرناطة، وكما هو معروف فقد توفي بمراكش بمعنى أنه قد انتقل إلى المغرب وبالضبط إلى مراکش أين توفي ودفن فيها؛ رحمه الله. ومن هنا يتبين لنا أن السهيلي يسافر ولم يمنعه عماء من عيش حياته، والاستمتاع بها.

١٥ - وفاته: يقول صاحب البلغة: "... مات بمراكش سنة ثمان وثمانين خمسمئة." ^٤ يقول ابن خلكان: " توفي بحضرة مراکش يوم الخميس ودفن وقت الظهر وهو السادس والعشرون من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله، وكان مكفوفاً." ^٥ ويقول صاحب الإحاطة: " وتوفي في مراکش سحر ليلة الخامس والعشرين من شعبان أحد وثمانين وخمسمائة، ودفن لظهره بجبانة الشيوخ خارج مراکش، وكان قد عمى سبعة عشرة عاماً من عمره." ^٦ ويقول شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني " وتوفي السهيلي بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وزرت قبره بها مراراً سنة عشر وألف، وسكن رحمه الله تعالى إشبيلية مدة، ولازم القاضي أبا بكر بن العربي وابن الطراوة، وعنه أخذ لسان العرب،

^١ - شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج٣، ص ٤٠١.

^٢ - لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

^٣ - الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢، ص ٨١.

^٤ - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج١، ص ٣٣.

^٥ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، ج٣، ص ١٤٤.

^٦ - لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

وكان ضريراً^١. " فكما نلاحظ فإن ابن خلكان يقول بأنه كان مكفوفاً، ولم يذكر لنا ما به بالضبط؛ ويقول لسان الدين بن الخطيب أنه فقد بصره وهو في السابعة عشرة من عمره، وقال قبل ذلك أنه أملى كتابه " الروض الأنف والمشرع الروا فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واحتوى. " ويقول: " وابتدأ إملاءه في محرم سنة تسع وستين وخمسماية، وفرغ منه في جمادى منها^٢ بمعنى أنه أملاه إملاءً ولم يكتبه فربما لأنه كان أعمى؛ أما صاحب النفع فيقول إنه كان ضريراً، وعليه نستنتج أن ضرره هو العمى، ولكن كما هو واضح لنا فإن عماء لم يمنعه عن التأليف؛ وهو من قال في مقدمة كتابه " نتائج الفكر في النحو " من ألف فقد استهدف" بمعنى أنه لا يؤلف فقط بل يستهدف ويبدع ويبتكر، رحم الله الإمام السهيلي، وأسكنه فسيح جنانه. ويقول صاحب بغية الوعاة: "توفي ليلة الخميس خامس عشري شوال سنة إحدى وثمانين وخمسائة".^٣

وللحصول على معلومات أكثر عن الإمام السهيلي، يمكن على القارئ العزيز أن يبحث في: " بغية الملتمس (٢ / ٤٧٧)، إنباه الرواة (٢ / ١٦٢)، وفيات الأعيان (٣ / ١٤٣)، العبر (٤ / ٢٤٤)، الوافي (١٨ / ١٧٠)، البداية والنهاية (١٢ / ٣٣٩)، غاية النهاية (١ / ٣٧١) البلغة (١٣١)، الديباج المذهب (١ / ٤٨٠)، بغية الوعاة (٢ / ٨١)، طبقات المفسرين للداودي (١ / ٢٧٢)، نفع الطيب (٣ / ٤٠٠)، الشذرات (٦ / ٤٤٥)، روضات الجنات (٥ / ٤٤)، معجم المفسرين (١ / ٢٦٧)، الأعلام (٣ / ٣١٣)، معجم المؤلفين (٢ / ٩٤)، مقدمة كتاب " الروض الأنف"، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، رسالة ماجستير بعنوان " السهيلي ومنهجه في النحو واللغة" نضال محمد إبراهيم - جامعة البصرة - (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م)، " نتائج الفكر في النحو للسهيلي - تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا دار الاعتصام، موقف ابن تيمية من الأشعرية (١ / ٢٤٤)".^٤ وكذلك في: " ترجمة السهيلي في زاد المسافر: ٩٦ وبغية الملتمس (رقم: ١٠٢٥) والتكملة (رقم: ١٦١٣) والديباج المذهب: ١٥٠ والمغرب ١: ٤٤٨ والنفع ٢: ١٠٢ ونكت الهميان: ١٨٧ وانباه الرواة ٢: ١٦٢ وتذكرة الحفاظ: ١٣٤٨

^١ - شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج٣، ص ٤٠١.

^٢ - لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة.

^٣ - الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢، ص ٨١.

^٤ - وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، بشير بن جواد القيسي، مصطفى بن قطان الحبيب، عماد بن محمد البغدادي، الموسوعة الميسرة، في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم، ص ١١٦١.

وعبر الذهبي ٤: ٢٤٤ والشذرات ٤: ٢٧١ وغاية النهاية ١: ٣٧١؛ والترجمة هنا مطابقة لما في المسودة. وانظر المطرب: ٢٣٠ وفيه ترجمة مطولة له.^١

^١ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، ج ٣، ص ١٤٣.

الفصل الأول

المستوى النحوي

I. المصطلح النحوي في كتاب "نتائج الفكر في النحو":

استعمل الإمام السهيلي مصطلحات كثيرة، وحاولت دراستها من أجل النظر في منهجه، ومذهبه النحوي، فكما يقول الدكتور أحمد عبد العظيم عبد الغني عن المصطلح: "والمصطلح - في أية دراسة نحوية- ليس إلا جزءاً من بناء نظري للغة، ومن ثمة فإنّ عزل المصطلح فهماً وتقييماً عن الهيكل النظري الذي ينتمي إليه يحول بين الدّارس وبين النظرة العلمية للأمور، ويقف حجر عثرة بينه وبين الحكم على المصطلح في بيئته فلا يدرك أثر الهيكل النظري في اضطراب المصطلح، ولا يتبين دور تداخل المصطلحات في تهالك الهيكل النظري وفقده أسس الصناعة المتطلبة من ضوابط تتسم بالدقّة وقواعد تتصف بالاطراد"¹ والهدف من هذا الباب هو تقديم موقف الإمام السهيلي في كتابه نتائج الفكر في النحو من مصطلحات من سبقوه ممن يشاركونه المذهب، أو ممن يخالفونه الاتجاه. فلقد أنجز الدكتور أحمد عبد العظيم عبد الغني، في كتابه المصطلح النحوي، دراسة نقدية تحليلية بحث يتناول مصطلحات النحو كما هي في كتب أئمة المدارس والعصور المختلفة، حيث يقول: "ومن ثمة فإنّ الباحث حين يشير إلى النحاة فإنه لا يعني أفراد النحاة فرداً فرداً وكتاباً كتاباً، وإنما يقصد نوعين من النحاة: أولئك الذين لخصوا عصورهم، وعبروا عن سبقهم، وتبعتهم أجيال من بعدهم ظلت ترتدي عباءاتهم إلى أن ينسج لهم من وُهب روح استيعاب عصره عباءة قد تمايز في التصنيف عباءة السابقين وإن شاركتها في ما يتعلق بموضوع هذا البحث، والنوع الثاني من النحاة هم أولئك الذين ينطبق عليهم قول القدماء: "كل الصيد في جوف الفرا" أولئك الذين جعلوا غايتهم في كتبهم تتبع ما انتهى إليهم من أقوال النحاة، ورصدها، واتخاذ مواقف منها تأييداً أو معارضة، ومن هؤلاء من يجمع إلى خصائصه هذه خصائص الريادة التي يتصف بها فريق الأولين من مغيري اتجاه الأجيال، وأعني بالفريق الأول نحاة من أمثال المبرد، وأبي علي الفارسي، وابن جني، وابن الحاجب، والرضي، وابن عصفور، وابن الأنباري... إلخ؛ وبالفريق الثاني نحاة من أمثال الزجاجي، والزمخشري، وابن مالك، والبغدادى، والبطلبوس، وابن عقيل، والسيوطي، وابن هشام، والمرادي، الحيدرة اليمنى، إلى آخر هؤلاء وأولئك الذين سيرد ذكرهم خلال البحث.² ويقول الباحث أنّه

¹ - أحمد عبد العظيم عبد الغني، المصطلح النحوي، دراسة نقدية تحليلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٢.

² - نفسه، ص ٤.

" ولقد تجنب البحث- عن قصد - سيبويه لأنّ المصطلح عنده وفي عصره كان في مرحلة طفولته المبكرة، فهو- مثلاً- يسمى " أسماء الأفعال " "حروفاً"¹، ولا يقلل من هذا ما يقصده سيبويه بمفهوم " الحرف" ذلك أنّ القصد في وضع المصطلح لا يظهر إلا في استعماله لا فيما نوى به، ويسمى " الحال " "صفة" و"خبراً"²، ويطلق مصطلح "صفة" على "النعته" و" الحال" و"التمييز"³، ويسمى "المقصور" "منقوصاً"⁴، ويستخدم مصطلح "قلب" بمعنى عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة⁵، وبمعنى "التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر"⁶، وبمعنى القلب المكاني⁷، ويسمى التوكيد صفة⁸، ويسمى العطف نعته⁹، ويسمى التمييز حالاً¹⁰. فكما نلاحظ فهناك تباين كبير في استعمال المصطلحات النحوية، وعليه فهذه الدراسة فربما تصلنا إلى نتيجة ألا وهي: مصطلحات الإمام السهيلي هل هي ناضجة وموافقة للمصطلحات التي نستعملها اليوم؟ وهل يمكن الاستفادة منها لقيام نظرية نحوية أفضل من سابقتها؟ وإلى أي مدى مصطلحاته أو تعريفاته للمصطلحات النحوية قريبة من المصطلحات اللغوية الحديثة؟

١-١ تقسيم الكلم لدى القدماء: يقول الأستاذ فاضل مصطفى الساقى: " يكاد يجمع النحاة القدماء - بصريون وكوفيون - على أنّ الكلم في العربيّة ينقسم إلى أقسام: اسم، وفعل، وحرف، جاء ذلك على لسان: سيبويه، والكسائي، والفراء، والمبرد، والزجاج، وابن السراج، والزجاجي، والفارسي، والرماني، وابن فارس، والبطلوسي، والزمخشري، وابن

1 - أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلوسي، كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠، ص ١٦٧.

2 - ينظر، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط ٣، ج ٢، ص ٤٩، ٥٠، ٨١، ٧٨.

3 - ينظر، نفسه، ج ٢، ص ١٢١.

4 - ينظر، نفسه، ج ٣، ص ٢٨٦، ٣٩، ٣٩١، ٤١٢، ٤١٤.

5 - ينظر، نفسه، ج ٢، ص ٥٠، ٥١.

6 - ينظر، نفسه، ج ٣، ص ١٢٥، ١٢٧.

7 - ينظر، نفسه، ج ٢، ص ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٨٩، ٤، ص ٣٨٠، ٢٨١.

8 - ينظر، جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، تح: مازن المبارك، ومحمد على عبد الله، منشورات سيد الشهداء، أصفهان، ط ٥، ج ٢، ص ١٣٩.

9 - ينظر المرجع السابق ج ٢، ص ١٢٩.

10 - ينظر، عبد القادر بن عمر البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ٤، ص ٩٩.

الأنباري، وابن يعيش، وابن الحاجب، وابن مالك، والرضي، وابن هشام، وابن الصائغ، والسيوطي، وغيرهم ممن نذكره في أثناء استعراضنا لأقوال النحاة.¹ وقد اختلف النحاة في تقسيم الكلم حيث يقول: " اختلف النحاة في مجال تقسيم الكلم، فمنهم من راعى الأسس الشكلية في التقسيم ومنهم من راعى الأسس الوظيفية، أو ما يعبر عنه النحاة المحدثون بالمعاني الوظيفية، ومنهم من جمع بين هذه وتلك."² فكما نلاحظ فالاختلاف من حيث الشكل والوظيفة.

أ- سيبويه: يقول سيبويه: "هذا باب علم ما الكلم من العربية فالكلم: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل. فالاسم: رجل، وفرس، وحائط. وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع."³

ب- المبرد: ولقد " ذكر المبرد أنّ الكلام كله اسم، وفعل وحرف جاء لمعنى، لا يخلوا كلاماً- عربياً كان أو أعجمياً من هذه الثلاثة."⁴

ج- ابن السراج: يقول ابن السراج: " الكلام: يتألف من ثلاثة أشياء: "اسم" و"فعل" وحرف."⁵

د- أبو حيان التوحيدي: يقول أبو حيان التوحيدي: " ونقدم القول في مواد الكلم: وهي حروف الهجاء وتسمى حروف المعجم،"⁶ "... وهذه الحروف مواد الكلم العربية كما ذكرنا، والكلم اسم جنس بينه وبين واحده التاء، والواحد كلمة وهي قول أو منوى معه دال على معنى مفرد. وأقسامها اسم وفعل وحرف، وزاد بعضهم: وخالفه، وهي التي يسميها البصريون: اسم فعل، ويسميها الكوفيون فعلاً."⁷

1 - فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ٣٣ - ٣٤.

2 - نفسه، ص ٣٥.

3 - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، ص ١٢.

4 - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، كتاب المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، ١٤١٥ - ١٩٩٤م، ج ١، ص ١٤١.

5 - أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ط ٣، ج ١، ص ٣٦.

6 - أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب، من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، ج ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٥.

7 - نفسه، ص ٢١.

ويقول الأستاذ فاضل مصطفى الساقى: " إنَّ أهم ما تضمنته مقالة ابن فارس في تقسيم الكلم هو: إجماع أهل العلم أنَّ أقسام الكلم ثلاثة: اسم، وفعل وحرف."¹

٢-١ تقسيم الكلم لدى السهيلي: يقول الإمام السهيلي في باب أقسام الكلام: " قال فيه أبو القاسم (رحمه الله) : أقسام الكلام (ثلاثة) : اسم وفعل وحرف. وهذه العبارة - على طولها - واهية مردودة، وعبارة سيبويه - على إيجازها - صحيحة مفيدة قال سيبويه: " الكلم: اسم وفعل وحرف ". ووجه الرّد على أبي القاسم في عبارته من وجهين: أحدهما: أنَّه عبر بالكلام عن الكلم الذي هو جمع كلمة، إذ الاسم والفعل والحرف، كل واحد منها كلمة. وجمع الكلمة كلم، كما تقول: لبنة ولبن. وأما الكلام فهو اسم مفرد يعبر به عن المعنى القائم في النفس الذي تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات. ثم قد يسمى اللفظ الدال عليه كلاماً، على مذهب العرب في تسميتهم الشيء باسم الشيء الذي اتصل به أو كان سبباً له. والوجه الثاني أنه قال: " أقسام الكلام ثلاثة "، فنوع الكلام ثلاثة أنواع، وجعل الكلام جنساً جامعاً لها، فخرج من مضمون ذلك أنَّ الاسم على حدته يسمى كلاماً وكذلك الحرف والفعل، كما أنك لو قلت: " الحيوان ينقسم قسمين: إنساناً وبهيمة " لكان كل قسم من الحيوان يسمى حيواناً، وكذلك جميع الأنواع الواقعة تحت الأجناس. وليس كذلك مسألتنا، فإنَّ " زيدا " ليس كلاماً على حدته، ولا " من "، و" عن "، ولا " قام "، بل كل واحد منهن كلمة وليست بكلام. قال سيبويه: " وإنما يحكى ما كان كلاماً لا قولاً، وما لم يكن هكذا سقط القول عليه ". وأصح من هذه العبارة عبارة من قال: " الكلام (ما) يتألف من ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف "، إلا أنَّها (أيضاً) معترضة من وجه واحد، وهو أنه قد يوجد في الكلام ما يتألف من شيئين، نحو: قام زيد، فليس الكلام كله يتألف من هذه الثلاثة، بل أكثره. فإن قيل: فما تصحيح عبارة من قال: الكلام ينقسم ثلاثة أقسام؟ فالجواب أن يقال: صحيحها أن يقال: ثلاثة أقسام: خبر، واستخبار وطلب. فكل واحد من هذه كلام، وليس كذلك الاسم والفعل والحرف."² فالكلم عند الإمام السهيلي مثلما قال سيبويه، فهو " اسم وفعل وحرف"، أما الكلام: " فهو اسم مفرد يعبر به عن المعنى القائم في النفس الذي تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات"³ فإنَّ السهيلي

¹ - فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص ٤٥.

² - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٤٩ - ٥٠.

³ - نفسه، ص ٤٩.

لم يوافق الزجاجي في قوله أنّ الكلام " اسم وفعل وحرف " وردّ عليه بقوله: " وهذه العبارة - على طولها - واهية مردودة، وعبارة سيبويه - على إيجازها - صحيحة مفيدة"، وصحح كلّ هذا السهيلي في قوله: " فما تصحيح عبارة من قال: الكلام ينقسم ثلاثة أقسام؟ فالجواب أن يقال: صحيحها أن يقال: ثلاثة أقسام: خبر، واستخبار وطلب. فكل واحد من هذه كلام، وليس كذلك الاسم والفعل والحرف.

٣-١ تقسيم الكلم لدى المعاصرين:

١- الأستاذ مهدي المخزومي: يقول محمد أحمد نحلة: " كذلك أخذ الدكتور مهدي المخزومي على النحاة تشبثهم بهذا التقسيم الثلاثي ورأى أنّ الأمر يبدو على غير ما توهموا، فثمة كلمات لا ينطبق عليها تعريف الأسماء ولا تعريف الأفعال ولا تعريف الأدوات، ولم يعرض لها سيبويه، فهي كلمات مبهمّة تطلق على الموجودات كلها، ولا تدل على معنى... وقال: وإذا كان الأمر كذلك فجدّير بنا أن نقسم **الكلم** أربعة أقسام بدلاً من ثلاثة مما جرى عليه عرف النحاة قديماً وحديثاً وهي: ١- الفعل، ٢- الاسم، ٣- الأداة، ٤- الكناية^١ (والكناية عنده تشمل الضمائر، وكلمات الإشارة، والموصولات، وكلمات الاستفهام والشرط). فلو تأملنا رأي الأستاذ مهدي المخزومي يقول الأستاذ فاضل: لم يذكر الدكتور مهدي المخزومي أنّ **الكلمة** في الكتاب ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى^٢. ويقول الأستاذ مهدي المخزومي عن الفعل: " لم يحظ الفعل في الدرس النحوي بعناية النحاة، ولم يدرس في تفصيل يكشف للدارسين ما له من دور كبير في الكلام"^٣ " وقد كان ملاحظاً أنّ للاسم عند النحاة منزلة خاصة تفوق ما لأجزاء الكلام الأخرى"^٤ ويقول عن أزمنة الفعل: " ... وهذا يعني أنّ العربيّة قد أهملت المجالات الزمنية التي يتضمنها الزمن الواحد، كالماضي مثلاً، ولم يكن لديها من الأبنية ما تعبر به عن تلك المجالات."^٥

^١ - محمد أحمد نحلة، في المصطلح النحوي، الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٤، نقلاً عن مهدي المخزومي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ص ٤٥ وما بعدها.

^٢ - فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص ١٢٦.

^٣ - مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، ١٩٦٤، بيروت، ط ١، ص ١٤١.

^٤ - نفسه، ص ١٤١.

^٥ - نفسه، ص ١٤٥.

ب- الأستاذ تمام حسان: يقول الأستاذ تمام حسين: " ولقد قسم النحاة القدماء الكلمات على أسس لم يذكرها لنا، وإنما جابهونا بنتيجة هذا التقسيم إلى اسم، وفعل وحرف ولكننا إذا نظرنا إلى هذا التقسيم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة أمكننا أن نصل إلى شيئين:

١- إن الكلمات العربية يمكن أن ينقد تقسيمها القديم.

٢- إن هذا النقد ينبى على أسس يمكن استخدامها في تقسيم الكلمات تقسيماً جديداً، ونحن الآن مطالبون بأن نأتي بهذه الأسس التي ينبني عليها تقسيم الكلمات."^١ وقد أورد الأستاذ تمام حسان أسساً رأى أنها يمكن أن ينبني عليها تقسيم الكلمات وشرح تطبيق كل منا على التقسيم، فالشكل الإملائي، والتوزيع الصرفي، والأسس السياقية، ومعنى الوظيفة والوظيفة الاجتماعية، أسس صالحة لأن تكون منطلقاً لتقسيم الكلمات في اللغة العربية وتوضيح حقيقتها.^٢ ويقول أيضاً " ولقد قسم النحاة الكلم إلى ثلاثة أقسام، يقول ابن مالك: واسم وفعل ثم حرف الكلم ثم حاولوا راشدين عند إنشاء هذا التقسيم أن يبنوا على مراعاة اعتباري الشكل والوظيفة، أو بعبارة أخرى: المبني والمعنى، إذ ينشؤون على هذين الأساسين فيما خلافية، يفرقون بها بين كل قسم وقسم آخر من الكلم، كما يفعل اللغويون في المحدثون في يومنا هذا حين يجرون مثل هذا التقسيم للكلم في لغة ما... كما يتضح أيضاً في قول النحاة الآخرين: الاسم ما دل على مسمى والفعل ما دل على حدث وزمن، والحرف ما ليس كذلك... و الأبيات التي يقول فيها ابن مالك ذلك هي:

بالجرّ والتتوين والندا وألّ ومسندٍ للاسم تميزٌ حصلُ

بتاً فعلتَ وأنتَ ويا افعلِ ونون أقبِلنَّ فعلٌ ينجلي

سواها الحرف كهل وفي لم

فرقت بين أقسام الكلم تفريقاً من حيث المبني، وأنّ الموقف الذي لخصناه عن النحاة الآخرين قد فرق بين هذه الأقسام تفريقاً من حيث المعنى، وأنّ التفريق على أساس من المبني فقط، أو من المعنى فقط ليس هو الطريقة المثلى التي يمكن الاستعانة بها في أمر

^١ - فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، نقلاً عن: تمام حسان، مناهج البحث، ص ١٩٦.

^٢ - نفسه، ص ١٣٧.

التمييز بين أقسام الكلم، فأمثل الطرق أن يتم التفريق على أساس من الاعتبارين مجتمعين، فيبنى على طائفة من المباني ومعها (جنباً إلى جنب فلا تتفك عنها) طائفة أخرى من المعاني.¹ ويقول تمام حسان: "من هنا يتضح أنّ الأقسام السبعة التي ارتضيها للكلم موضحين بها مواطن الضعف في التقسيم الذي ارتضاه النحاة من قبل هي كلاً يأتي: الاسم - الصفة - الفعل - الضمير - الخالفة - الظرف - الأداة"² ويقول الأستاذ سليمان فياض "تنقسم الكلمة العربيّة إلى: اسم، وفعل، وحرف، واسم فعل"³ فهو يستعمل مصطلح الكلمة للتعبير عن الكلم، وما يمكن قوله فإنّ النحاة قدماء ومحدثون متفقون على أنّ الكلم فيه اسم، وفعل، وحرف، فهذا اجماع منهم أما من زاد قسم أو أكثر فعلى القارئ أن يختار التقسيم الذي يقنعه أكثر، كما نلاحظ خطأً بين مصطلح الكلم والكلام والكلمة وهذا ما تظن إليه الأستاذ أبو القاسم السهيلي وقد فصل فيه بطريقة مقنعة وصحيحة.

٢-١ الاسم لدى القدماء: إنّ سيبويه لم يحدد الاسم بل اكتفى بالتمثيل له، فقال: "فالكلم اسم وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسم: رجل، وفرس؛"⁴ فقد كان تمثيله للاسم بالرجل والفرس والحائط على أساس شكلي وقال أيضاً "الاسم هو المحدث عنه"، فقد راعى بذلك المعنى الوظيفي للاسم. "ولقد ذكر المبرد أنّ الكلام كله اسم، وفعل وحرف جاء لمعنى، لا يخلوا كلاماً - عربياً كان أو أعجمياً من هذه الثلاثة"⁵. وأنّ الاسم ما كان واقعاً على معنى نحو رجل، فرس، وزيد، وعمرو، وما شابه ذلك، وأنّ أشهر علامة يتميز بها الاسم عنده هي دخول حرف الجر عليه وإلا فهو ليس باسم، مراعيًا بذلك الجانب الشكلي في التقسيم وإن أوحى بالمعنى الوظيفي. كما نقل عنه أنّ الاسم ما صلح أن يكون فاعلاً لكي يؤدي وظيفة الفاعلية، ويعترض على أقواله بأنّ بعض الكلمات التي اعتبرها هو وأمثاله من النحاة أسماء لا يصلح دخول حرف الجر عليها، كإذا، وكيف، ومهما، وأن (كيف) و(عند)، (حيث) و(أين) مثلاً هي أسماء عند النحاة وهي لا تصلح أن تكون فاعلة، ولا تؤدي وظيفة الفاعل، فلا يصلح لها الفعل، فلا

¹ - تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤، ص ٨٧.

² - نفسه، ص ١٣٣ .

³ - سليمان فياض، النحو العصري، دليل مبسط لقواعد اللّغة، مركز الأهرام، ١٩٩٥، ط١، ص ١٤.

⁴ - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، ص ١٢.

⁵ - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، كتاب المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٤١٥ -

١٩٩٤م، ج١، ص١٤١.

يجوز أن تقول (جاء كيف) و(ذهب عند) و(رجع أين) وإذن فلا بد أن تخرج هذه الكلمات وأمثالها عن حد الاسم ليستقيم قول المبرد ويركن إلى رأيه.¹ ويقول أيضاً " نقل عن الكسائي أنه قال: " الاسم ما وصف"، مستنداً في التحديد على أساس وظيفي والوصفية، وقد عارض قوله بأنّ هناك كلمات اعتبرها النحاة أسماء ولا يجوز وصفها مثل (كيف وأين) فلا بد من إخراج مثل هذه الكلمات من قائمة الأسماء ليصح قوله.² وعن ابن السراج يقول: " ذكر ابن السراج أنّ الكلام يتألف من ثلاثة أشياء: اسم، وفعل، وحرف، وبين أنّ الاسم ما دلّ على معنى مفرد وذلك المعنى يكون شخصاً. وقد راعى في ذلك المعنى الوظيفي للتقسيم ودلالة الاسم على مسمى مجرد من الزمن ولم يراع في حده الجانب الشكلي وهو جانب المبنى، وقد أدرج في الحد المصادر والظروف حيث قال: " وأما ما كان غير شخصي فنحو: الضرب، والأكل، والظن، والعلم، واليوم، والليلة والساعة". وذكر ابن السراج أيضاً أنّ الاسم ما جاز أن يخبر عنه نحو قولك: عمر منطلق، وقام بكر، والفعل ما كان خبراً ولا يجوز أن يخبر عنه نحو قولك: أخوك يقوم، وقام أخوك، فيكون حديثاً عن الأخ، ولا يجوز أن تقول ذهب يقوم، ولا يقوم يجلس. وبهذا أكدّ ابن السراج المعنى الوظيفي في تحديد الاسم، إلا أنّه استدرج فذكر أيضاً علامات شكلية يميز بها الاسم عن غيره من أقسام الكلم، وكأنّه أحس بأنّ المعاني الوظيفية للاسم غير كافية لتحديده، فقال: " والاسم قد يعرف أيضاً بأشياء كثيرة منها:

- دخول الألف واللام اللتين للتعريف عليه نحو الرجل والحمار، والضرب والحمد، فهذا لا يكون في الفعل؛

- الاسم ينعت والفعل لا ينعت؛

- الاسم يضم ويكنى عنه.

ويقول: " إلا أنّ هذه الأشياء ليس يعرف بها كل اسم وإنما يعرف بها الأكثر،...³ ويقول فاضل مصطفى الساقى أنّ الزجاجي استند في تحديد الاسم على " أسس شكلية حيناً ووظيفية حيناً آخر ومزج بين الأسس الشكلية والوظيفية في بعض الأحيان، فالاسم عنده: ما جاز أن يكون فاعلاً، أو مفعولاً أو دخل عليه حرف من حروف الخفض، وميز الاسم بانفراده بقبول الجر، والتنوين، ودخول الألف واللام عليه، وصلاحيته لأن يكون

¹ - فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص ٣٦.

² - نفسه، ص ٣٨.

³ - نفسه، ص ٣٩ - ٤٠. بتصرف.

موصوفاً، ومضمرأً، ومنادى، وقد عورض بأنّ من الأسماء ما لا يكون فاعلاً، ولا مفعولاً ولا يدخل عليه حرف من حروف الجر، وهي الأسماء التي ذكرها الزجاجي نفسه في باب " ما لا يقع إلا في النداء خاصة، لا يقال: جاءني هنا، ولا رأيت هنا، ولا مررت بهنا، لأنه للنداء خاصة."¹ ويقول: " ذكر الفارسي أنّ ما جاز الإخبار عنه من الكلم فهو اسم، مراعيًا بذلك المعنى الوظيفي في التحديد، وأدرج المصادر في طائفة الأسماء فقال: والاسم الدال على معنى غير عين نحو العلم والجهل في هذا الاعتبار كالاسم الدال على عين، وذلك بعد أن ذكر أنّ الكلام يتألف من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف. إلا أنّ الفارسي لم يهمل الجانب الشكلي في تحديد الاسم فذكر له علامات يعرف بها وهي:

- جواز دخول الألف واللام عليه ولحاق التتوين له، فكل كلمة قبلت هاتين العلامتين فهي عنده هو (أل) المعرفة."² و" ذكر الرماني أنّ الاسم كلمة تدل على معنى من غير اختصاص بزمان دلالة البيان مراعيًا بذلك المعنى الوظيفي في التحديد وهو دلالة الاسم على المسمى، دون أن يدل على شيء من الزمان."³ و" ذكر ابن فارس ما قاله أشهر النحاة في حد الاسم وعلاماته وسرد آراءهم ثم أورد مناقشة جادة ونافعة لها أثرها في توجيه البحث."⁴

إنّ أهم ما تضمنته مقالة ابن فارس في تقسيم الكلم وبيان مفهوم الاسم ما يلي:

أ- إجماع أهل العلم أنّ أقسام الكلم ثلاثة: اسم، وفعل وحرف.

ب- نقل ابن فارس آراء سيبويه في تحديد الاسم، فالاسم عند سيبويه، رجل، وفرس، والاسم عنده هو أيضاً المحدث عنه، والاسم عنده ما صلح أن يكون فاعلاً وقد عورض سيبويه بأنّ رأيه الأول مجرد تمثيل للاسم وليس تحديداً له، وبأنّ (كيف، وعند، وحيث، وأين) اعتبرها أسماء ولكنها لا يتحدث عنها ولا يصلح لها الفعل - أي لا تصلح أن تكون فاعلاً، كما أورد في رأيه الثاني والثالث.

نقل ابن فارس عن الكسائي، نقل عن الفراء قوله: الاسم ما احتمل التتوين، أو الإضافة أو الألف واللام معتمداً أساساً شكلية محضة في تحديد الاسم.

1 - نفسه، ص ٤١.

2 - نفسه، ص ٤٣.

3 - نفسه، ص ٤٤.

4 - نفسه، ص ٤٤. نقلاً عن الصاحبى، ص، ٤٩ - ٥١.

وقد عورض قوله بأنّ هناك كلمات اعتبرها النحاة أسماء، ولكنّها لا تتون، ولا تضاف ولا يضاف إليها، ولا يدخلها الألف واللام مثل (كيف، وأين) وتحديد الفراء الاسم بهذه العلامات أمر يسوغ إخراج ما لم تنطبق عليه من حيز الأسماء إلى أقسام آخر.

نقل ابن فارس عن الأخفش أنّ الكلمة تكون اسماً إذا صلح لها الفعل والصفة، وقبلت التثنية والجمع وامتنعت عن التصريف، معتمداً أساساً شكلية ووظيفية في التحديد قد عورض قوله هذا بأنّ (كيف، وأين، وإذا) - وقد اعتبرها النحاة أسماء - لا ينطبق عليها هذا التحديد، فلا بد إذن من إخراجها من طائفة الأسماء ليصح قول الأخفش.¹

و" نقل ابن فارس أنّ الزجاج قد سئل عن حد الاسم فقال: صوت مقطوع مفهوم دال على معنى غير دال على زمان أو مكان، مستنداً بذلك على أساس من الوظيفة التي يؤديها وهي الدلالة على المسمى دون الزمان، وقد عورض قوله هذا بأنّ الحرف مثل (هل وبل) صوت مقطوع مفهوم دال على معنى غير دال على زمان ولا مكان. فلا يصح إذن قول الزجاج في تحديد الاسم لأنه يُدخِل الحروف في هذا التحديد.² و" ذكر ابن فارس أنّ بعض النحاة قالوا، إنّ الاسم هو ما صلح أن ينادى فقال، إنّ هذا القول خطأ أيضاً، لأنّ كيف وأين، وإذا لا يصلح أن ينادى فقال، إنّ هذا القول خطأ أيضاً، لأنّ كيف وأين، وإذا لا يصح أن يقع عليها نداء، وقد اعتبرها النحاة أسماء، وفي تصوري - كما ذكرت - أنّ مثل هذه الكلمات ينبغي أن تخرج من طائفة الأسماء ليصح قول النحاة في صلاحية الاسم لأن يكون منادى.³ ويقول: " ويرى أبو عبد الله الطوال - فيما أورده البطليوسي - أنّ الاسم ما اعتورته المعاني، وانتسبت إليه الأوصاف، مستنداً في التحديد على أساس وظيفي، وقد عورض قوله بأنّ الأفعال أيضاً تعتورها المعاني، وأنّ هناك كلمات اعتبرها النحاة أسماء ولكنّها لا توصف. وقد سبق القول بذلك.⁴ وكذلك يقول: " ويرى بعض النحاة - فيما أورده البطليوسي أيضاً - أنّ الاسم ما جاز أن ينادى، وما جاز أن يمدح ويذم، وهذا خطأ لأنّ هناك كلمات اعتبرها النحاة أسماء لا يصح فيها النداء والمدح والذم مثل: كيف، وأين، وإذا وأمثالها، فلا بد من إخراج هذه الكلمات من حيز الأسماء ليصح

1 - نفسه، ص ٤٥.

2 - نفسه، ص ٤٦.

3 - نفسه، ص ٤٦.

4 - نفسه، ص ٤٨.

رأيهم في تحديد الاسم.¹ ويخلص من كل هذا الأستاذ فاضل مصطفى الساقى قائلاً: " بعد هذه الجولة مع البطليوسي ومناقشاته لآراء النحاة، يمكننا أن نستخلص منها الأمور التالية:

- ١- التأكد من اضطراب النحاة في تحديد مفهوم واضح للاسم وبين علاماته؛
- ٢- لا بد من إخراج كثير من الكلمات من طائفة الأسماء لتصبح آراء النحاة فيما قالوه عن الاسم. كالأدوات والإشارات، والضمائر وما يسمى بأسماء الأفعال؛
- ٣- إن إجماع سيبويه عن وضع تحديد واضح للاسم واكتفائه بالتمثيل له، كان من أسباب الاضطراب الذي وقع فيه النحاة في مجال التحديد، وفي ذلك محاولة لإدراج كثير من الكلمات العربية في طائفة الأسماء دون أن تصلح لذلك على مستوى الشكل والوظيفة، واصطناع للمسوغات التي طوقت فكر النحاة العرب في تقسيم الكلم بعيداً عن ترجمة الظواهر اللغوية بوصف دقيق لما عبر به العربي الأول حين استخدام مختلف أنواع الكلمات في الأساليب المتعددة؛
- ٤- أنّ البطليوسي - وقد شخص الخلل في أقوال النحاة في مجال تحديد الاسم - لم يكلف نفسه إعطاء الحلول لما أشكل عليهم فأبقى كما أبقى ابن فارس من قبل على الاضطراب والتساؤل دون أن يضع جواباً.^٢ فكما نلاحظ فقد كثر البحث في الاسم، وتقريباً كل التعريفات نفسها، ولكن لا نجد فيها تعريفاً جامعاً وكاملاً يشفي الغليل.

٢-٢ الاسم لدى السهيلي: يقول السهيلي: " المعاني المدلول عليها في الأسماء ثلاثة أقسام: مخبر عنه، وداخل في حديث غيره، ومضاف إليه - فلا يحتاج إلى إعراب رابع، لأنه لا مدلول له.^٣ ويقول كذلك: " الاسم الذي هو " السين " و " الميم " عبارة عن اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى هو الشيء الموجود في العيان - إن كان من المحسوسات - كزيد وعمرو - وفي الأذهان - إن كان مع المعقولات - كالعلم والإرادة. فذلك الموجود الذي في العيان أو الموجود الذي في الأذهان وضعت له عبارة في اللسان. بما يترجم عنه، ويتوصل إلى فهمة والكشف عن حقيقته، ثم ذلك الشيء المعبر عنه - وهو الشخص مثلاً - كما استحق بأن يكون له عبارة بين المتخاطبين يترجمون بها عنه. وهي " الزاي " و " الياء " و " الدال " مع قولك " زيد " مثلاً، فكذلك استحق هذا اللفظ

١ - نفسه، ص ٤٨.

٢ - نفسه، ص ٥١.

٣ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٧٢.

المؤلف من هذه الحروف أن يعبر عنه بعبارة أخرى يعبر بها عنه، لأنه شيء موجود في اللسان، مسموع في الآذان.^١ فهنا نجد السهيلي تارة يطلق مصطلح الاسم وتارة أخرى يذكر مصطلح اللفظ، ويقول أيضاً: " ...أنّ الاسم غير مشتق من شيء، وأنّ الألف واللام من نفس الكلمة..."^٢ من هنا يتضح لنا أنّ الامام السهيلي ينطلق في دراسته من "الاسم" هو المتقدم على كل لفظ وعبارة، وهذا ما انطلقت منه دراسات الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في " النظرية الخليلية الحديثة "؛ وكما نلاحظ فهو يقول إنّهُ اتبع سيبويه في حكيه. فيقول: " فإن قيل: ما بال سيبويه قد حدّ الفعل والحرف ولم يحدّ الاسم حين قال: " والاسم زيد وعمرو "؟ فالجواب: أنّ الاسم وقع في عبارة النحويين على ما هو في كلام العرب، فلم يحتج إلى تبينه بحد ولا رسم."^٣

٢-٣ الاسم لدى المعاصرين: يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: في تعريف الاسم " فالاسم من حيث معناه أي من حيث دلالاته على معنى هو لفظ يدل على شيء لا يكون حدثاً مع زمان في مقابل الفعل الذي يدل عليه، ثم هناك الاسم المطلق والاسم المضارع للحرف والفعل."^٤ ويقول: " أمّا من جانب اللفظي الصوري فالاسم كلمة (أي عنصر) يصلح أن تدخل عليه حروف الجر والتتوين والإعراب ويمكن أن يضاف وأن يوصف، وفي ذلك درجات يعتمد فيها على تمكّن الاسم وعدم تمكّنه (من احتمالته يميناً وشمالاً لهذه الزوائد)، هذا في مستوى الأفراد. أمّا في مستوى التركيب فالاسم هو ما تعمل فيه العوامل، ويكون مبتدأ ومبنيّاً عليه أو فاعلاً أي يكون في موضع لا يدخله الفعل ولا الحرف. ومن هذا الاعتبار يختلف الاسم الشبيه بالحرف عن الحرف لأنه لا يأتي أبداً في موضعه؛ فمن حيث اللفظ وصورته " إذا" و"أي" ليست حروفاً أبداً وإن كانت في الجانب الوظيفي الدلالي أقرب إلى أشباه الحروف."^٥ ويقول سليمان فياض: "الاسم هو: كل لفظ يدل على شيء يدرك بالحواس، أو العقل، والزمن ليس جزءاً منه، مثل:

1 - نفسه، ص ٣٠.

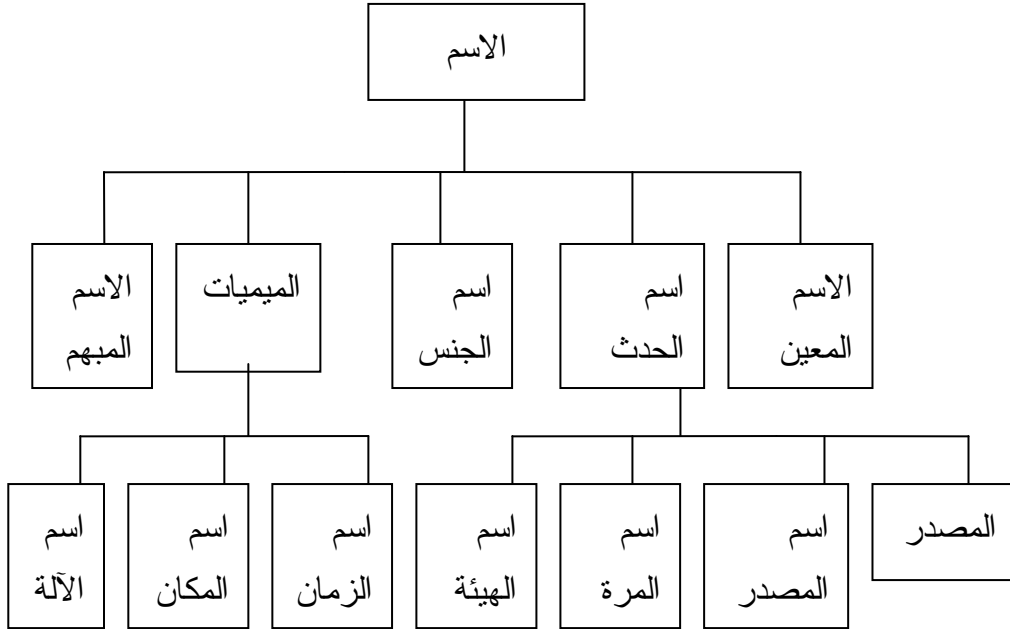
2 - ينظر، نفسه ص ٤١.

3 - نفسه، ص ٥١.

4 - عبد الرحمان الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة- مفاهيمها الأساسية"- مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ٢٠٠٧، عد ٤، ص ١٠٣.

5 - نفسه، ص ١٠٣.

رجل، امرأة....^١ أما تمام حسان: يقول الأستاذ تمام حسان: يشتمل الاسم على خمسة أقسام ومثلها في هذا الشكل:^٢



٣-١ **الفعل لدى القدماء:** يقول سيبويه: " وأما **الفعل** فأمثلة أخذتُ من لفظ أحداث الأسماء وبُنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى فذهبَ وسَمِعَ ومكثَ وحَمِدَ وأما بناء ما لم يقطع فإنه قولك **أمراً** اذهبَ واقتُلْ واضربْ، ومخبراً **يقتُلُ** و **يذهبُ** ويضربُ ويقتُلُ وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أُخبرت، فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبين إن شاء الله، والأحداث نحو الضربِ والحمد والقتل.^٣

٣-٢ **الفعل لدى السهيلي:** يقول السهيلي في مسألة " تعريف الفعل": " دلالة الفعل على الحدث بالتضمنين لا بالمطابقة، كنحو دلالة " البيت " على " السقف ". وأما دلالاته على الزمان فقال النحويون: بالبنية. وهو لا يدل على الزمان ألبتة، وإنما يدل اختلاف أبنيته على اختلاف أحوال الحدث من الماضي والاستقبال والحال. وأما الزمان الذي هو حركة للفاعل، إن كان مقارناً له، لأنَّ حركة فاعل لا تدل على حركة فاعل آخر، وكذلك قال سيبويه في أول الكتاب: " أخذت من لفظ أحداث الأسماء فبنيت لما مضى، ولما يكون

^١ - سليمان فياض، النحو العصري، دليل مبسط لقواعد اللّغة، ص ١٤.

^٢ - ينظر، تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص ٩٠ - ٩١.

^٣ - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، ص ١٢.

ولما يقع، ولما هو كائن لم ينقطع ". يعني لما مضى من الحدث ولما هو كائن منه لأنه لم يتقدم غير ذكر الأحداث.¹ ويقول " الفعل عند العرب هو الحدث، وعند النحويين هو: اللفظ الدال على الحدث والزمان.² إضافة إلى ما ذكرناه نجده يقول أيضاً: " وكذلك الأفعال، المعاني المدلول عليها ثلاثة أقسام: فعل واقع موقع الاسم فله الرفع، وفعل في تأويل اسم فله النصب، لأن الرفع والنصب من إعراب الأسماء، فاستحقه من الأفعال ما هو في تأويل الاسم أو واقع موقع اسم، وفعل لا في تأويل اسم ولا واقع موقع اسم فله الجزم، لأن الجزم ليس من إعراب الأسماء. وليست هذه عبارة الشيخ (أبي الحسين) في الأفعال، ولكنه قال: " الأفعال واجب وممكن ومنتف، أو في حكم المنتفي، فالرفع للواجب والنصب للممكن. والجزم الذي هو عدم الحركة وانتفاؤها للمنتفي أو ما هو في حكمه. وكل ما قاله صحيح إلا أن قوله: " لا يحتاج في الأسماء إلى رابع، ولا في الأفعال "، فإنّ للسائل أن يقول: لم أراد إعراباً رابعاً، وإنما أردت أن يكون الجزم بدلاً من الخفض، والخفض بدلاً من الجزم.³ وهنا رأي انفرد به السهيلي بقوله وأوضحه فهو يريد التعبير بالجزم بدلاً من الخفض في الاسماء، والخفض بدلاً من الجزم في الأفعال.

٣-٣ الفعل لدى المعاصرين: يقول الأستاذ مهدي المخزومي عن الفعل: " لم يحظ الفعل في الدرس النحوي بعناية النحاة، ولم يدرس في تفصيل يكشف للدارسين ما له من دور كبير في الكلام"⁴ " وقد كان ملاحظاً أنّ للاسم عند النحاة منزلة خاصة تفوق ما لأجزاء الكلام الأخرى"⁵ ويقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في تحديد الفعل: " الاقتصار على تحديد الفعل بأنه" ما دلّ على حدث وزمان" فهذا تحديد على المعنى فهو جيد ولكنه من وجهة نظر المعنى. أمّا التحديد على اللفظ فهو " ما تدخل عليه من زوائد معيّنة كقد والسين ويتصل به الضمير في بعض صيغته"⁶. ويقول الأستاذ عبد الجبار توأمة عن الفعل: "... أهمية الزمن الكبرى في الفعل دعت بعض اللغويين يجعلونه أهم ما يفرق بين

¹ - أبو القاسم السهيلي، نتائج الفعل في النحو، ص ٥٢ - ٥٣.

² - نفسه، ص ٥١.

³ - نفسه، ص ٧٢.

⁴ - مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ١٤١.

⁵ - نفسه، ص ١٤١.

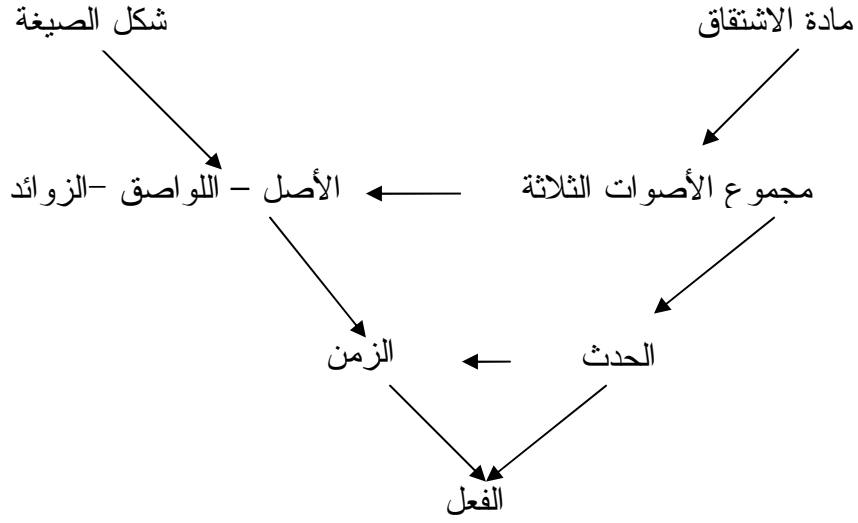
⁶ - عبد الرحمان الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة- مفاهيمها الأساسية-"، ص ٣١.

الفعل وعناصر الكلم الأخرى.^١ ويقول أحمد حساني: "لقد حظي الفعل عند نفر غير قليل من النحاة واللغويين الأقدمين باهتمام ملحوظ لا يرقى إليه أي قسم من الكلم في اللسان العربي، ويتجلى هذا الاهتمام في أنهم ما انفكوا يفردون له تكثيف نظرياً لضبط حدّه ضمن مقولات النحو العربي ضبطاً دقيقاً، بحيث قد تناولوا جوانب شتى تقي في مجملها بمتطلبات الدال والمدلول."^٢ ويقول تمام حسان في دلالة الفعل على الحدث تأتي عن اشتراكه في مادة واحدة، ولا بد أن يكون على صلة من نوع ما بمعنى الحدث كالدلالة على اقتران الحدث بالزمان أو على موصوف بالحدث أو على مكان الحدث أو زمانه أو آتته. ويتحدث عن معنى الزمن فيقول: "وأما معنى الزمن فإنه يأتي على المستوى الصرفي من شكل الصيغة وعلى المستوى النحوي من مجرى السياق، ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أن للزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة ومعنى أن الزمن يأتي على المستوى النحوي من مجرى السياق أن الزمن في النحو وظيفة السياق وليس وظيفة صيغة الفعل، لأنّ الفعل الذي على صيغة فعل قد يدل في السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل فيه على الماضي. فقول النحاة: "والزمن جزء منه" قول مقبول على مستوى الصرف فقط. ويمكن من الناحية الصرفية أن نمثل العلاقة بين الحدث والزمن على النحو الآتي:^٣

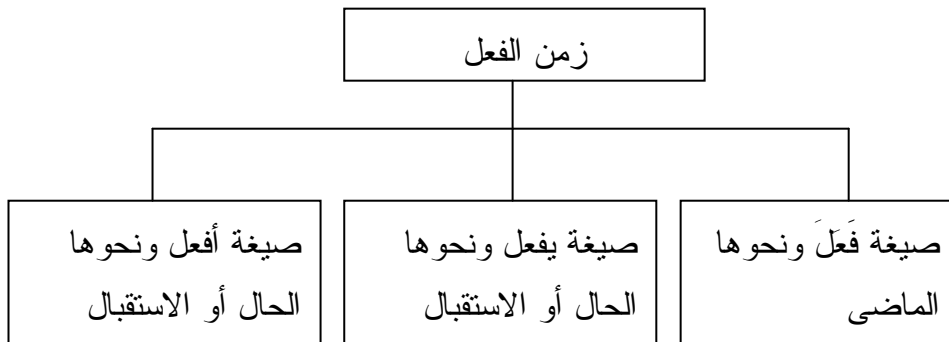
^١ - عبد الجبار توامة، زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته - دراسات في النحو العربي - ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤، ص ١.

^٢ - أحمد حساني، السمات التقريعية للفعل في البنية التركيبية - مقارنة لسانية - ديوان المطبوعات الجامعية، ص ٥.

^٣ - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٠٤.



والفعل من حيث المبنى الصرفي ماضٍ ومضارع وأمر. فهذه الأقسام الثلاثة تختلف من حيث المبنى وهي فوق ذلك تختلف من حيث المعنى الزمني أيضاً^١ " فأما من حيث المبنى فلكل منها صيغته الخاصة ما بين مجردة أو مزيدة من الثلاثي أو الرباعي كما أنّ كل واحد منها يمتاز عن صاحبيه بسمات خاصة. فالماضي يستبين بقبول تاء الفاعل وتاء التأنيث والمضارع يبدأ بأحد حروف المضارعة ويقبل لام الأمر ونوني التوكيد والإناء ويضام السين وسوف ولم ولن. والأمر يضام النونين دون غيرهما من هذه القرائن. وأما من حيث المعنى فإنّ هذه الأفعال الثلاثة تختلف في دلالتها بصيغها على الزمن على النحو التالي:^٢



^١ - نفسه، ص ١٠٤ - ١٠٥.

^٢ - نفسه، ص ١٠٥.

الفعل هو: لفظ يدل على حدث، والزمن جزء منه، مثل: جلس، يجلس، اجلس. وله أقسام خمسة باعتبارات عدة، من حيث الزمن، والصحة والاعتلال، والجمود والتصرف، واللزوم والتعدي، والتمام والنقص.^١ الفعل هو: كل لفظ يدل على حدوث شيء، والزمن جزء منه، مثل: شكر، يشكر، اشكر.^٢ ونجد الدكتور عبد الرزاق عبيد في مقاله التحليل الدلالي للتراكيب، حيث قام بتحليل المفردة "يلعب" والتي هي عبارة عن فعل فيقول في تحليلها من حيث "المستوى الصوتي: يلعب (ياء + لام + سكون + عين + فتحة + باء + ضمة) لا يمكن إضافة صوت أو تغييره، أو إسقاطه، دون أن تتغير الدلالة."^٣ ثم حلل المفردة من حيث المستوى الصرفي فيقول: "يلعب (يفصل) هذه الصيغة تنتمي إلى صنف الأفعال، وكل تغيير في هذا الترتيب يندرج عنه تغيير في الدلالة."^٤ ثم حللها من حيث المستوى النحوي فيقول: "يلعب = ويتضمن المرفيمات التالية:

٣-٤ مرفيم للجنس (Genre) = مذكر.

٣-٥ مرفيم للعدد (Nombre) = مفرد.

٣-٦ مرفيم للزمن (Temps) = مستقبل.

٣-٧ مرفيم للشخص (Personne) = غائب.^٥

وحلل المفردة يلعب من حيث المستوى المعجمي، فيقول: يلعب (ل. ع. ب) تتالي اللام والعين والباء يدل على فكرة اللعب عامة دون تخصيص أو تمييز.^٦ ثم يقول: "والواقع، أنه يحسن بنا أن نقول: أن المفردة (يلعب) حينئذ قد تضمنت جملة من الدلالات، وليس دلالة واحدة. وقد تمّ التعبير عن هذه الدلالات بواسطة المرفيمات التي ارتبطت بالجزر المعجمي، وتحصلنا في آخر المطاف على: (أن شخصاً ذكراً، غائباً، سيلعب فيما يستقبل من الزمن)...^٧ فكما نلاحظ فإنّ الدكتور عبد الرزاق عبيد لم يقدم لنا تعريفاً للفعل، لكن قام بتحليل مفردة (يلعب) التي هي عبارة عن فعل.

1 - سليمان فياض، النحو العصري، ص ٣٩.

2 - نفسه، ص ١٤.

3 - عبد الرزاق عبيد، التحليل الدلالي للتراكيب، القصة، ملحق لمجلة التبيين يهتم بالقصة القصيرة، ٢٠٠١، عد: ٣، ص ٨٩.

4 - نفسه، ص ٨٩.

5 - نفسه، ص ٨٩.

6 - نفسه، ص ٨٩.

7 - نفسه، ص ٨٩.

٤-١ **الحرف لدى القدماء:** يقول سيبويه: " وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعلٍ فنحو تُمَّ وسَوْفٌ و واو القسم ولام الإضافة ونحوها"^١ ويقول الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي: في تسمية الحروف: " وسميت الحروف حروف لأنَّ الحروف حدّ منقطع الصوت، وقد قيل: إنّها سميت بذلك لأنها جهات الكلام ونواح، كحروف الشيء وجهاته."^٢ ويقول: " أما تسمية أهل العربية أدوات المعاني نحو- من، وقد - حروفاً فإنهم زعموا أنّهم سموها بذلك لأنها تأتي في أول الكلام وآخره، فصارت كالحروف والحدود له، وقد قال بعضهم: إنّما سميت حروفاً لانحرافها عن الأسماء والأفعال، وهي عندنا نحن كلام، لأنها منتظمة من حرفين فصاعداً."^٣ وكذلك يقول: "والحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت، حتى شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، لأنَّ الصوت يخرج منه مستطيلاً ساذجاً، فإذا وضعت الأنامل على خروقه ووقعت المزوجة بينها سمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا وقع الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة سمعت الأصوات المختلفة التي هي حروف، ولهذا لا يوجد في صوت الحجر وغيره لأنه لا مقاطع فيه للصوت، وليس يحتاج إلى حصر الحروف التي يتعلق بها، وإنّما الغرض ذكر ما في اللغة العربية التي كلامنا عليها، لأنّ في غيرها من اللغات حروفاً ليست فيها، كلغة الأرمن وما جرى مجراها. فحروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، وهي: الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو، فهذا ترتيبها في المخارج."^٤ وهنا نجد سنان الخفاجي قد ميز بين الحرف والأداة.

٤-٢ **الحرف لدى السهيلي:** " والحرف عند النحويين: ما دل على معنى في غيره. وليس يفهم من العرب من الحروف ذلك المعنى."^٥ ربّما يقصد ما ذهب إليه سنان الخفاجي.

١ - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، ص ١٢.

٢ - الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ١٩٨٢م- ١٤٠٢هـ، ط ١، ص ٢٣.

٣ - نفسه، ص ٢٤.

٤ - نفسه، ص ٢٦.

٥ - أبو القاسم السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٥١.

٤-٣ **الحرف لدى المعاصرين:** يقول الأستاذ تمام حسان: " الأداة مبنى تقسمي يؤدي معنى التعليق والعلاقة التي تعبر عنها الأداة إنما تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الجملة وتتقسم الأداة إلى قسمين:

- الأداة الأصلية، وهي الحروف ذات المعاني كحروف الجر، والنسخ، والعطف... إلخ.
- الأداة المحولة...^١ ويقول: "وتشترك الأدوات جميعاً في أنها لا تدل على معان معجمية ولكنها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق ثم تختص كل طائفة منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصة كالنفي والتأكيد...^٢ فالحرف هو: كل لفظ يدل على معنى غير مستقل بالفهم، فلا يظهر معناه ودلالته إلا مع غيره من الأسماء والأفعال، مثل: من، إلى،...^٣"
ويقول **مصطفى فاضل الساقى عن مهدي المخزومي:** " أوضح أن سيبويه كان يريد بالحرف ما كان الكوفيون يريدونه من مصطلح (الأداة)، وقد أخذ بهذه التسمية وجعل الأداة القسم الثالث من أقسام الكلم متأثراً بالمذهب الكوفي وأقلع عن تسميته بالحرف... وعرف الأداة بما لا يدل على معنى إلا في أثناء الجملة. "^٤ ولقد ذكرنا فيما سبق كيف قسم الأستاذ مهدي المخزومي الكلم؛ ويقول الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح: "... ومن هذا الاعتبار يختلف الاسم الشبيه بالحرف عن الحرف لأنه لا يأتي أبداً في موضعه؛ فمن حيث اللفظ وصورته " إذا" و"أي" ليست حروفاً أبداً وإن كانت في الجانب الوظيفي الدلالي أقرب إلى أشباه الحروف."^٥

٥-١ **الجملة لدى القدماء:** يقول **عبد القاهر الجرجاني:** " الألفاظ المفردة هي أوضاع اللّغة، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن ينضم بعضها إلى بعض، فيعرف ما بينها من فوائد"^٦ فالألفاظ المفردة بانضمامها لبعضها البعض تكون معنى أو كلام مفيد، وعليه فيقول **فتوح خليل:** " ولذلك اعتبر بعض المحدثين من علماء اللّغة أنّ الجملة - لا الكلمة- هي أهم وحدات المعنى"^٧ ويقول الدكتور **حسن عبد الغني جواد الأسدي:**

١ - ينظر، تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص ١٢٣.

٢ - نفسه، ص ١٢٥

٣ - سليمان فياض، النحو العصري، ص ١٤.

٤ - فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص ١٢٦.

٥ - عبد الرحمان الحاج صالح، "النظريّة الحديثة- مفاهيمها الأساسيّة-"، ص ١٠٣.

٦ - فتوح خليل، تقويم الفكر النحوي عند الأعم الشنتمري (٤١٠-٤٧٦هـ)، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر،

الاسكندرية، ط١، ص ١٢٨، نقلاً عن دلائل الإعجاز ص ٤١٥، ص ١٦٧.

٧ - نفسه، ص ١٦٨.

"وعلى أية حال لم يستعمل سيبويه مصطلح الجملة وكان يستعمل مصطلح الكلام إلا أنه - فيما اعتقد - بذر البذرة الأولى لدخول اللفظ في الجهاز الاصطلاحي النحوي وذلك عندما استعمل لفظتي (جملة وجملة) استعمالاً لغوياً لأنّ لكلمات سيبويه وقعاً قوياً على أسماع كلّ النحويين وإن تظاهر بعضهم خلاف ذلك."^١ ويقول الأستاذ محمود أحمد نحلة: "لم يعرف سيبويه (ت ١٨٠هـ) "الجملة" ولا وردت في كتابه مصطلحاً؛ وإنما وردت في عدة مواضع منه بمعناها اللغوي."^٢ " وقد تردد في كتابه ذكر مصطلح "الكلام" كثيراً بمعانٍ مختلفة، فهو يستخدمه بمعنى الحديث Rede، وبمعنى النثر Prosa، وبمعنى اللّغة Sprache، وبمعنى الجملة Staz، أيضاً"^٣ " وتقول " أولركة موزل " U. Mosel : " إذا تتبعنا المواضع التي استخدم فيها سيبويه الكلام بمعنى الجملة فإننا لا نستطيع أن نستنبط منها تعريفاً دقيقاً للجملة"^٤. و يقول محمد أحمد نحلة: " ولعل أول من استخدم الجملة مصطلحاً المبرد (ت ٢٨٥هـ). قال في المقتضب: "إنما كان الفاعل رفعاً، لأنّه هو والفاعل جملة يحسن السكوت عليها، وتجب بها الفائدة للمخاطب"^٥ " وقد استخدم مصطلح "الجملة المفيدة" تلميذه ابن السراج (ت ٣١٦هـ) فقال: والجملة المفيدة على ضربين: إما فعل وفاعل، وإما مبتدأ وخبر"^٦. وعن تميز مصطلح الجملة عن الكلام يقول: " ونستطيع أن نميز عند النحاة الخالفين من اتجاهين في التمييز بين الجملة والكلام، أحدهما يرى أنّ الكلام غير الجملة، والثاني يراها إياه. فأما الاتجاه الأول فيمثله ابن جني والرضي على خلاف بينهما، فابن جني يرى أنّ الكلام جنس للجملة التوام مفردتها ومثناها ومجموعها، كما أنّ القيام جنس للقومات مفردتها ومثناها ومجموعها، فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام"^٧ والرضي (ت

١ - حسن عبد الغني جواد الأسدي، مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧، ط١، ص ٢٦.

٢ - محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٧.

٣ - نفسه، ص ١٧، نقلاً عن: (Diss. U. Mosel: Die syntaktisch Terminologie bei Siebawaih Munchen 1975) Bd.I.S.17.

٤ - نفسه، ص ١٧، نقلاً عن: (Diss. U. Mosel: Die syntaktisch Terminologie bei Siebawaih Munchen 1975) Bd.I.S.17.

٥ - نفسه، ص ١٩، نقلاً عن المبرد: المقتضب (تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة) القاهرة ١٣٨٨هـ / ٨.

٦ - نفسه، ص ١٩، نقلاً عن ابن السراج: الأصول في النحو (تحقيق عبد الحسين الفتلي) (النجف ١٩٧٣) / ١ .٧٠.

٧ - نفسه، ص ١٩، نقلاً عن ابن جني، الخصائص (تحقيق: محمد علي النجار) القاهرة ١٩٥٢، ج ١ / ٢٧.

٦٨٦هـ) يقول والفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أولاً، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، وسائر ما ذكر من الجمل... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً. فكل كلام جملة ولا ينعكس"١ " وقد تابع ابن هشام (ت ٧٦١هـ) الرضي في ذلك فاعتدّ الكلام أعم من الجملة إذ شرطه الإفادة بخلافها، ودلّل على ذلك بقوله: " ولهذا تسمعونهم يقولون: جملة الشرط وجملة الجواب، وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام"٢ "أما الاتجاه الثاني فيمثله الزمخشري في المفصل، وابن يعيش في شرح المفصل فالكلام عندهما جملة ولا فرق بينهما. ويقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): "الكلام هو المركب من اسمين كقولك زيد أخوك وبشر صاحبك أو فعل واسم نحو قولك "ضرب زيد" و"انطلق بكر"، ويسمى الجملة"٣ " ويقول ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): " اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، ويسمى الجملة نحو: "زيد أخوك"، وهذا معنى قول صاحب الكتاب: المركب من كلمتين أسندت إحدهما إلى الأخرى"٤ وهذا ما ذهب إليه السهيلي في تعريف الجملة.

٥-٢ الجملة لدى السهيلي: وذكر الأستاذ السهيلي مصطلح الجملة في قوله: " نحو: " جاء زيد خوفاً "، و" رغبة فيك "، فإن الخوف والرغبة من أفعال النفس الباطنة وهو من فعل الفاعل المذكور في الجملة."٥ وكذلك في قوله: "خبر المبتدأ إذا كان جملة فلا بدّ من مضمّر يعود على المبتدأ، لأن الجملة كلام مستقل بنفسه...".٦ وكذلك في قوله: " فإن قيل: فما بال الاستفهام في هذه الجملة، والكلام خبر محض؟. قلنا: الاستفهام مع " أم " يعطي معنى التسوية، فإذا قلت: " أقام زيد أم قعد؟ "، فقد سويت بينهما في علمك. فهذا جواب فيه مقنع. وأما التحقيق في الجواب فأن تقول: ألف الاستفهام لم يخلع منها ما وضعت له ولا عزلت عنه، وإنما معناه: " علمت أقام زيد أم قعد؟ ". أي: علمت ما كنت أقول فيه هذا

١ - نفسه، ص ٢٠، نقلاً عن: رضي الدين الإسترابادي: شرح الكافية في النحو لابن الحاجب (مصورة عن الشركة الصحافية العثمانية. ١٣١٠هـ) بيروت، ج ١، ص ٨.

٢ - محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص ٢٠، نقلاً عن: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب (ط. الحلبي) ٤٢ / ٢ وينظر السيوطي الأشباه والنظائر في النحو (حيدر آباد الدكن ١٣٦٠) ٢ / ٣.

٣ - نفسه، ص ٢٠، نقلاً عن: الزمخشري: المفصل في علم العربية (دار الجبل بيروت دون تاريخ)، ص ٦.

٤ - نفسه، ص ٢٠، نقلاً عن: ابن يعيش: شرح المفصل (إدارة الطباعة المنيرة بالقاهرة دون تاريخ) ١٨ / ١.

٥ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص .

٦ - نفسه، ص ٣٢٢.

القول، وأستفهم عنه بهذا اللفظ، فحكيت الكلام كما كان، ليعلم المخاطب أن ما كان مستفهماً عنه معلوم،...¹ ويقول من باب التوكيد: قوله: " الكلام في كل في ثلاثة فصول: في كونه توكيداً، وفي كونه مبتدأً مضافاً، وفي كونه مفرداً عن الإضافة مخبراً عنه والأصل من هذه الثلاثة أن يكون توكيداً لجملة أو ما هو في حكم الجملة مما يتيقن، لأن موضوعه الإحاطة من حيث كان لفظه مأخوذاً من لفظ الإكليل والكلة، والكلالة، مما هو في معنى الإحاطة بالشيء.² ولم يستعمل الإمام السهيلي مصطلح شبه الجملة، وإنما أشار إليه دون ذكر المصطلح. فالجملة لدى السهيلي كلام مستقل بنفسه، والكلام هو اسم مفرد يعبر به عن المعنى القائم في النفس الذي تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات، فالجملة لدى السهيلي هي: معنى قائم في النفس، تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات.

٢-٥ الجملة لدى المعاصرين:

• **الأستاذ مهدي المخزومي:** يقول في تعريف الجملة: " الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزائها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع."³

• **الجملة لدى الغربيين:** ويقول الأستاذ محمود أحمد نحلة في سؤاله ما هي الجملة؟: " ذكر يونج W. Jung من بعد (سنة ١٩٨٠) أن عددها يزيد على ثلاثمائة تعريف"⁴ " هذه الكثرة الكاثرة من التعريفات تبرز الصعوبة البالغة في تحديد الجملة، فهي على كثرتها غير جامعة ولا مانعة كما يقول المناطقة"⁵ أقدم تعريف قدم للجملة " الذي ورد عند ديونسيوس ثراكس **Dionysions Thrax** عالم الإسكندرية في القرن الأول قبل الميلاد، ومؤلف أقدم نحو عربي...حيث يقول التعريف: الجملة

1 - نفسه، ص ٣٣٣.

2 - ابن أبو الربيع عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي الأشبيلي السبتي، البسيط في شرح الجمل، تح: عياد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧، ١٩٨٦، ط١، ج ١، ص ٢١٦.

3 - مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٣١.

4 - محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص ١١، نقلا عن W.Jung: Grammatik der deutschen Sprach (Leipzig 1980) S.28.

5 - نفسه، ص ١١.

نسق من الكلمات يؤدي فكرة تامة^١ أما دي سوسير لم يقدم تعريفاً محدداً للجملة "يشير إلى أن الجملة هي النمط الرئيسي من أنماط التضام Syntagma"^٢ ويقول إن بلومفيلد **L. Bloomfield** "رائد أول محاولة حقيقية للتحرر من معيار "المعنى" في تعريف الجملة. ويقول في تعريف الجملة: "الجملة شكل مستقل، لا يدخل - عن طريق أي تركيب نحوي - في شكل لغوي أكبر منه"^٣ ويقول الأستاذ محمود أحمد نحلة: "ومن الملاحظ، كما سيأتي، أن البنية السطحية للجملة لم تفسر دلاليًا في المرحلة الأولى من تطور النظرية. أما في المرحلة الثانية فقد فسرت نحويًا ودلاليًا، وهذه عودة إلى التحليل اللغوي بمعيار الشكل والمضمون."^٤ " ويشير هرينجر **Heringer** إلى أن معيار تمام المعنى لا قيمة له ما دام المرء لا يستطيع إيضاح ماذا يعني بأن "المعنى" جملة "تام". ويلفت هرينجر إلى أن تشومسكي (١٩٥٧ ص ١٥) برهن على أن قبول أي جملة لا يجوز أن يقرر بسرعة بناء على معنى الجملة؛ لأن ثمة جملة بلا معنى ولكنها صحيحة نحويًا... وقرّر هرينجر على العكس من ذلك أن كل الأقوال النحوية جمل، وأن كل الجمل لها معنى، وأن معنى الجملة قد يكون غريباً أو شاذاً أو غير مألوف، ولكنه قابل للتفسير والتحليل، أما الجمل التي تخرج على النحو فهي التي لا معنى لها،...^٥ إضافة إلى ما ذكرناه فيما سبق يقول جون لينز: "إن الجمل وحدات نظرية يؤسسها اللغويون لتوضيح التحديدات التكاملية لتواجد أصناف العناصر القواعدية."^٦ إضافة إلى كل المشاكل المتعلقة بدراسة الكلمة، هناك من يذهب إلى أن وحدة المعنى الرئيسية هي أساس الجملة لا الكلمة. ذلك لأننا بالتأكيد نتفاهم بالجملة، وهذا ما يعكسه التعريف التقليدي للجملة: التعبير عن فكرة تامة. ويمكن القول أن الكلمات إن كان لها معنى، فإنها تستقيه من عملها في الجملة. وحتى وإن تم تقرير المعنى الإشاري بتعريف تأشيرى، فإننا نتوصل إلى هذا التعريف فقط عن طريق

¹ - نفسه، ص ١٢، نقلًا عن: H. Stammerjohann (Hrsg): Handbuch der Linguistik (Munchen 1975) S.365.

² - نفسه، ص ١٣.

³ - نفسه، ص ١٤، نقلًا عن: L. Bloomfield: Language P.170.

⁴ - نفسه، ص ١٤.

⁵ - نفسه، ص ١٥.

⁶ - جون لاينز، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح، كاظم حسين باقر، كلية الآداب - جامعة البصرة، ١٩٨٠، ص ٣٩.

الجملة كأن نقول: هذا - ومثل هذا المعنى إذن يتقرر في النهاية بموجب الجملة فقط. الجملة في جوهرها وحدة قواعدية، والواقع فإنّ وظيفة النحو الأولى وصف بنية الجملة ومن ثم تعريفها. وتتألف الجملة الانكليزية في حدها الأدنى من العبارة الاسمية (المبتدأ) والعبارة الفعلية (الخبر والتكملة).¹

٦- ١ المصطلحات بين السهيلي وابن الأنباري من خلال كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف: بحثت في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف عن المسائل التي ذكرها الإمام السهيلي وابن الأنباري في نفس الموضوع لكي يسهل عليّ تحديد المذهب النحوي للإمام السهيلي فوجدت:

- المصطلحات: لم يستعمل ابن الأنباري المصطلحات الآتية: الأداة؛ جمع السلامة؛ الأسماء النواقص؛ النواقص المبهمات؛ الوصف غير المعتمد؛ الوصف المعتمد؛ الاشتغال.
- المسائل النحوية: أما عن المسائل التي ذكرها الإمام السهيلي وذكرها ابن الأنباري فهي:

١- في مسألة تقديم التمييز؛

٢- مسألة القول في تقديم الخبر على المبتدأ؛

٣- مسألة القول في زيادة لام الابتداء في خبر لكن؛

٤- مسألة القول في لام لعل الأولى زائدة هي أو أصلية.

٧- ١ المصطلحات بين الخليل ابن أحمد الفراهيدي من خلال "كتاب الجمل" والسهيلي من خلال كتاب "تتائج الفكر في النحو":

١- مصطلح العطف: استعمل الإمام السهيلي مصطلح العطف " ... والشائع أنّ العطف اصطلاح بصري، وأنّ النسق اصطلاح كوفي" مما يعنى أنّه اتبع مذهب البصرة...^٢.
ونجد الأستاذ السهيلي لم يستعمل مصطلح الموالاة في حين أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي استعمل المصطلحات الثلاث بنفس المعنى في كتابه الجمل. والمصطلحات الثلاث التي أقصدها هي (العطف، النسق والموالاة).

٢- مصطلح الفعل المستقبل: ولقد ذكر الإمام السهيلي الفعل المستقبل؛ يقول الخليل في كتاب الجمل: والرفع في الأفعال المستقبلية وهو الفعل المستأنف رفع أبداً إلا أن يقع عليه

¹ - أف. آر. بالمر، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، جامعة المستنصرية، ١٩٨٥، ص ٤٦.
² - محمد ابراهيم عباده، كتاب الجمل في النحو، المنسوب للخليل بن أحمد، منشأة المعارف بالاسكندرية، دن، ص ٨١.

حرف جازم أو حرف ناصب وعلامة الفعل المستقبل أن يقع في أول الفعل أحد هذه الحروف الأربعة وهي الألف والتاء والياء والنون ومعناه بالألف أنا أخرج، وبالتاء أنت تخرج، وبالياء هو يخرج، والنون نحن نخرج فإذا وقع أحد هذه الحروف في أول الفعل كان رفعاً أبداً " وواضح أنّ المصنف يريد بذلك ما أطلق عليه سيبويه الفعل المضارع بقوله: وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب واقتل واضرب ومخبراً: يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت. فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبين إن شاء الله. وحروف الإعراب للأسماء المتمكّنة وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع: الهمزة والتاء والياء والنون. وذلك قولك: أفعل أنا وتفعل أنت أو هي ويفعل هو وتفعل نحن. والنصب في الأسماء: رأيت زيداً والجرّ: مررت بزيد والرفع: هذا زيد. وليس في الأسماء جزم لتمكّنها وللحاق التنوين فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة. والنصب في المضارع من الأفعال: لن يفعل والرفع: سيفعل والجزم: لم يفعل. وليس في الأفعال المضارعة جر كما أنّه ليس في الأسماء جزم لأنّ المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين وليس ذلك في هذه الأفعال.^٤

٣- مصطلح الفعل المضارع: لم يستعمل الخليل مصطلح الفعل المضارع أما السهيلي فاستعمل الفعل المستقبل وكذلك الفعل المضارع حيث يقول: (في الحروف الناصبة والجازمة للمضارع) فإن قيل: ما بال الحروف الناصبة للأفعال المضارعة والجازمة لها قد عملت في الأفعال، والفعل مع فاعله جملة قد عمل بعضها في بعض؟ ثم إنّ الفعل المضارع قبل دخول العامل عليه كان مرفوعاً، ورفع - لا شك - بعامل، وذلك العامل - في قولهم - هو وقوعه موقع الاسم، فهلا منع هذا العامل هذه الحروف الداخلة من العمل، كما منع العامل - الذي هو الابتداء - الحروف الداخلة على الجملة من العمل، إلا أن يخشى انقطاع الجملة كما خيف في " أن " وأخواتها؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنّ العامل في المبتدأ - وإن كان معنوياً - كما أنّ الرفع للفعل المضارع معنوي، لكنّه أقوى منه، لأنّ حق كل مخبر عنه أن يكون مرفوعاً لفظاً وحساً كما أنّه مرفوع معنوي وعقلاً، ولذلك استحق الفاعل الرفع دون المفعول، لأنّه المحدث عنه بالفعل، فهو أرفع رتبة من المفعول في المعنى، فوجب أن يكون في اللفظ كذلك، لأنّ تابع للمعنى. وأما رفع

^٤ - ينظر، سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٤-١٩-٢١، ج ٣، ص ٥-٨.

الفعل المضارع فلو قوعه موقع الاسم المخبر به والاسم التابع له فلم يقو قوته في استحقاق الرفع، فلم يمنع شيئاً من الحروف اللفظية عن العمل، إذ اللفظي أقوى من المعنوي، وامتنع ذلك فببعض الأسماء المبتدئة لضعف الحروف، وقوة العامل السابق للمبتدأ، كما تقدم بيانه. والجواب الآخر: أنّ هذه الحروف لم تدخل في معنى الجملة، إنّما دخلت لمعنى في الفعل المتضمن للحدث من نفي أو إمكان أو نهي أو جزاء، وذلك كله يتعلق بالفعل خاصة لا بالجملة، فوجب عملها فيه كما وجب عمل حروف الجر في الأسماء من حيث دلت على معنى فيها، ولم تكن داخلة على جملة قد سبق إليها عامل معنوي ولا لفظي، وهذا الجواب أولى أن يتمسك به. وكذلك يقول في مسألة (في الأدوات " لم " و " لما "): وليس الفعل المضارع كالماضي، لأنّ مضارعه للاسم هيأته لدخول العوامل عليه، والتصرف بوجوه الإعراب كالاسم، وأخرجته عن شبه العوامل التي لها صدر الكلام، وصيرته كالأسماء المعمول فيها، فوقع موقع الحال والوصف وموقع خبر المبتدأ و (إن)، ولم يقطعه دخول " اللام " عن أن يكون خبراً في باب (إن) كما قطع الماضي، من حيث كانت صيغة الماضي لها صدر الكلام، كما تقدم. وعليه فقد ذكر مصطلح الفعل المضارع ثلاث مرات فقط. والفعل المستقبل أربع مرات. وذكر أبو القاسم الفعل المستقبل في مسألة: في الفعل بعد الجوازم؛ ويقول: فإن قيل: فما وجه مضارعة الفعل المستقبل والحال؟.

قلنا: دخول الزوائد عليه ملحقه بالحروف الأصلية متضمنة لمعاني الأسماء كالمتكلم والمخاطب، فيما تضمن معنى الاسم أعرب، كما بني من الأسماء ما تضمن معنى الحرف.

وكذلك في قوله: في مسألة (في دلالة المضارع على الزمان): فعل الحال لا يكون مستقبلاً وإن حسن فيه " غد "، كما لا يكون الفعل المستقبل حالاً أبداً، ولا الحال ماضياً، هذا هو اختيار شيخنا رحمة الله عليه.

ويقول أيضاً: في مسألة (بعد دلالة المضارع على الزمان) ويقول: وأما المسألة الموعود بها في أول الفصل التي شبهت فيها " السين " بالحروف الملحقه بالأصل، فهو أن يقال: لم تعمل " السين " و " سوف " في الفعل المستقبل وقد استبدت به دون الاسم، وشأن الحروف المستبدة بالأفعال، أو بالأسماء دون الأفعال، أن تكون عاملة؟. فإن الجواب أنّها فاصلة لهذا الفعل عن فعل الحال، كما فصلت الزوائد الأربع فعل الحال عن الماضي فأشبهتها، وإن لم تكن مثلها في اتصالها ولحوقها بالأصل، كما أشبهت حال الألف واللام

التي للتعريف حال العلمية لاتصالها وتعرف الاسم بها، وإن لم تكن ملحقة بحروف الأصل.

فلما لم تعمل تلك الأسماء مع اختصاصها بها، لم تعمل هذه الأفعال مع استبدالها بها، والله أعلم. وقد رأيت هذا التعليل للفارسي في بعض كتبه، ولابن السراج أيضاً. مسألة قوله و"إذن" فالجواب: أن "إذ" قد استعملت مضافة إلى الفعل (المستقبل) في المعنى

ويقول الأستاذ محمد إبراهيم عباده: " ولم يستعمل مصنف كتاب الجمل التعبير بالفعل المضارع. وأرى أن التعبير بالفعل المستقبل كان سابقاً على التعبير بالمضارع فهو مناسب للتقسيم الزمني أما التعبير بالمضارع فلا يوحي بزمان ولا يدل عليه"^١
٤- **مصطلح الفعل الواقع:** يذكر الخليل الفعل الواقع: " الفعل المضارع لفظا الماضي في المعنى" فيقول: والرفع ب حتى إذا كان الفعل واقعا قولهم سرنا حتى ندخلها رفعت ندخلها لأنه فعل قد مضى وهو واقع فكأنه صرف من النصب إلى الرفع ووجهه حتى دخلناها"^٢

قال امرؤ القيس:

مطوت بهم حتى تكل غزاتهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

ويقول أيضاً: أقصد الخليل: " في الرفع بالحكاية: كل شيء من القول فيه الحكاية فارفع نحو قولك قلت عبد الله صالح وقلت الثوب ثوبك قال الله ﷻ ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾^٣ ... فإذا وقعت عليها الفعل فانصب نحو قولك قلت خيراً قلت شراً نصبت لأنه فعل واقع "

ويذكر السهيلي الفعل الواقع فيقول في مسألة (الفعل بعد الجوازم): فإن قيل: فإننا نجد حروف المجازاة في كتاب الله العزيز يقع الفعل بعدها تارة بلفظ الماضي، لا يختلف القراء فيه، وتارة بلفظ المستقبل، لا يختلف القراء فيه أيضاً، وكلامه ﷻ هو الكلام

١ - محمد إبراهيم عباده، كتاب الجمل في النحو، المنسوب للخليل بن أحمد، ص ٨٩.

٢ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو، تح: فخر الدين قباوة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ١٦٢.

٣ - نفسه، ص ١٤٩.

٤ - القرآن الكريم مع التفسير، الإصدار الخامس، مصحف إلكتروني، موقع: روح الإسلام،

www.islamspirit.com ، الكهف، الآية: ٢٣.

الجزل، وقوله فصل ليس بالهزل، فما الحكمة في اختصاص لفظ الماضي ببعض الآي دون بعض؟. وقلنا: كل موضع اعتمد الكلام فيه على الفعل الواقع بعد حروف المجازاة. كان بلفظ المضارع لأنّ القصد إليه يوجب تأثير العمل فيه وهو الجزم. وإذا كانوا قد قلبوا لفظ الماضي بعد " لم " إلى المضارع ليظهر أثرها وتعرف مزية اختصاصها، فما ظنك به في الموضع الذي لا يقلب فيه عن لفظه، ولا ينقل عن أصله، وذلك نحو قوله ﷺ: ﴿إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبِكُمْ﴾ وكقوله ﷺ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ﴾. مع أنّ الحكمة التي من أجلها غير الفعل إلى الماضي بعد حروف الجزاء معدومة في أكثر هذه المواضع، ألا ترى أنّ الفعل في قوله ﷺ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ﴾. ليس ماضياً بالإضافة إلى ما بعده، لأنّ ما بعده واجب في المعنى غير مترتب عليه. وهذا بديع إذا تأملته.

ويقول في مسألة تشتمل على فصول من الباب: "...وأما الزمان فهو حركة الفلك فلا ارتباط بينه وبين حركة الفاعل إلا من جهة الاتفاق والمصاحبة إلا أنّهم قالوا: " الفعل فعلت اليوم "، لأنّ اليوم ونحوه أسماء وضعت للزمان ليؤرخ بها الفعل الواقع فيها، فإذا سمعها المخاطب علم المراد بها، واكتفى بصيغتها عن الحرف الجار. " وذكر الخليل^٤: ألف الاستفهام، ألف الاستخبار، وألف التحقيق والإيجاب أما السهيلي فاستعمل فقط ألف الاستفهام. ولقد فرقها الخليل بطريقة يقول عنها الأستاذ محمد إبراهيم " لم أجد من فرق بين هذه الألفات على هذا النحو"^٢

٨- ١ دراسة بعض المصطلحات النحوية عند السهيلي: ولقد ذكر الأستاذ السهيلي بعض التعريفات لبعض المصطلحات بطريقة بسيطة وقريبة جداً إلى أذهاننا، ولا يوجد غموض فيها، مما يدل على نضج المصطلح عند هذا الأستاذ الفذ، حيث يقول في:

أ- مصطلح الإعراب: " الإعراب الذي هو الرفع والنصب والخفض محله أواخر الكلم، ولبعض النحويين في تعليل ذلك كلام يرغب عنه! والحكمة فيه عندي - والله أعلم - أنّ الإعراب دليل على المعاني التي تلحق الاسم نحو كونه فاعلاً أو مفعولاً وغير ذلك وتلك المعاني لا تلحق الاسم إلا بعد حصول العلم بحقيقته ومعناه، فوجب أن لا يتقدم

^٤ - ينظر الجمل للخليل وفيها تجد التقسمات: ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠.

^٢ - محمد إبراهيم عباده، كتاب الجمل في النحو، المنسوب للخليل بن أحمد، ص ٩١.

الإعراب الاسم ولا يتوسطه في الوجود، وأن يترتب بعده كما ترتب مدلوله - وهو الوصف - بعد مدلول الاسم، وهو المسمى الموصوف بذلك الوصف، الله أعلم.¹

ب- **ويقول في مصطلح الحركة والحرف** " الحركة عبارة عن تحريك العضو الذي هو الشفتان عند النطق بالصوت الذي هو الحرف، والحرف عبارة عن جزء من الصوت."²

ت- **ويقول في مصطلحات بعض علامات الأسماء:** " تنفرد الأسماء بالخفض والتتوين". قال بعضهم في حد التتوين: التتوين نون ساكنة تلحق أواخر الأسماء المتمكنة. وتصحيح هذه العبارة **عندي** أن يقال: " التتوين: إلحاق الاسم نوناً ساكنة"، لأنّ التتوين مصدر " نونت الحرف"، أي: ألحقته نوناً، كما أنّ التتعليل مصدر " نعلت الرجل" إذا جعلت له نعلًا، وليس التتعليل هو النعل، وكذلك التتوين ليس هو النون بمجرداها، وهذا يطرد في الحروف، تقول: "سينت الكلمة"، أي: ألحقت بها سيناً، و"كوفتها" أي: ألحقت بها كافاً، ومن الزاي: زينتها- في قول بعضهم - والصحيح: " زويتها" حكي عن بعض الأعراب أنه قال: " إنّها زاي فزوها".³

ث- **ويقول في مصطلح علامات الإعراب:** " قوله في هذا الباب: " وجميع ما يعرب به الكلام تسعة أشياء". وذكر الحروف والحركات والحذف والسكون. وكلها أشياء في الحقيقة إلا الجزم والحذف، فإنها عبارتان عن معدوم، والمعدوم ليس بشيء، وهو معلوم. وأما الحركات فأعرض، لأنه لحروف المدّ أبعض، والحروف أصوات، وهي عند جميع المحققين من المتكلمين أعراض إلا "إبراهيم النّظام"، وقد تقدم ذكر مذهبه فيما مضى. والعرض شيء لأنه موجود، وكل موجود شيء، وكل شيء موجود، بخلاف المعدوم. ولم نقصد التعقيب على أبي القاسم في عبارته، لأنّ التسامح من شأنهم في هذه الصناعة والله المستعان."⁴

ج- **مصطلح التصغير:** قوله: " تنفرد الأسماء بالتصغير ". والتّصغير عبارة عن تغيير الاسم ليبدل على صغر المسمى وقلة أجزائه، إذ الكبير ما كثرت أجزاؤه، والصغير بعكس ذلك. فإن قيل: وما الحكمة في أن يضم أوله، وفتح ثانيه، وزيدت فيه ياء ثالثة وقد

1 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السّهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٦٦.

2 - نفسه، ص ٦٦.

3 - نفسه، ص ٦٨ - ٦٩.

4 - نفسه، ص ٨٧.

كان يمكن في لفظ التصغير دروب من التغيير غير هذا؟ فالجواب: أن التصغير هو تقليل أجزاء المصغر بخلاف الجمع، فهو مقابل لما جمع على " فعائل " لأنه ضده، وقد زيد في جمع " فعائل " ألف ثالثة، فزيد في التصغير " ياء " ثالثة في أضعاف الكلمة، ولم تكن آخرًا مثل علامة التأنيث، لأنّ الزيادة في اللفظ إنّما تكون على حسب الزيادة في المعنى والصفة التي هي صغر الجسم لا يختص بجزء منه دون جزء لخلاف صفة التأنيث فإنها مختصة في جميع الحيوانات بطرف يقع به الفرق بين الأنثى والذكر، فكانت العلامة في اللفظ (المنبئة عن معنى التأنيث طرفاً في اللفظ) . بخلاف " الياء " في التصغير فإنها منبئة عن صفة واقعة على جملة المصغر، وكانت " ياء " ولم تكن ألفاً لأنّ الألف قد اختصت بجمع الكثير، وكانت به أولى كما كانت الفتحة التي هي أختها بذلك أولى، لأنّ الفتح ينبئ عن الكثرة ويشار به إلى السعة، ولذلك تجد الأخرس والأعم بطبعه إذا أخبر عن شيء كثير، فتح شفثيه، وباعد ما بين يديه. وإذا كان الفتح ينبئ عن السعة والكثرة، فالضم الذي هو ضده ينبئ عن القلة والحقارة، ولذلك تجد المقل للشيء يشير إليه بضم فم أو يد، كما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذكر الساعة التي في يوم الجمعة، وأشار بيده يقللها، لأنه ضم بين إبهامه وأصبعه ﷺ. وهذا بين في الحكمة لمن تأمله، ونافع في التعليل لمن حصله.

ح - **مصطلح الإشارة:** أما " أن " التي للتفسير فليست مع ما بعدها في تأويل المصدر، ولكنها تشارك " أن " التي تقدم ذكرها في بعض معانيها، لأنها تحصين لما بعدها من الاحتمالات، وتفسير لما قبلها من المصادر المجملات، التي في معنى المقالات والإشارات، ولا يكون تفسيراً إلا لفعل في معنى التراجم الخمس الكاشفة عن كلام النفس، لأنّ الكلام القائم في النفس والغائب عن الحواس في الأفئدة، تكشفه للمخاطبين خمسة أشياء: اللفظ، والخط، والإشارة، والعقد، والنصب، وهي لسان الحال، وهي أصدق من لسان المقال. وبحثت عن لسان الحال، ولسان المقال، فبعض الكذب فلم أجد هذه المصطلحات، وعثرت فقط على مصطلح " العقد " فوجدته في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني في قوله: " بسم الله الرحمن الرحيم " لا أنّك لن ترى على ذلك نوعاً من العلم قد لقي من الضيم ما لقيته ومني من الحيف بما مني به ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه. فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة وظنون رديّة وركبهم فيه جهل عظيم وخطأ فاحش. ترى كثيراً منهم لا يرى له معنى أكثر ممّا

يُرى للإشارة بالرأس والعين وما يجده للخطِّ والعقد "ويقول ابن السراج إنّ اسم الإشارة أعرف المعارف، في حين أجمع النحاة المتقدمين والمتأخرين على أنّ اسم العلم أعرف المعارف ثم المضمّر... وهذه المسألة من بين المسائل التي انفرد بها ابن السراج.*

د- **مصطلح المبهمات:** والعمدة في الإشارة في هذا الموطن على اللسان، ولا يمكن إشارة اللسان إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان، التي هي آلة الإشارة دون سائر أجزائه، فليس إلا الذال أو التاء، فأما التاء فمهموسة رخوة، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان، والذال مجهورة فخصه بالإشارة إلى المذكر، وخصت التاء بالإشارة إلى المؤنث للفرق بينهما، وكانت أولى بها لهمسها، ولأنّها قد ثبتت علامة للتأنيث في غير هذا الباب. ثم بينوا حركة الذال بالألف، كما فعلوا في النون من "أنا"، وربما شركوا المؤنث مع المذكر في الذال واكتفوا، "بالكسرة" والياء فرقا بينهما. وربما اكتفوا بمجرد لفظ التاء في الفرق فقالوا: "هاتا هند". وربما جمعوا بين لفظ التاء والكسرة، حرصاً على البيان فقالوا: هات. وأما في المؤنث الغائب فلا بد من لفظ التاء مع الكسر، لأنه أحوج إلى البيان، للدلالة على الحاضر، فتقول في الغائب: تيك، وربما زادوا اللام للتوكيد - كما زادوها في المذكر الغائب - فقالوا: تلك، إلا أنّها ساكنة في المؤنث لئلا تجتمع الكسرات مع التاء، وذلك ثقيل عليهم ومرفوض في كلامهم. وكانت اللام أولى بهذا الموطن حين أرادوا الإشارة إلى البعيد، فكثروا الحروف حين كثرت مسافة الإشارة، وقللوا حين قلت، لأن اللام قد وجدت في كلامهم توكيداً، وهذا الموطن موطن توكيد، وقد وجدت بمعنى الإضافة للشيء، وهذا الموطن شبيه به، لأنك إذا أومأت إلى الغائب بالاسم المبهم، فأنت تشير إلى من تخاطب ومقبل عليه لينظر إلى من تشير، إما بالعين وإما بالقلب، ولذلك جنّت بالكاف للخطاب فكأنك تقول له: لك أقول، أو: لك أرمز بهذا الاسم. ففي اللام طرف من هذا المعنى، كما كان ذلك في الكاف، وكما لم تكن الكاف هنا اسماً مضمراً، لم تكن اللام لام جر، وإنما في كل واحدة منهما طرف من المعنى دون جميعه فلذلك خلعوا من الكاف معنى الاسمية، وبقي فيها معنى الخطاب، واللام كذلك إنما اجتلبت لطرف من معناها الذي وضعت له في باب الإضافة. وأما دخول "ها" التي للتنبيه على هذه الأسماء، فلأنّ المخاطب يحتاج إلى تنبيهه على الاسم الذي يشير به

¹ - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، محمد التنجي، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٩٥.

* - ينظر، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، ص ٢٦.

إليه، لأنّ للإشارة قرائن حال يحتاج إلى أن ينظر إليها، فالمتكلم كأنّه مر له بالالتفات إلى المشار إليه أو منبه له، فلذلك اختص قلنا: معنى الإشارة تدل عليه قرائن الحال من الإيماء باللحظ واللفظ الخارج من طرف اللسان وهيئة المتكلم، فقامت تلك الدلالة مقام التصريح بلفظ الإشارة، لأنّ الدال على كلام النفس إما لفظ وإما إشارة وإما حق، فقد جرت الإشارة مجرى اللفظ، فلتعمل فيما عمل فيه اللفظ - وإن لم تقو قوته - في جميع أحكام العمل. وقد قالوا: " لمن الدار مفتوحا بابها " فاعملوا في الحال معنى " انظر "، ودل عليه التوجه إليه من المتكلم بوجهة نحوها، فكذلك: (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) ، وهذا أقوى في الدلالة لاجتماع اللفظ مع التوجه.

II. نظرية العامل عند الإمام السهيلي:

تقول شفيقة العلوي: " في النظرية الخليلية الحديثة / العربية، فالعامل هو: محور التركيب أي المهيمن (باعتباره نواة الكلام)، زيادة على الأصل ذات وظيفة تركيبية. العامل سبب الحركة الإعرابية (أي هو سبب الآثار الصوتية التي تعكس الحالات الإعرابية). فهو، إذن سبب بناء الكلام، وبدونه لا يكون (أي الكلام) وتتعدم الفائدة. إذن هناك علاقة رياضية تحكمه وعناصره هي:

كل عامل = حالة إعرابية

كل حالة إعرابية = علامة إعرابية

إذا العامل = علامة إعرابية: الأثر الصوتي.

فهذا قانون العمل الجوهرية، ولا يمكن تحقق وظيفته إذا أسقط عنصر من هذا القانون اللساني البيبوي.¹ وتقول شفيقة العلوي " إن أهم المبادئ التي تقوم عليها النظرية الخليلية الحديثة - في مجال العامل - ما يلي:

العامل نوعان:

(أ) ما أثر نحويا كالنواسخ والأفعال.

(ب) ما أثر دلاليا، وهو المسمى بمستوى التصدير وما فوق العامل² ويقول حسن خالص سعيد الملقح: " قضية بناء النحو بين اللفظ والمعنى من القضايا الشائكة في النحو التي ما

¹ - شفيقة العلوي، "العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنوام تشومسكي"، مجلة حوليات التراث، ع ٧، ٢٠٠٧، مستغانم (الجزائر)، <http://Annales.univ-mosta.dz>.

² - نفسه، نقلًا عن: Abderrahmane Hadj Salah : Linguistique arabe et linguistique générale، thèse de doctorat, Paris 1979, p. 805.

تزال تحتاج إلى دراسة موسّعة مستقلة، لتبيّن معالمها، لتغلغلها في نظرية النحو العربيّ وأحكامه التطبيقية. وعلى العموم، فالذي يظهر من ارتباط اللفظ والمعنى بالعلة أنّ العلل يمكن أن تكون على أنواع ثلاثة¹ وهي: علل لفظية معنوية، علل لفظية، علل معنوية، وهذه هي العلل التي ذكرها السهيلي في كتابه نتائج الفكر في النحو، وأوردتها فيما يلي:

١- يقول السهيلي في مسألة اشتقاق الفعل من المصدر: ... ومن ثمّ وجب أن يكون عاملاً في الاسم كما أنّ الحرف لما دل على معنى في غيره وجب أن يكون له أثر في لفظ ذلك الغير، كما له أثر في معناه.² وهنا مستوى تركيبى ذكر لنا السهيلي فيه الحالة التي يكون فيها الفعل يدل على معنى في غيره كالحرف. فالعلة هنا لفظية معنوية.

٢- في صيغ الفعل: يقول السهيلي: "ومما انتصب لأنّه مقصود إليه بالذكر: "زيداً ضربته" في قول النحويين، وهو مذهب شيخنا "أبي الحسين"، وكذلك "زيداً ضربت"، بلا ضمير، لا يجعله مفعولاً مقدماً لأنّ المعمول لا يتقدم على عامله، وهو مذهب قوي. ولكن لا يبعد عندي قول النحويين أنّه مفعول مقدم، وإن كان المعمول لا يتقدم على العامل. والفعل كالحرف لأنّه عامل في الاسم وذلك على معنى فيه، فلا ينبغي للاسم أن يتقدم، كما لا يتقدم على الحرف.³ فالمعمول لا يتقدم على عامله، وبما أنّ الفعل كالحرف عامل في الاسم، فعليه لا ينبغي للاسم أن يتقدم، كما يتقدم على الحرف، ويذهب في قوله هذا مذهب شيخه ابن الطراوة.

٣- في الحرف: يقول السهيلي في الحروف: "قوله: "والحرف: ما دل على معنى في غيره". وذلك الغير إما اسم وإما فعل، وليس للحرف معنى في نفسه، وأما الذي له معنى على الحقيقة هو الاسم، ومن ثمّ وجب أن لا يكون عاملاً في غيره على الحقيقة، ووجب أن يكون الحرف عاملاً في كل ما دل على معنى فيه، لأنّ الألفاظ تابعة للمعاني، فكما تشبث الحرف بما دخل عليه معنى، وجب أن يتشبث به لفظاً، وذلك هو العمل. فأصل كل حرف أن يكون عاملاً، فإذا وجدت حرفاً غير عامل فسبيلك أن تسأل، وأما الفعل فلا بد أن يكون عاملاً في الاسم لما بين في المسألة قبل هذا. فإن قيل: فما بال حروف كثيرة

¹ - حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ط١، ص ١١٢.

² - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٥٥.

³ - نفسه، ص ٥٧.

لا تعمل؟ قلنا: لا نجد حرفاً لا يعمل إلا حرفاً دخل على جملة قد عمل بعضها في بعض وسبق إليها عمل الابتداء أو نحوه، وكان الحرف داخلاً لمعنى في الجملة لا لمعنى في اسم مفرد فاكتفى بالعامل السابق قبل هذا الحرف، وهو الابتداء ونحوه. ¹ ويمكن أن نلخص هذا فيما يلي:

- وجوب أن يكون الحرف عاملاً في كل ما دلّ على معنى؛
- أصل كل حرف أن يكون عاملاً؛
- الفعل لا بد أن لا يكون عاملاً في الاسم؛

أ- **في حروف النداء:** ويقول: حروف النداء عاملة في المنادى عند بعضهم. الذي يظهر لي الآن أن (يا) تصويت بالمنادى، نحو "ها"، ونحو ذلك، والمنادى منصوب بالقصد إليه وإلى ذكره، كما تقدم من قولنا في كل مقصود إلى ذكره مجرداً عن الإخبار عنه: أنه منصوب. ويدل ذلك على أن حرف النداء ليس بعامل وجود العمل في الاسم دونه نحو: "صاحب زيد أقبل"، وإن كان مبنياً عندهم فإنه بناء كالعمل، ألا تراه ينعت على اللفظ كما ينعت المعرب، ولو كان حرف النداء عاملاً لما جاز حذفه وبقاء العمل. ² فلنلاحظ قوله "ولو كان حرف النداء عاملاً لما جاز حذفه وبقاء العمل" ³ مما يعني أن حروف النداء يمكن أن تكون غير عاملة.

ب- **في الحروف الناصبة والجازمة للمضارع:** يقول الإمام السهيلي: "فإن قيل: ما بال الحروف الناصبة للأفعال المضارعة والجازمة لها قد عملت في الأفعال، والفعل مع فاعله جملة قد عمل بعضها في بعض؟ إن الفعل المضارع قبل دخول العامل عليه كان مرفوعاً، ورفع - لا شك - بعامل، وذلك العامل - في قولهم - هو وقوعه موقع الاسم، فهلا منع هذا العامل هذه الحروف الداخلة من العمل، كما منع العامل - الذي هو الابتداء - الحروف الداخلة على الجملة من العمل، إلا أن يخشى انقطاع الجملة كما خيف في "أن" وأخواتها؟

فالجواب من وجهين: أحدهما أن العامل في المبتدأ - وإن كان معنوياً - كما أن لرافع للفعل المضارع معنوي، لكنه أقوى منه، لأن حق كل مخبر عنه أن يكون مرفوعاً لفظاً وحساً كما أنه مرفوع معنى وعقلاً، ولذلك استحق الفاعل الرفع دون المفعول، لأنه

1 - نفسه، ص ٥٩.

2 - نفسه، ص ٦١ - ٦٢.

3 - نفسه، ص ٦١ - ٦٢.

المحدث عنه بالفعل، فهو أرفع رتبة من المفعول في المعنى، فوجب أن يكون في اللفظ كذلك، لأنّ تابع للمعنى. وأما رفع الفعل المضارع فلو قوعه موقع الاسم المخبر به والاسم التابع له فلم يقو قوته في استحقاق الرفع، فلم يمنع شيئاً من الحروف اللفظية عن العمل، **إذ اللفظي أقوى من المعنوي**،^١ ومن هنا نفهم أن العامل اللفظي أقوى من المعنوي ويقول الرّضي الأستراباديّ أنّ "ولكون مراعاة اللفظ أكثر وأولى من مراعاة المعنى، كان، إذا اجتمع المراعاتان، تقديم مراعات اللفظ أكثر من العكس،..."^٢. ويقول السهيلي: "وامتنع ذلك في بعض الأسماء المبتدئة لضعف الحروف، وقوة العامل السابق للمبتدأ، كما تقدم بيانه. الجواب الآخر: أنّ هذه الحروف لم تدخل في معنى الجملة، إنّما دخلت معنى في الفعل المتضمن للحدث من نفي أو إمكان أو نهي أو جزاء، وذلك كله يتعلق بالفعل خاصة لا بالجملة، فوجب عملها فيه كما وجب عمل حروف الجر في الأسماء من حيث دلت على معنى فيها، ولم تكن داخلة على جملة قد سبق إليها عامل معنوي ولا لفظي، وهذا الجواب أولى أن يتمسك به."^٣ أنّ هذه الحروف لم تدخل في معنى الجملة، إنّما دخلت معنى في الفعل المتضمن للحدث من نفي أو إمكان أو نهي أو جزاء، وذلك كله يتعلق بالفعل خاصة لا بالجملة، فوجب عملها فيه كما وجب عمل حروف الجر في الأسماء من حيث دلت على معنى فيها، ولم تكن داخلة على جملة قد سبق إليها عامل معنوي ولا لفظي، إذا دخلت الحروف في معنى الفعل فوجب أن تعمل فيه لا في الجملة، كما وجب أن تعمل حروف الجر في الأسماء من حيث دلت على معنى فيها. "وهو استحقاق جميع الحروف للعمل فيما دخلت عليه عن الأسماء المفردة والأفعال، لأنّها إذا كانت موصلة للفعل، والفعل عامل، فكأنّها هي العاملة، فأنت إذا قلت: "ما قام إلا زيد" فقد أعملت الفعل على معنى الإيجاب، كما (لو) قلت: "قام زيد لا عمرو، وقامت" لا "مقام نفي الفعل عن عمرو، فكذلك قامت" إلا "مقام (إيجاب الفعل لزيد إذا قلت: ما جاءني إلا زيد، فكأنّها هي العاملة)، فاستغنوا عن إعمالها عملاً آخر."^٤ نفهم من كلامه أنّ الحروف أولى للعمل فيما دخلت عليه، عن الأسماء المفردة والأفعال.

١ - نفسه، ص ٦٢.

٢ - الرّضي الأسترابادي، شرح الرضي على الكافية، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قان يونس بنغازي، ١٩٩٦، ط ٢، ج ٣، ص ٥٧.

٣ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٦٣.

٤ - نفسه، ص ٦٤.

ونفس الشيء بالنسبة لحروف العطف حيث يقول: " وإن لم تكن عوامل، فإنما جاءت " الواو " الجامعة منها تجمع بين الاسمين في الإخبار عنهما، فقد أوصلت الفعل إلى العمل في الثاني، وسائر حروف العطف يتقدر بعدها العامل، فنكون في حكم الحروف الداخلة على الجمل، فإذا قلت: " قام زيد وعمرو " فكأنك قلت: " قام زيد وعمرو ". وإذا قلت: " زيد وعمرو في الدار "، فكأنك قلت: " زيد في الدار وعمرو فيها أيضاً ". فصارت هذه الحروف كالدخلة على الجمل. وقد تقدم في الحروف الداخلة على الجمل أنها لا تستحق من العمل فيها ما تستحق الحروف الداخلة على الأسماء المفردة والأفعال.

د- لام التوكيد: ونقيس على ما تقدم لام التوكيد، وتركهم لإعمالها في الجملة، مع أنها لا تدخل لمعنى في الجملة فقط، بل لتربط ما قبلها من القسم بما بعدها. هذا هو الأصل فيها، حتى إنهم ليذكرونها دون القسم فتشعر عند المخاطب باليمين، كما قال الشاعر: إنِّي لأمنحك الصدود وإنني ... قسماً إليك مع الصدود لأميل"¹
وعليه نستنتج من كلامه: أن :

جميع الحروف (ويقصد الحروف الناصبة والجازمة للمضارع) أحق للعمل فيما دخلت عليه عن الأسماء المفردة والأفعال، ويضيف إلى هذه الحروف، حروف العطف، ولام التوكيد.

٤- في بعض علامات الأسماء: يقول الإمام السهيلي: " ولهذه الحكمة عبّر أرباب الصناعة بالرفع والنصب والجزم والخفض عن حركات الإعراب، إذ الإعراب لا يكون إلا بعامل وسبب، كما أنّ هذه الصفات التي تضاف إلى الصوت من رفع ونصب وخفض إنما يكون بسبب وهو تحرك العضو فاقتضت الحكمة اللطيفة والصنعة البديعة أن يعبر بما يكون عن سبب عما يكون لسبب وهو الإعراب، وأن يعبر بالفتح والضم والكسر والسكون عن أحوال البناء، فإنّ البناء لا يكون بسبب، أعني بالسبب العامل. فاقتضت الحكمة أن يعبر عن تلك الأحوال بما يكون وجوده بغير آلة، إذ الحركات الموجودة في العضو لا تكون بالآلة، كما تكون الصفات المضافة إلى الصوت. فمن تأمل هذه الحكمة من أرباب الصناعة، رأى من بعد غورهم، ودقة أذهانهم، ورجاحة أحلامهم، وثقابة أفهامهم، ما يستدل به على أنهم مؤيدون بالحكمة في جميع أغراضهم وكلامهم. ولعلنا أن نعطف عنان الكلام بعد هذا إلى الخفض وتسميتهم إياه جرّاً. والتكلم على صورته في الخط، إلى غير

¹ - نفسه ، ص ٦٤ .

ذلك مما يليق ذكره بذلك المقام، والله المستعان.¹ هنا نلاحظ أنّ الإمام السهيلي يستعمل مصطلح آخر في ذكر العامل وهو "السبب" حيث يقول: "فإنّ البناء لا يكون بسبب، أعني بالسبب العامل"²، ويقول إنّ الإعراب لا يكون إلا بسبب، وكذلك يذكر تسمية بعض النحاة "الخفض" بـ"الجر".

" فإذا قلت: " سيقوم زيد غداً "، دلت " السين " على أنّ الفعل مستقبل بالإضافة إلى ما قبله، وليس قبله إلا حالة المتكلم، ودلّ لفظ " غداً " على استقبال اليوم فتطابقاً، وصار ظرفاً له. ووجه ثان ماء من التقديم في الظرف وغيره، وهو أنّ " السين " و " سوف " من حروف المعاني الداخلة على الجمل، ومعناها في نفس المتكلم وإليه يسند لا إلى الاسم المخبر عنه، فوجب أن يكون له صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والتمني وغير ذلك، ولذلك قبح: " زيداً سأضرب ".³ " وأما المسألة الموعود بها في أول الفصل التي شبهت فيها " السين " بالحروف الملحقة بالأصل، فهو أن يقال: لم لم تعمل "السين" و"سوف" في الفعل المستقبل وقد استبدت به دون الاسم، وشأن الحروف المستبدة بالأفعال، أو بالأسماء دون الأفعال، أن تكون عاملة؟. فإنّ الجواب أنّها فاصلة لهذا الفعل عن فعل الحال، كما فصلت الزوائد الأربع فعل الحال عن الماضي فأشبهتها، وإن لم تكن مثلها في اتصالها ولحوقها بالأصل، كما أشبهت حال الألف واللام التي للتعريف حال العلمية لاتصالها وتعرف الاسم بها، وإن لم تكن ملحقة بحروف الأصل. فلما لم تعمل تلك الأسماء مع اختصاصها بها، لم تعمل هذه الأفعال مع استبدالها بها، والله أعلم. وقد رأيت هذا التعليل للفارسي في بعض كتبه، ولابن السراج أيضاً.⁴ " وأما " لن " فهي عند الخليل مركبة من " لا " و " أن "، ولا يلزمه ما اعترض عليه سيبويه في تقديم المفعول عليها، لأنّه يجوز في المركبات ما لا يجوز في البسائط. فإذا ثبت ذلك فمعناها نفي الإمكان بـ " أن " كما تقدم. فكان ينبغي أن تكون جازمة كلم، لأنّها حرف نفي مختص بالأفعال، فوجب أن يكون إعرابه الجزم الذي هو نفي الحركة وانقطاع الصوت، ليتطابق اللفظ والمعنى كما تقدم في باب الإعراب. وقد فعلت ذلك طائفة من العرب، فجزمت بها حين لحظت هذا الأسلوب وأكثرهم ينصب بها مراعاة لأن المركبة فيها مع لا، إذ هي من

1 - نفسه، ص ٦٤.

2 - نفسه، ص ٧٤.

3 - نفسه، ص ٩٤.

4 - نفسه، ص ٩٥.

جهة الفعل وأقرب إلى لفظه، فهي أحق بالمراعاة من معنى النفي، فرب نفي لا يجزم الأفعال، وذلك إذا لم يختص بها دون الأسماء، والنفي في هذا الحرف إنما جاءه من قبل " لا "، و " لا " غير عاملة، لعدم استبدالها بالأفعال دون الأسماء، ولذلك كان النصب بها أولى من الجزم. على أنها قد ضارعت " لم " لتقارب المعنى واللفظ. حتى قدم عليها معمول فعلها. فقالوا: " زيداً لن أضرب "، كما قالوا: " زيداً لم أضرب ". ومن خواصها أنها تخلص الفعل للاستقبال بعد أن كانت صيغته للحال. فأغنت عن "السين" و"سوف". وكذلك جل هذه النواصب تخلص الفعل للاستقبال. ومن خواصها أنها تنفي ما قرب ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معنى النفي في حرف " لا " إذا قلت: " لا يقوم زيد أبداً."¹ ويقول: " اعلم أن الأفعال مضارعة للحروف، من حيث كانت عوامل في الأسماء مثلها، ومن هنا استحقت البناء، وحق العامل أن لا يكون مهياً لدخول عامل آخر عليه، كيلا يفضي الأمر إلى التسلسل المستحيل عقلاً وأصلاً، والفعل الماضي بهذه الصورة وعلى أصله من البناء ومضارعة الحروف العوامل في الأسماء، فليس يذهب الوهم عند النطق، إلا إلى انقطاعه عما قبله إلا بدليل يربطه، وقرينه تضمنه إليه تجمعه."² ففهم من الأفعال المضارعة للحروف من حيث كانت عوامل في الأسماء مثله؛

- حق العامل أن لا يكون مهياً لدخول عامل آخر عليه.

ويقول أيضاً "ومن أجل ما ذكرناه من وقوع الفعل بعد حرف الجزاء بلفظ الماضي، جاز وقوع " لم " الجازمة بعد " أن " وهما جازمتان، ولا يجتمع جازمان كما لا يجتمع في شيء من الكلام عاملان في معمول واحد من خفض ولا نصب، ولكن لما كان الفعل"³ يعني من كلامه:

- لا يجتمع في شيء من الكلام عاملان في معمول واحد من خفض ولا نصب.

" لا سيما على قول من زعم أن النعت يعمل فيه العامل في المنعوت. فعلى هذا القول لا يتصور كون الفعل أصلاً في باب النعت، لأن عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال. وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.⁴ ويقول: فدع عنك ما شغبوا به في مسائل الحال في هذا الباب، من قولهم: هذا قائماً زيد، و: قائماً هذا زيد، فإنه لا يصح من ذلك إلا تأخير

1 - نفسه، ص ١٠٠.

2 - نفسه، ص ١١٠.

3 - نفسه، ص ١١٥.

4 - نفسه، ص ١٦٣.

الحال عن الاسم الذي هو " ذا " لأنّ العامل فيها معنى الإشارة " دون " التثنية فلا يصح تقدمها والعامل معنوي. فإن قيل: ولم جاز أن يعمل فيها معنى الإشارة، ولم يجز أن يعمل فيها معنى التنبيه، وكلاهما معنى غير ملفوظ به؟ قلنا: معنى الإشارة تدل عليه قرائن الحال من الإيماء باللحظ واللفظ الخارج من طرف اللسان وهيئة المتكلم، فقامت تلك الدلالة مقام التصريح بلفظ الإشارة، لأن الدال على كلام النفس إما لفظ وإما إشارة وإما حق، فقد جرت الإشارة مجرى اللفظ، فلتعمل فيما عمل فيه اللفظ - وإن لم تقو قوته - في جميع أحكام العمل. وأصح من هذا كله عندي أنّ معنى الإشارة ليس هو العامل، إذ الاسم الذي هو " هذا " ليس بمشتق من أشار يشير، ولو جاز أن تعمل أسماء الإشارة لجاز أن تعمل علامات الإضمار لأنها أيضاً إيماء وإشارة إلى مذكور، وإنما العامل فعل مضمّر تقديره: " انظر "، وأضمر لدلالة الحال عليه من التوجه واللفظ. وقد قالوا: " لمن الدار مفتوحا بابها " فاعملوا في الحال معنى " انظر "، ودل عليه التوجه إليه من المتكلم بوجهة نحوها، فكذلك: (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) ، وهذا أقوى في الدلالة لاجتماع اللفظ مع التوجه¹. وهنا نلاحظ أن الإمام السهيلي لم يقبل أن يكون معنى الإشارة هو العامل بل يقول إنّ العامل فعل مضمّر تقديره " أنظر". ويقول أيضاً أن العامل المعنوي لا يعمل حتى يدل عليه الدليل اللفظي أو التوجه أو ما شاكلة. وذلك في قوله: " وإذا ثبت هذا فلا سبيل لتقديم الحال، لأنّ العامل المعنوي لا يعمل حتى يدل عليه الدليل اللفظي أو التوجه أو ما شاكلة والله المستعان². وهذا ما ذكره ابن الصائغ يحث يقول: " إذا دار الاختلال بين أن يكون في اللفظ أو في المعنى كان في اللفظ أولى؛ لأنّ المعنى أعظم حرمة؛ إذ اللفظ خدم المعنى، وإنما أتى باللفظ من أجله³ فالمعنى أعظم حرمة واللفظ خدم للمعنى ويأتي به كدليل كما قال السهيلي.

ويقول في العامل في النعت: قوله: " وإذا تقدم نعت النكرة عليها نصب على الحال ". تقدم في صدر هذا الفصل العامل في النعت، وفيه قولان: أحدهما: أن العامل في المنعوت هو العامل في النعت، وكان سيبويه إلى هذا ذهب حين منع أن يجمع بين نعني الاسميين إذا اتفق إعرابهما واختلف العامل فيهما نحو: جاء زيد وهذا محمد العاقلان. وذهب قوم

¹ - نفسه ، ص ١٧٩ .

² - نفسه، ص ١٧٩ .

³ - السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ط١، ج ١، ص ١١٧ .

إلى أنّ العامل في النعت معنوي، وهو كونه في معنى الاسم المنعوت، فإنّما ارتفع أو انتصب من حيث كان هو الأول في المعنى، لا من حيث كان الفعل عاملاً فيه، وكيف يعمل فيه وهو لا يدل عليه، إنّما يدل على فاعل أو مفعول أو مصدر دلالة واحدة من جهة اللفظ، وأما الظروف فمن دليل آخر.

وإلى هذا القول أذهب، وليس فيه نقص لما منعه سيبويه من الجمع بين نعتي الاسمين المتفقين في الإعراب إذا اختلف العامل فيهما، لأن العامل في النعت - وإن كان معنوياً - فلولو العامل في المنعوت لما صح رفع النعت ولا نصبه، فكان الفعل هو العامل في النعت، فامتنع اشتراك عاملين في معمول واحد، ولو لم يكونا عاملين فيه في الحقيقة، ولكنهما عاملان فيما هو في المعنى.¹ في هذه المسألة لم يتبع الإمام السهيلي سيبويه بل اتبع الرأي الآخر، ولكن لم يعترض على قول سيبويه ولم ينتقص منه. فيقول إنّ العامل في النعت معنوي. ويقول: " لا يلي العامل إلا ما عمل فيه"، فلذلك لا يلي " كان " إلا ما علمت فيه.² وأعطى لنا مثال " كان " وقال بأن لا يليها إلا ما عملت فيه. ويقول " أنّ الفعل العامل في الاسم لا يعمل في نعته، لأنّ النعت صفة لمنعوت لازمة له قبل وجود الفعل وبعده، فلا تأثير للفعل فيه، ولا تسلط له عليه، وإنّما التأثير فيه للاسم المنعوت، إذ بسببه يرتفع وينتصب وينخفض، وإن لم يجر أن تكون الأسماء عوامل في الحقيقة. وهذا بخلاف الحال، " ³ بمعنى أنّ الفعل عندما يعمل في الاسم لا يؤثر في نعته.

٥- من عطف النعوت بعضها على بعض: قال: " وإن شئت عطفت بعض النعوت على بعض ". الأصل في باب العطف أن لا يعطف الشيء على نفسه، وإنّما يعطف على غيره، وعلّة ذلك أن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل، وتكرار العامل يلزم معه تكرير المعمول.⁴ فتكرار العامل يلزم تكرار المعمول ويعطي لنا مثال على ذلك: " كذباً وزوراً " و " كذباً وميناً " .

٦- باب العطف: يقول: " العامل في المعطوف مضمر يدل عليه حرف العطف، وهو في معنى العامل في الاسم الأول وكأنّك إذا قلت: قام زيد وعمرو، قلت: قام زيد وقام عمرو، وأغنت الواو عن إعادة الفعل، وإنّما قلنا ذلك للقياس والسماع. أما القياس فإنّه ما

1 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ١٨٠.

2 - نفسه، ص ١٨١.

3 - نفسه، ص ١٨١.

4 - نفسه، ص ١٨٦.

بعد حرف العطف لا يعمل فيه ما قبله، ولا يتعلق به إلا في باب المفعول معه، لعلّة تذكر هناك. ووجه آخر، وهو: أن النعت هو المنعوت في المعنى، وليس بينه وبين المنعوت واسطة، ومع ذلك فلا يعمل فيه ما يعمل في المنعوت في أصح القولين، فكيف بالمعطوف الذي هو غير المعطوف عليه. وبينهما واسطة وهو الحرف؟ وأما ما يدل على إضمار العامل من السماع، فقول الأئمّاري:

بل بني النجار إن لنا ... فيهم قتلى وإن تره^١

نفهم من قوله أنّ: العامل في المعطوف مضمر يدل عليه حرف العطف، وقال ذلك من حيث القياس والسماع. "ويقول حسن خميس سعيد الملخ: " فالسماع هو العلة الأولى في النحو العربي، تستخرج منه العلل " بعد اطّرادها في الاستعمال، لتوصل إلى النطق به على حسب ما نطق به أهل اللّغة العربيّة"^٢ العامل اللفظي له صدر الكلام، وإذا قطعها عما قبلها في اللفظ لم يكن لها شيء تعتمد عليه قبلها ولا بعدها، قبح ذلك. وأما إذا كان العامل معنوياً نحو: كل ذاهبون، فليس بقاطع لها عما قبلها من المذكورين، لأنّه لا وجود له في اللفظ.^٣ ويقول أيضاً " لا يلي العامل ما عمل فيه غيره.^٤ يعنى أنّه العامل لا يلي معمول عمل فيه غيره، وكأنّ به يقول إنّه لا يأتي عاملين في نفس الجملة مباشرة، دون فاصل. ويقول أيضاً: " حكم " إنّ " إذا دخل عليها عامل أن تفتح الهمزة منها، فصار اللفظ: (كأن زيدا الأسد"، فلما في كلمة من التشبيه المخبر به عن " زيد"، صار " زيد " بمنزلة من أخبر عنه بالفعل، فوقع موقع النعت والحال، وعمل ذلك المعنى وتعلقت به المجرورات ومن حيث كان في الكلمة وعني إن دخلت في هذا الباب، ووقع في خبرها الفعل نحو قولك: " كأن زيدا يقوم ". وكذلك يقول: " وكل هذه الحروف تمنع ما قبلها أن يعمل فيما بعدها لفظاً أو معنى. أما اللفظ فلأنّه لا يجتمع عاملان في اسم واحد، وهذه الحروف عوامل. وأما المعنى فلا تقول: " سرني زيد قائم"، أي: سرني هذا الحديث. ولا " كرهت زيد قائم " أي: كرهت هذا الحديث، كما يكون ذلك في كان وليس لأنّ كان ليست بفعل محض فجاز أن تقول: " كأنّ زيد قائم ". أي: كأنّ هذا الحديث، ولم يجز في " سرني

1 - نفسه، ص ١٩٥.

2 - حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص ١١٦.

3 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٢٢٦..

4 - نفسه، ص ٢٦٤.

5 - نفسه، ص ٢٦٦.

" ولا " بلغني ".¹ ويقصد بكل هذه الأفعال " ليت، لعل، إن،...ويقول أيضاً: " والجواب: أنّ المبتدأ يعمل فيه عامل معنوي، والعامل المعنوي لو لا أثره في المعمول اللفظي لما عقل، وهذه الجملة المؤكدة بأنّ إنّما يصح أن تكون معمولاً لعامل لفظي، لأن العامل معني والمعمول معني أيضاً، وهذا لا يفهمه المخاطب ولا يصل إلى علمه إلا بوحى، فامتنع أن تكون هذه الجملة المؤكدة في موضع المبتدأ لأنه لا ظهور للعامل ولا للمعمول، ومن ثمّ لم تدخل عليها عوامل الابتداء من " كان " وأخواتها و " إن " وأخواتها، لأنها قد استغنت بظهور عملها في الجملة عن حرف يصير الجملة في معني الحديث المعمول فيه، فلا تقول: " كان أنّك منطلق "، لا حاجة إلى " أن " مع عمل هذه الحروف في الجملة. وجواب آخر، وهو أنّهم لو جعلوها في موضع المبتدأ لم يسبق إلى الذهن إلا الاعتماد على مجرد التوكيد دون توطئة الجملة للإخبار عنها، فكأنّك تكسر همزتها. وقد تقدم أنّ الكسر إشعار بالانقطاع عما قبل، واعتماد على المعني الذي هو التوكيد، فلم يتصور فتحها في الابتداء إلا بتقدم عامل لفظي يدل على المراد بفتحها، لأنّ العامل اللفظي يطلب معموله، فإنّ وجده لفظاً فهذا غير ممنوع منه، وإلا تسلط على المعني، والابتداء بخلاف هذا. فإن قيل: فلم قالوا: " علمت أنّ زيداً قائم " و " ظننت أنّك ذاهب "، هلا اكتفوا بعمل هذه الأفعال في الأسماء عن يصير الجملة في معني الحديث، كما اكتفوا في باب (كان) و (أن)؟. والجواب: أنّ الفرق بينهما أنّ هذه أفعال تدل على الحدث والزمان، وليست بمنزلة (ليس) و(كان)، ولا بمنزلة (إن) و(ليت)، فأجريت مجرى (كرهت) و (أحببت). وفي فصل آخر يطرح سؤال فيقول: " إن قيل: فما العامل في هذا الحديث المؤكد بأن من قولك: لو أنّك ذاهب فعلت، لا سيما و (لو) لا يقع بعدها إلا الفعل، ولا فعل ههنا؟ فما موضع (أن) وما بعدها؟. فالجواب: أنّ " أن " في معني التوكيد، وهو تحقيق وتثبيت، فذلك المعني الذي هو التحقيق اكتفت به (لو)، حتى كأنه فعل وليها، ثم عملت ذلك المعني في الحديث كأنّك قلت: " لو ثبت أنّك منطلق "، فصارت كأنها من جهة اللفظ عاملة في الاسم الذي هو لفظ، ومن جهة المعني عاملة في المعني الذي هو الحديث. فإن قيل: ألم يتقدم أن لا يعمل عامل معنوي في معمول معنوي؟. قلنا: هذا في الابتداء حيث لا لفظ يسد مسد العامل اللفظي، فأما ههنا فلو لشدة مقارنتها للفعل وطلبها له، تقوم مقام اللفظ بالعمل الذي هو التحقيق والتثبيت الذي دلت عليه " أن " بمعناها. ومن ثم عمل حرف النفي المركب

¹ - نفسه، ص ٢٦٦.

² - نفسه، ص ٢٦٨.

مع (لو) من قولك " لولا زيد " عمل الفعل، فصار زيد فاعلاً بذلك المعنى حتى كأنك قلت: لو انعدم زيد، أو: غاب زيد، ما كان كذا وكذا. ولولا مقارنة (لو) لهذا الحرف لما جاز هذا، لأنّ الحروف لا تعمل في الأسماء معانيها أصلاً، فالعامل في هذا الاسم الذي بعد (لولا) كالعامل في هذا الاسم الذي هو الحديث من قولك: " لو أنك ذاهب لفعلت كذا ". ويقول أيضاً: " ...على فعل باطن من أفعال النفس والقلب، آثار هذا الفعل الظاهر، وصار ذلك الفعل الباطن عاملاً في المصدر الذي هو المفعول من أجله في الحقيقة، والفعل الظاهر دال عليه، ولذلك لا يكون المفعول من أجله منصوباً حتى يجتمع فيه ثلاثة شروط^١ " بمعنى أنه يمكن أن يكون الفعل باطن في النفس ولكنه عامل في المصدر الذي هو المفعول من أجله في الحقيقة، وهذا ربّما يكون واضح أكثر إذا ما رجعنا إلى النحو التحويلي لتشومسكى، حيث يتضح لنا من خلالها معنى الفعل الباطن والمصدر الذي هو في الحقيقة مفعول لأجله، وذلك بمعنى البنية العميقة، ويقول الفعل الظاهر دال عليه ويقصد البنية السطحية. ويقول أيضاً: " فاستغنى بذكر "الألف واللام" وعلم المخاطب أنه مشير وتنبه المخاطب بالإشارة إلى النظر، وصار ذلك المعنى المنبّه عليه عاملاً في الحال. وكذلك قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾^٢، كأنه يقول: " هو ذلك الحق "، لأنّ الحق قديم ومعروف بالعقول والكتب المتقدمة. فلما أشار نبهت الإشارة على العامل في الحال، كما إذا قلت: " هذا زيد قائماً "، نبهت الإشارة المخاطب على النظر، فكأنك قلت: " انظر إلى زيد قائماً " لأنّ الاسم الذي هو " ذا " ليس هو العامل، ولكنه مشعر ومنبه على المعنى العامل في الحال، وذلك المعنى هو " انظر " وهذا أشار إليه فيما سبق. ويقول أيضاً " وليس يجوز أن يعمل عامل واحد في حالين ولا ظرفين، إلا أن يتداخلا ويصح الجمع بينهما نحو قولك: " زيد خارج يوم الجمعة صحوة ". لأنّ الصحوة في يوم الجمعة^٣ وكذلك يقول: " وأما السؤال الرابع - وهو جواز التقديم والتأخير - فإنّ الحال الأولى يجوز فيها ذلك لأنّ العامل فيها لفظي، وهو ما في " أطيّب " من لفظ الفعل:

1 - نفسه، ص ٢٦٩.

2 - نفسه، ص ٣٠٤.

3 - فاطر، الآية: ٣١.

4 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٣٠٦.

5 - نفسه، ص ٣٠٨.

فلك أن تقول: " هذا بسرّاً أطيب منه رطباً "، وأن تقول: هذا أطيب بسرّاً منه رطباً " وهو الأصل. " وأما الحال الثانية فلا سبيل إلى تقديمها على عاملها، لأنه معنوي، والعامل المعنوي لا يتصور تقديم معموله عليه، لأنّ العامل اللفظي إذا تقدم عليه منصوبه الذي حقه التأخير، قلت فيه: " مقدم في اللفظ مؤخر في المعنى "، فقسمت العبارة بين اللفظ والمعنى. فإذا لم يكن للعامل وجود في اللفظ لم يتصور تقديم المعمول عليه: لأنه لا بد من تأخير المعمول عن عامله في المعنى، فلا يوجد إلا بعده، وعامله متقدم عليه، لأنه منوي غير ملفوظ به، فلا تذهب النية والوهم إلى غير موضعه. بخلاف اللفظي فإن محل اللفظ اللسان ومحل المعنى القلب، فإذا ذهب اللسان باللفظ إلى غير موضعه لم يذهب القلب بالمعنى إلا إلى موضعه وهو التقديم، فتأمله".^١

٧- باب الإبتداء أو الرفع: " العامل اللفظي أقوى من المعنوي، إذ هو متضمن اللفظ والمعنى جميعاً بخلاف المعنوي.^٢ وهذا ما رأي الرضي الاستربادي وابن الضائع، وكذلك جلال الدين السيوطي حيث يقول: " إذا اجتمع الحمل على اللفظ والحمل على المعنى بدئ بالحمل على اللفظ، وعُلِّل ذلك بأنّ اللفظ هو الشاهد المنظور إليه، وأما المعنى فخفيّ راجع إلى مراد المتكلم، فكانت مراعاة اللفظ والبداءة بها أولى. وبأنّ اللفظ متقدّم على المعنى لأنك أول ما تسمع اللفظ فتفهم معناه عقبه فاعتبر الأسبق"^٣ ويقول "حال الخبر في التقديم أخفّ من تقديم التوابع، لأنّ التوابع من تمام الاسم المتبوع، وليس الخبر من تمام المبتدأ ولكنه من تمام الكلام الذي فيه المبتدأ، ألا ترى أنّ النعت مع المنعوت لا يكون كلاماً كما يكون الخبر مع المبتدأ كلاماً، فقد صار النعت كجزء من الاسم المنعوت فلا يتقدم عليه بإجماع، وخبر المبتدأ - وإن كان العامل فيه معنوياً - فالعامل المعنوي لا يتقدم معموله عليه للسر الذي ذكرناه في غير هذا الموضع، ولكنه يفارق النعت والبديل قليلاً بما قدمناه من الفرق. فإن قيل: كيف يستقيم من الخليل منع تقديم الخبر مع كثرته في القرآن والكلام الفصيح نحو قوله سبحانه: (وآية لهم الليل).^٤ عدل " سيبويه " في قولهم: " فيها قائما رجل " و " لميّة موحشاً طلل " إلى أن جعلها حالاً من نكرة، ولم يجعلها من الضمير الذي في الخبر. لأنّ الخبر مؤخر في النية هو العامل في الحال، وهو معنوي، والحال لا تتقدم

١ - نفسه، ص ٣٠٩.

٢ - نفسه، ص ٣١٢.

٣ - السيوطي، الأشباه والنظائر، ج ٢، ص ١١٥.

٤ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٣١٣.

على العامل المعنوي. فهذا كله ينبئك أنّ الظرف والمجرور ليس هو الخبر في الحقيقة ولا الحامل للضمير، ولا العامل في شيء من الأشياء، لا في حال، ولا في ظرف، ولا في فاعل. ومن جهة العقل أنّ "الدار" إذا انفردت بلفظها لم يصح أن تكون خبراً عن "زيد" ولا عاملة، ولا حاملة للضمير. وكذلك (في) و (من) سائر حروف الجر أو انفردت لم يكن فيها شيء من ذلك، فقد وضح لك أن الخبر هو غيرها، وموضعه موضعه، والحمد لله.¹

٨- في إعراب الوصف المعتمد: "وإذا ثبت هذا فجائز أن يكون اسم الفاعل في حال الاعتماد على ما قبله، ومع القرائن المقوية رافعاً للفاعل، وخبراً مقدماً والاسم بعده مبتدأ، الوجهان جائزان. نحو: "زيد قائم أخواه" و "زيد قائمان أخواه"، إلا في موضع واحد وهو أن يكون الفاعل ضميراً منفصلاً نحو: "زيد قائم أنت إليه" "أقائم هو؟". فإنّ هذا لا يكون إلا مبتدأ وخبراً، لأنّ المنفصل لا يكون فاعلاً مع اتصاله بالفاعل، إنّما يكون فاعلاً إذا لم يمكن اتصاله به نحو: "ما قائم إلا أنت" ونحو: "الضاربة هو"، ألا ترى إلى قوله - صلى الله عليه وسلم - لورقة بن نوفل: "أو مخرجي هم؟".² ويقول: "لا أدري أقمت أم قعدت"، فلما صارت الجملة الاستفهامية في معنى المفعول بفعل من أفعال القلب، لم يلزم أن يكون بها ضمير يعود على ما قبلها، إذ ليس قبلها في الحقيقة إلا معنى فعل يعمل فيها، وكيف يعود من المفعول فيه ضمير يعود على عامله؟³ "ووجه آخر، وهو" (كلا) يقبح أن يليه العوامل اللفظية، لأنّه في الأصل توكيد، والتوكيد لا يليه العوامل اللفظية ويحسن رفعه بالابتداء، إذ الابتداء ليس بعامل لفظي فأما ما ذكر من قولهم: "شهر ترى، وشهر ترى، وشهر مرعى".⁴ وكذلك حروف العطف، وإن لم تكن عوامل، فإنّما جاءت "الواو" الجامعة منها تجمع بين الاسميين في الإخبار عنهما، فقد أوصلت الفعل إلى العمل في الثاني، وسائر حروف العطف يتقدّر بعدها العامل، فنكون في حكم الحروف الداخلة على الجمل، فإذا قلت: "قام بعدها العامل" فنكون في حكم الحروف الداخلة على الجمل، فإذا قلت: "قام زيد وعمرو" فكأنك قلت: "قام زيد وقام عمرو". وإذا قلت: "زيد وعمرو في الدار"، فكأنك قلت: "زيد في الدار وعمرو فيها أيضاً".

1 - نفسه، ص ٣٢٧.

2 - نفسه، ص ٣٢٨.

3 - نفسه، ص ٣٣٢.

4 - نفسه، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

فصارت هذه الحروف كالدخلة على الجمل. وقد تقدم في الحروف الداخلة على الجمل أنها لا تستحق من العمل فيها ما تستحق الحروف الداخلة على الأسماء المفردة والأفعال. ونقيس على ما تقدم لام التوكيد، وتركهم لإعمالها في الجملة، مع أنها لا تدخل لمعنى في الجطه فقط، بل لتربط ما قبلها من القسم بما بعدها.^١ لأنه حين قال: " لأمنحك " علم أنه قد أقسم، فلذلك قال: " قسماً ". وهذا الأصل محيط بجميع أصول أعمال حروف الجر وغيرها من العوامل. وكاشف عن أسرار العمل للأفعال وغيرها من الحروف في الأسماء، ومنبهة على سر امتناع الأسماء من أن تكون عوامل في غيرها، والحمد لله على ما علم.^٢

في الإضافة: قوله: (ولم تخفض الأفعال لأنّ الخفض لا يكون إلا بالإضافة). هذا لا يلزم، لأنّ نصب الأفعال ورفعها لم يكن بعوامل الأسماء، فلزم مثل ذلك في خفضها لو خفضت، ولكن العلة ما قدمناه.^٣ نواصب والجواز لم تقع موقع الأسماء، لأنّ الأسماء لا تكون بعد عوامل الأفعال، فبعدت عن الأسماء، ولم يبق فيها إلا مضارعتها لها في اتصال حروف المد بها، مع الاشتراك في معنى الفعل. فإن قيل: فأين الإعراب فيها في حال النصب والجزم؟ ولما لم يكن العمل فيها أصلاً لم تقو قوة أخواتها، فألغيت تارة وأعملت أخرى، وضعت عن عوامل الأفعال فإن قيل: فهلا فعلوا بها ما فعلوا بـ " إذا " حين نونوها، وحذفوا الجملة بعدها فيضيفوا إليها ظروف الزمان كما يضيفونها إلى " إذ " في قولك: " حينئذ " " يومئذ "، إذ الإضافة في المعنى إلى الجملة التي عاقبها التثوين؟^٤ علم أنّ الأفعال مضارعة للحروف، من حيث كانت عوامل في الأسماء مثلها، ومن هنا استحققت البناء، وحق العامل أن لا يكون مهيناً لدخول عامل آخر عليه، كيلا يفضي الأمر إلى التسلسل المستحيل عقلاً وأصلاً، والفعل الماضي بهذه الصورة وعلى أصله من البناء ومضارعة الحروف العوامل في الأسماء، فليس يذهب الوهم عند النطق، إلا إلى انقطاعه عما قبله إلا بدليل يربطه، وقرينه تضمنه إليه تجمعه.^٥ فإذا كان العام الذي بعد عامك يسمى قابلاً فعامك الذي أنت فيه قبل، ولفظها من لفظ قابل. فقد بأنّ ذلك من جهة اللفظ والمعنى أن " قبل " مصدر في الأصل والمصدر كسائر الأسماء لا يكف به ولا يهياً

١ - نفسه، ص ٦٤.

٢ - نفسه، ص ٦٥.

٣ - نفسه، ص ٨٣.

٤ - نفسه، ص ٨٥.

٥ - نفسه، ص ١٠٥.

٦ - نفسه، ص ١١٠.

لدخول الجمل بعده، وإنما ذلك في بعض الحروف العوامل، لا في شيء من الأسماء.^١ وإنما قلنا ذلك لأنَّ حكم النعت أن يكون جارياً على المنعوت في رفعه ونصبه وخفضه، لأنَّه هو هو مع زيادة معنى، ولأنَّ الفعل أصله أن يكون له صدر الكلام لأنَّه عامل في الأسماء، وحق العامل التقديم على المعمول، لا سيما على قول من زعم أنَّ النعت يعمل فيه العامل في المنعوت. فعلى هذا القول لا يتصور كون الفعل أصلاً في باب النعت، لأنَّ عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال.^٢ ويقول: "افتقار الموصول إلى صلته ومما يبيِّن لك أنَّ الفعل العامل في الاسم لا يعمل في نعته، أنَّ النعت صفة لمنعوت لازمة له قبل وجود الفعل وبعده، فلا تأثير للفعل فيه، ولا تسلط له عليه، وإنما التأثير فيه للاسم المنعوت، إذ بسببه يرتفع وينتصب وينخفض، وإن لم يجز أن تكون الأسماء عوامل في الحقيقة.^٣ ويقول "أنَّ ينعطف الفعل على الاسم كيلاً يشترك معه في العامل الذي يعمل فيه، إذ لا تعمل عوامل الأسماء في الأفعال، فأضمرُوا (أنَّ) لأنها مع الفعل في تأويل الاسم.^٤ ويقول: "وعوامل الأسماء عندكم أقوى من عوامل الأفعال؟" وكل هذه الحروف تمنع ما قبلها أن يعمل فيما بعدها لفظاً أو معنى. أما اللفظ فلأنَّه لا يجتمع عاملان في اسم واحد، وهذه الحروف عوامل.^٥ ويقول "ولا يصل إلى علمه إلا بوحى، فامتنع أن تكون هذه الجملة المؤكدة في موضع المبتدأ لأنَّه لا ظهور للعامل ولا للمعمول، ومن ثم لم تدخل عليها عوامل الابتداء من "كان" وأخواتها و"إنَّ" وأخواتها، لأنَّها قد استغنت بظهور عملها في الجملة عن حرف يصير الجملة في معنى الحديث المعمول فيه، فلا تقول: "كان أنك منطلق"، لا حاجة إلى "أن" مع عمل هذه الحروف في الجملة.^٦

١٠ - في متعلق الخبر إذا كان ظرفاً: خبر المبتدأ إذا كان ظرفاً أو مجروراً يُعلق بالفعل، ويقدر تقدير "مستقر" وكذلك إذا كان في موضع نعت أو حال أو صفة أو صلة، وكان في ذلك الاستقرار ضمير يعود على المبتدأ، كما يكون في "مستقر" إذا

١ - نفسه، ص ١٤٦.

٢ - نفسه، ص ١٦٣.

٣ - نفسه، ص ١٧١.

٤ - نفسه، ص ٢٤٦.

٥ - نفسه، ص ٢٤٧.

٦ - نفسه، ص ٢٦٦.

٧ - نفسه، ص ٢٦٧.

لفظ به، لأنّ تعلق الجار به يدل عليه دلالة اللفظ، لكنّه لا يجري مجرى العوامل اللفظية في تقدم الحال عليه، ولا في نصب المفعول معه.¹

أعتقد أنّي قد تعرضت لكل الحالات التي ذكر فيها العامل، وعليه خلصت إلى القول أنّ نظرية العامل عند الإمام السهيلي مبنية على اللفظ والمعنى، فكلما شرح حالة من الحالات المذكورة، نجده يستعمل اللفظ والمعنى. ويتضح من خلال دراستي لهذا الموضوع أنّه لم يتأثر قط بمعاصره ابن مضاء القرطبي رغم أنّه يقال إنّ كان من أصحابه، ويتضح أيضاً أنّ الإمام السهيلي تعامل مع العامل بشكل موضوعي يبحث فيه عن المعنى، وهو الذي سمى العامل بالسبب وعليه فكلما يشرح العامل يحاول فهم المعنى، فالبحث عن المعنى يتوصل إلى العامل. فكما يقول الأستاذ الحاج صالح: "فإن النحو العربي الخليلي قد بني كله على مفاهيم أصيلة لا يوجد لها نظير في منطق أرسطو. فأساسها التمييز الصارم بين اللفظ والمعنى أي بين بنية الخطاب وما يدل عليه بلفظه من جهة وبين هذه الدلالة اللفظية والدلالات غير اللفظية من جهة أخرى."²

III. بين الإمام السهيلي والنحاة - تأثير وتأثر -

- 1- بين السهيلي في "نتائج الفكر في النحو" وابن القيم في "بدائع الفوائد":
- أ- التعريف بكتاب بدائع الفوائد: يقول محقق كتاب بدائع الفوائد "علي بن محمد العمران" أنّ الكتاب قد ألف بعد سنة ٧٣٢. ³ ويمكن تقسيم مباحث الكتاب كما يلي:
 - 1- مباحث نحوية (أكثرها من النتائج): ١/ ١٣ - ٢٣٣.
 - 2- مباحث نحوية: ١/ ٢٥٠ - ٢٨٠، ١/ ٣٠١ - ٣٨٤.
 - 3- مسائل نحوية ولغوية: ٢/ ٤٥٢ - ٥٧٦،
 - 4- مسائل نحوية: ٣/ ٩٨٩ - ٩١٥،
 - 5- واو الثمانية و(لولا) ٣/ ٩١٥ - ٩٢٢،
 - 6- مباحث في الاستثناء ٣/ ٩٢٢ - ٩٥٤.

¹ - نفسه، ص ٣٢٤.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب: إيجابياته وسلبياته"، ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثامنة والستين يوم الأحد ٢٤ من المحرم سنة ١٤٢٣هـ الموافق ٧ من أبريل (نيسان) سنة ٢٠٠٢م، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ع ٩٦، ص ١١٦.

³ - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، مجد: ١، دار علم الفوائد، للنشر والتوزيع، ص ١٣.

٧- فوائد من كلام ابن عقيل وفتاويه: ٣ / ١٠٣٥ - ١١٧٦.

٨- مباحث نحوية ولغوية: ٤ / ١٦٣٠ - ١٦٥٦.

يقول الأستاذ إبراهيم البنا عن كتاب "بدائع الفوائد" "فقد استطاع ابن القيم أن يحذف مقدمة النتائج ثم يضمن مسائلها كتاب "البدائع" دون أن يشير إلى أنها من نتائج الفكر، وقد كان ابن القيم يذكر السهيلي أحياناً، ولكنه لم يلتزم هذا في جميع فوائده"^١ ويقول: "ومن ينظر كتاب البدائع يظن أن هذه إحدى بدائع ابن قيم الجوزية، وهي منه براء"^٢ وحسب رأي إبراهيم البنا هذا ما جعل "كثير من النحاة فنسبوا إلى ابن القيم آراء في النحو ليست له"^٣ ويقول إنه "سيكون إخراج كتاب "نتائج الفكر" ميزاناً يعرف به ابن القيم في النحو."^٤ ويمكن أن يحدد نحو السهيلي في هذا الكتاب ابتداء من فائدة الإضافة، إلى مسألة السلام حيث ترى مسائل السهيلي بلفظها، وإما مختزلة، وإما مضافاً إليها آراء أخرى مع تقديم وتأخير،^٥ و"مسألتان أخريان في الجزء الثالث من البدائع: وهما مسألة (سواء عليهم أنذرتهم)، ومسألة الأخبار بالزمان عن الجثث"^٦

ب- اقتباسات من السهيلي: "لن أتحدث هنا عن النقول التي نسبها أصحابها إلى موضعها من كتب أبي القاسم، فذلك كثير يتردد في كتب اللغة والنحو والإعجاز، ولكني أذكر هذه النقول التي اقتطعت قطعاً من كتبه، دون أن يشار إلى مصدرها، حتى أنها ليست له، ونسبت إلى من نقلها"^٧

ج- ويقول علي بن محمد العمران: "أما المؤلف فقد قال في كتابه هذا: (٢٤٩/١):
"فهذا ما فتح الله العظيم... من غير استعانة بتفسير، ولا تتبّع لهذه الكلمات من مضان
توجد فيه... والله يعلم أني لو وجدت في كتاب لأضفتها إلى قائلها، ولبالغت في
استحسانها..."

١ - محمد إبراهيم البنا، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، ص ١٩٦.

٢ - نفسه، ص ١٩٦.

٣ - نفسه، ص ١٩٦.

٤ - نفسه، ص ١٩٦.

٥ - نفسه، ص ١٩٦.

٦ - نفسه، ص ١٩٧.

٧ - نفسه، ص ١٩٥ - ١٩٦.

وقال في موضع آخر: (٥٢٨/٢): " فتأمل هذه المعاني... وقد ذكرنا من هذا وأمثاله... مالو وجدناه لغيرنا لأعطيناه حقه من الاستحسان والمدح...أه، وأنظر: (٣٦١/١ و ٤١٨/٢)".^١

١-١- المواضع التي ذكر فيها السهيلي:

أ- " وقال في موضع آخر (٣٦١ / ١): " فهذا ما في هذه المسألة، وكان قد وقع لي هذا بعينه أيام المقام في مكة، وكان يجول في نفسي فأضرب عنه صفحا؛ لأنني لم أراه في مباحث القوم، ثم رأيت بعد لفاضلين من النحاة؛ أحدهما: حام حوله وما ورد، ولا أعرف اسمه. والثاني: أبو القاسم السهيلي- رحمه الله- فإنه كشفه وصرح به..."^٢

ب- "وقال بعد أن قرر بعض المسائل: (٤١٨ / ٢): " ثم رأيتُ هذا المعنى بعينه قد ذكره السهيلي، فوافق فيه خاطرُ الخاطر"^٣

ثم صرح باسمه في الفائدة الثانية المنقولة من " النتائج" (ص/٣٧)، فبعد أن ذكر ابن القيم أصل المسألة وزاد وتوسّع وصفَى كلام السهيلي مما ينتقد عليه في المعتقد، ونقل عن شيخه ابن تيمية فوائد = ذكر إشكالا وقال: " وأجاب السهيلي... وحكاه بلفظه، ثم قال ختامه: " وهذا الجواب من أحد أعاجيبه وبدائعه رحمه الله" (ص / ٣٩).^٤

"- وقد صرح ابن القيم بالنقل عن السهيلي صراحة لا مزيد عليها، وكان له في ذلك طرائق:

- منها: أن يذكر رأس المسألة دون نسبة، وفي أثناء الأجوبة والمناقشات يُورد كلام السهيلي وتعليقاته، كما في (٣٧ / ١).

- ومنها: أن يذكر كلامه بنصّه (قال السهيلي)، وفي آخره (تم كلامه) كما في (٤١/١)

- وتارة يقول من أول المسألة: (رأيت للسهيلي فصلاً حسناً هذا لفظه) (٤٥ / ١)، ٤٧ و ٥٠٦ / ٢).

- تارة ينقل الفائدة، وفي آخرها يقول: (هذا لفظ السهيلي)، كما في (٥٩ / ١)، ٣٣٢ و ٥٠١/٢، ٥٠٥، ٥٥٦).

١ - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قِيم الجوزيَّة، بدائع الفوائد، ص ٥٨، ٣١، ٣٢.

٢ - نفسه، ص ٢٧.

٣ - نفسه، ص ٢٧.

٤ - نفسه، ص ٥٨.

- وأحياناً يقول: (وهذا ما أشار إليه السهيلي فقال) ويسوق نصّه، كما في (٦٣/١)
و (٥١٦ /٢).
- وقال في موضع: (وقال بعض الناس) وهو السهيلي (٤٨٧/٢).
- وقال في موضع: فائدة من كلام السهيلي: (٣٠٨ /١).
- وقال في آخر: (هذا تقرير طائفة من النحاة منهم السهيلي) (٢٥٤/١).
- نقل كلامه في موضع (٤١٨ /٢) ثم قال: " ثم رأيت هذا " المعنى بعينه قد ذكره السهيلي، فوافق عليه الخاطِرُ والخطِرُ^٢
- " ونقل عنه في موضع (٣٦١ /١) وقال: إنّ هذا المعنى وقع له أثناء إقامته بمكة، وكان يجول في نفسه فيضرب عنه صفحاً؛ لأنّه لم يره في مباحث القوم، ثم رآه بعدُ لاثنتين من النحاة، أحدهما لا يعرفه.. والآخر السهيلي، فإنّه كشفه وصرّح به.^٣
- " فمن الثناء عليه قوله (٣٨/١): " وهذا الجواب من أحد أعاجيبه وبدائعه رحمه الله " وقوله (٥١/١): " وهذا الفصل من أعجب كلامه، ولم أعرف أحداً من النحويين سبقه إليه"، وقوله (٤٠٢/٢): " وهذا من كلامه من المرقّصات، فإنّه أحسن فيه ما شاء". وقوله: (١١٦ /١): " وقد تولّج - رحمه الله - مضايق تضايق عنها أن تولجها الإبر، وأتى بأشياء حسنة...". واعترف له بالسبق والفضل والتقدّم في (١٤٢ /١) فقال: " فهذا تمام الكلام على ما ذكره من الأمثلة وله - رحمه الله - مزيد السبق وفضل التقدم.^٤ فهذا أشكال موضع في الكتاب، إلا أن يقال فيه ما قاله المؤلف في موضع آخر (٤١٨/٢) إذ ساق فصلاً، ثم قال في آخره: "ثم رأيت هذا المعنى بعينه قد ذكره السهيلي، فوافق فيه الخاطِرُ الخاطِرُ". وكذلك ما قاله في موضع قبله (٣٦١/١) بعد أن ساق فصلاً للسهيلي: " وكان قد وقع لي هذا بعينه أيام المقام بمكة، وكان يجول في نفسي فأضرب عنه صفحاً؛ لأنّي لم أره في مباحث القوم، ثم رأيتُه بعدُ لفاضلين من النحاة، أحدهما: حام حوله وما ورد، ولا أعرف اسمه. والثاني: أبو القاسم السهيلي - رحمه الله - فإنّه كشفه وصرّح به...^٥

1 - نفسه، ص ٥٩.

2 - نفسه، ص ٦٠.

3 - نفسه، ص ٦٠.

4 - نفسه، ص ٦٠.

5 - نفسه، ص ٦٤.

١-٢- المواضع التي لم يصرح بالسهيلي: "ثم بدأ المسائل والفوائد النحوية واللغوية من (ص/٢٧) نقلاً عن السهيلي دون تصريح، وهي أول فائدة في كتاب "النتائج": (ص/٣٧) وأثنى على قوّته فقال (٣٦٢/١): "هذا كلام الفاضل، وهو كما ترى كأنه سيل ينحط من صيب"، وأثنى على ذهنه الثاقب وفهمه البديع (٤١٦/٢)^١ فقد رد عليه في مواضع كثيرة جداً كما في (٣٩/١)، وفي (٣٦٢/١) أثنى عليه وأنّ كلامه: سيل ينحط من صَبَب، ثم ردّ عليه. وساق كلامه في موضع (٣٣٤/١) ثم قال: "وهو كما ترى غير كاف ولا شاف...وأنّه زاد السؤال سؤالاً". كما ردّ عليه وغلّطه في معنى حديث (٤٨٨/١). وفي مسألة أخرى: (٣٤٧/١). وفي تفسير آية (٤٨٨/٢). وذكر جوابه مرة ثم قال: "ولا يخفى ما فيه من الضعف والوهن" (٤١٣/٢). كما أشار إلى اضطرابه في (٥١٧/٢)، وبين غلّطه وأنّه كبوة من جواد ونبوة من صارم في (٥٤١/٢)، وفي موضع تعجّب من فهمه الخاطيء مع ذهنه الثاقب وفهمه البديع (٤١٦/٢).^٢ كما أنّه ينقل كلامه كاملاً، ويثني عليه، يكرّر عليه جملةً جملةً بالتعليق والمناقشة كما في (١١٦/١-١٤٢-٢٦١-٢٧٠) و (٥١٦/٢-٥٣٣، ٥٥٦-٥٦٠). وقد يشتدّ أحياناً في الرد، مثل قوله (٣٤٧/١): "وفي هذا من التعسّف والبعد عن اللّغة والمعنى ما لا يخفى"، ونحوه (٥٦٦/٢)، وقوله (٤١٤/٢): "فهذا جواب فاسد جداً".^٣ ويقول "وهذه اعتذارات سائغة وجيهة خاصة إذا علمنا أنّ المواطن التي لم يصرّح فيها باسمه أقل بكثير مما صرّح به فيها، ولكن يُعكّر عليها في موضع واحد في: (٥٧٧/٢-٥٩٣) فصل في قولهم: "هذا يسراً أطيب منه رطباً"، وهذا الفصل موجود في "النتائج": (ص/٣٩٩-٤٠٥) ذكر فيه السهيلي سبعة أسئلة في هذه الجملة، وذكر ابن القيم عشرة أسئلة، السبعة التي السهيلي وزاد ثلاثة، مع زيادة أجوبة السهيلي تحريرات وفوائد. لكنّه في هذا الفصل برمّته لم يصرّح باسم السهيلي، وقال في آخره: "فهذا ما في هذه المسألة المشكّلة من الأسئلة والمباحث، علّقها صيداً لسوائح خاطر فيها، خشية أن لا يعود، فليسامح الناظر فيها، فإنّها علّقت على حين بُعدي عن كتبي، وعدم تمكّني من مراجعتها...".^٤

١ - نفسه، ص ٦٠.

٢ - نفسه، ص ٦١.

٣ - نفسه، ص ٦١.

٤ - نفسه، ص ٦٣ - ٦٤.

١ - ٣ - ذكر تسمية كتاب " نتائج الفكر ": نقل عنه المؤلف كثيراً من كتابه " (نتائج الفكر) دون أن يسميه، ووقعت تسمية الكتاب في موضع واحد: (٩١٣/٣) إلا أنها ليست من ابن القيم، وإنما هي من كلام السهيلي نفسه، لذا لم نعتبره من المصادر التي صرح بتسميتها. وسنفرّد الحديث عن هذا المصدر فيما سيأتي. ونقل من كتابه الآخر " الروض الأنف " مرّة باسمه، ومرّة باسم مؤلفه.^١ "وهناك موضع آخر في " البدائع " (٤٦٢/٢ - ٤٦٤) عنوانه: بدیعة في تفسير قوله ﷺ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾^٢، وهو موجود بنصه في مجموع الفتاوى والتفسير^٣ (٩٠-٨٨/١٤)، فهل هو مما نقله المؤلف من شيخه دون إشارة؟ أو هو مما أقم في " الفتاوى " وليس منها بل هو لابن القيم؟ فالجواب: أن هذا الموضوع ليس لابن تيميّة ولا لابن القيم، بل هو للسهيلي في "نتائج الفكر" (ص / ٣١٢) استفادة المؤلف منه، فلتحذف من "المجموع" إذن.^٤

- كما ظهر جلياً عنايته بالنقل عن أفراد من العلماء، وهم: أبو القاسم السهيلي (٥٨١)، أكثرها من " النتائج"، ومواقع من " الروض الأنف".^٥

١ - ٤ - المسائل التي ردّ فيها ابن القيم على السهيلي وناقشه: " ولم يكتف ابن القيم بالرد على السهيلي ومناقشته في مباحثه، بل كان يستظهر معاني أخرى: (٦١/١ - ٦٢)، ويفصل أشياء لم يتعرّض لها كما في (٣٩٩/٢ ، ٥٠٧). بل ويأتي بأحسن مما جاء به السهيلي، كما في مواضع كثيرة (٢٢١/١ ، ٢٢٩ ، ٢٥١ ، ٢٦١ ، ٢٥٤ ، ٢٧٠ ، ٣٣٢ ، ٣٧٢ ، ٥٠٥/٢ ، ٤٨٨ ، ٤٥٩ ، ٤١٢).^٦

٢ - بين السهيلي والخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال كتاب "نتائج الفكر في النحو": من خلال كتاب " نتائج الفكر في النحو " تتبعت كلام الإمام السهيلي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، حسب ما ذكره فتوصلت إلى مايلي:

١ - يقول: " وهذا معنى قول الخليل وسيبويه، ولم يبعد عن الصواب من عول عليه.^٧ وهذه القضية قمت بدراستها في موضع آخر بين الإمام السهيلي والمدرسيتين الكوفة

١ - نفسه، ص ٥٠.

٢ - البقرة، الآية: ٢١٧.

٣ - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ص ٥٤.

٤ - نفسه، ص ٥٥.

٥ - نفسه، ص ٣٤.

٦ - نفسه، ص ٦٢.

٧ - ينظر، أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٢٢٠.

والبصرة، ودائماً حسب ما ذكره الإمام السهيلي في كتابه " نتائج الفكر في النحو" ويقول أيضاً: " والذي قلناه في مكان أنه من الكون هو قول الخليل في كتاب " العين"، إلا أنهم شبهوا (الميم) بالحرف الأصلي للزومها، فقالوا في الجمع " أمكنة".¹ وهنا يعترف الإمام السهيلي بأنه أخذ عن الخليل ما سبق أن ذكره في هذه المسألة.

٢- في تقديم الخبر: ويقول الإمام السهيلي: " وأما رفع الخبر فمن حيث كان هو الاسم الأول في المعنى، كما في النعت (والبذل) الجريان على المنعوت والمبدل منه وإتباعه في الإعراب لازماً. وإذا كان الأمر كذلك فالقول إذا ما قاله الخليل - رحمه الله تعالى - في امتناع تقديم الخبر عليه قياساً على النعت والبذل والتوكيد. إلا أن حال الخبر في التقديم أخف من تقديم التوابع، لأن التوابع من تمام الاسم المتبوع، وليس الخبر من تمام المبتدأ ولكنه من تمام الكلام الذي فيه المبتدأ، ألا ترى أن النعت مع المنعوت لا يكون كلاماً كما يكون الخبر مع المبتدأ كلاماً، فقد صار النعت كجزء من الاسم المنعوت فلا يتقدم عليه بإجماع، وخبر المبتدأ - وإن كان العامل فيه معنوياً - فالعامل المعنوي لا يتقدم معموله عليه للسر الذي ذكرناه في غير هذا الموضع، ولكنه يفارق النعت والبذل قليلاً بما قدمناه من الفرق.

فإن قيل: كيف يستقيم من الخليل منع تقديم الخبر مع كثرته في القرآن والكلام الفصيح نحو قوله سبحانه: (وآية لهم الليل). ونحو ما استشهد به سيبويه من قولهم: " مسيء أنت و" مسكين فلان"، لاسيما² وفي الحديث: "مسكين رجل لا زوجة له! مسكينة امرأة لا زوج لها". قلنا: لا يخفى على مثل الخليل مثل هذه الشواهد ولكنه أراد منع تقديم الخبر الذي هو خبر محض مجرد من المعاني التي هي نحو المدح والذم والترحم والتعظيم وغير ذلك، لأن تلك المعاني إذا دخلت في الكلام حسنت تأخير المبتدأ، لأنه قد صار بسببها مفعولاً في المعنى؛ ألا ترى أنك إذا قلت: " حسن زيد!"، فإن المعنى: أستحسن زيدا. وإذا قلت: "مسيء عمرو!"، فالمعنى: أذم عمراً. وإذا قلت: " مسكين فلان!" فالمعنى: أرحم فلاناً وأرق له. وأشعرت هذه الصفات كلها بهذا المعنى الذي لو لُفظ به مصرحاً لكان مقدماً والاسم مؤخرًا. وذلك الاسم هو المبتدأ في اللفظ وهو المذموم أو المرحوم في المعنى. وأما إذا تجرد الخبر من هذه القرائن كلها مثل قولك: " قائم زيد" و"ذاهب عمرو" و"خياط أخوك" فهو الذي أراد الخليل أنه يقبح تقديمه. والله أعلم.

¹ - نفسه، ص ٣٠٢.

² - نفسه، ص ٣١٣.

وأما ما حكاه سيبويه من قولهم: " قائم أنا "، فليس " أنا " مبتدأ، إنما هو تأكيد للمضمر في " قائم "؛ لأنَّ " قائم " خبر لمبتدأ محذوف؛ وكان قائلاً قال له: ما أنت؟! فقال: " قائم ". ثم أكد بقوله: " أنا ". ولا يمنع الخليل مثل هذا. فقد يجوز على هذا " قائم زيد! " إذا سألك سائل أو توهمت منه إرادة السؤال عن زيد، فنقول: " قائم "، أي: " هو قائم "، فيكون حينئذٍ " زيد " بدلاً من الضمير المستتر في قائم، وذلك الضمير عائد على أول الكلام لا على " زيد ". فإن عاد على " زيد " لا على شيء في أول الكلام فـ " زيد " مبتدأ و " قائم " خبر عنه مقدم، وهو الذي منعه الخليل. فقف على هذا الأصل تحكّم جميع هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - وأكثر هذا الكلام قد رأيتَه للأستاذ " أبي الحسين بن الطراوة " رحمه الله.¹ فكما نلاحظ في هذه المسألة فالإمام السهيلي مع الخليل بن أحمد في كل ما قاله، ولم يقدم له نقد قط، وبالعكس فهو يوضح آراءه بمزيد من الشرح، ليكون الفهم أكثر للذين لم يفهموا قول الخليل رحمه الله. وليس هو فقط من يوافق الخليل لكن أستاذه ابن الطراوة كذلك.

٣- ويقول أيضاً في مسألة التوكيد: " فيه أجمعون الزيدون "، لأنَّ التوكيد لا يتقدم على المؤكد، ولذلك صح تقديم خبر " إنَّ " على اسمها إذا كان ظرفاً، لأنَّ الظرف ليس هو الخبر في الحقيقة، إنما هو متعلق بالخبر. والخبر منوي في موضعه مقدر في مكانه ولذلك لم ينكسر أصل الخليل في منعه تقديم خبر المبتدأ مع كثرة هذا النحو في الكلام، أعني: " في الدار زيد "،² ويقول: " وتقول العرب: " قائم الزيدان " ولا: " ذاهب إخوتك "، إلا على الشرط الذي ذكرناه. ولو وجد الأخفش ومن قال بقوله مسموعاً لاحتجوا به على الخليل وسيبويه، فإذا لم يكن مسموعاً، وكان بالقياس مدفوعاً، فأخلق به أن يكون باطلاً ممنوعاً!³ ويقصد هنا أنَّ الأخفش لم يعارض الخليل وسيبويه في هذه المسألة، وقد ذكرت هذه المسألة بالتفصيل في " نظرية العامل عند الإمام السهيلي " ويمكن الرجوع إليها من أجل الإفادة أكثر. ويقول الإمام السهيلي: " أما " لن " فهي عند الخليل مركبة من " لا " و " أن "، ولا يلزمه ما اعترض عليه سيبويه في تقديم المفعول عليها، لأنَّه يجوز في المركبات ما لا يجوز في البسائط.⁴ وهنا أيضاً نجدُه يؤيد الخليل في قوله.

1 - ينظر، نفسه، ص ٣١٤.

2 - نفسه، ص ٣٢٦.

3 - نفسه، ص ٣٢٨.

4 - نفسه، ص ١٠٠.

٤- وفي موضع آخر يقول: "... ولذلك اختلفوا في إعراب قوله ﷻ : ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾^١ ذهب الخليل إلى أنه محكي، كأنه يذهب إلى أن المعنى: لنقولن: أيهم أشد؟. وذهب سيبويه إلى أنها اسم مبني في موضع المفعول، وبني لمخالفته نظائره، حيث لم يوصل بجملة، والتقدير عنده: أيهم هو أشد. فلو صرحت بـ " هو " لنصبت ثم بـ " ننزعن "، فلما اخترت بنيت " أي " لمخالفته النظائر، كما تقدم - وهذا الذي ذكره لو استشهد عليه بشاهد من نظم أو نثر، أو وجدناه بعده في كلام فصيح شاهداً له لم نعدل به قولاً، ولا رأينا لغيره عليه طولاً، ولكننا لم نجد ما بني لمخالفته غيره، لا سيما مثل هذه المخالفة، فإننا لا نسلم أنه حذف من الكلام شيء. وإن قال: إنه حذف ولا بد، والتقدير: أيهم هو أخوك؟. فيقال: فلم لم يبنوا النكرة فيقولون مررت برجل أخوك، أو: رأيت رجلاً أبوك؟. ولم خص " أي " بهذا دون سائر الأسماء أن يحذف من صلته ثم يبني للحذف؟ ومتى وجدنا شيئاً من الجملة يحذف ثم يبني الموصوف بالجملة من أجل ذلك لحذف؟ وذلك الحذف لا يجعله متضمناً لمعنى الحرف ولا مضارعاً له. وهذه علة البناء وقد عدت في أي! وإنما المختار قول الخليل، لكن يحتاج إلى شرح، وذلك أنه لم يرد بالحكاية ما سبق إلى الوهم من تقدير معنى القول، ولكنه أراد حكاية لفظ الاستفهام الذي هو أصل في " أي "، كما تحكيه بعد العلم إذا قلت: قد علمت أخوك؟ و: أقام زيد أم قعد؟ فقد تركت الكلام على حاله قبل دخول الفعل، لبقاء معنى الاختصاص والتبيين في " أي " الذي كان موجوداً فيها وهي استفهام، لأن ذلك المعنى هو الذي وضعت له، استفهاماً كانت أو خبراً، كما حكوا لفظ النداء في قولهم: " اللهم، اغفر لي أيها الرجل " و " ارحمنا أيها العصابة "، حكي لفظ هذا إشعاراً بالتعيين والاختصاص الموجود في حال النداء. وكذلك هذا، حكيت حاله في الاستفهام وإن ذهب الاستفهام، كما حكيت حاله في النداء وإن ذهب النداء، لوجود معنى الاختصاص والتعيين فيه. وقول يونس: " إنَّ الفعل ملغى " حق، وإن لم يكن من أفعال القلب. وعلة إلغائه قد قدمناه من حكاية لفظ الاستفهام للاختصاص. فإذا أتممت الصلة وقلت: ضربت أيهم هو أخوك، زالت مضارعة الاستفهام، وغلب عليه معنى الخبر، لوجود الصلة التامة بعده، وكان إلحاقه بالأسماء الموصولة أولى من تشبيهه بحال الاستفهام... وقد كان يتصور فيها أن تكون منصوبة بـ " يعلم " لا على جهة الاستفهام، ولكن تكون موصولة، والجملة صلتها، والعائد محذوف. ولكن منع من هذا الوجه أصل قدمناه، ودليل أقمناه على أن الاسم الموصول إذا عني به المصدر، ووصل

^١ - مريم، الآية: ٦٩.

بفعل مشتق من ذلك المصدر، لم يجز، لعدم الفائدة المطلوبة من الصلة، وهي إيضاح الموصول وتبيينه، والمصدر لا يوضح بفعله المشتق من لفظه، لأنّه كأنّه هو لفظاً ومعنى، إلا في المختلف الأنواع كما تقدم.¹ ومن هنا يتبين لنا أنّ الإمام السهيلي مع الخليل بن أحمد ولم يشارك الرأي مع يسبويه. ولم يطعن في قول هذا الأخير؛ ولم يقدم له نقد.

٥- ويقول: " وتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ وَمِنْهُ: تَأَيَّت بِالْمَدِّ، أَي: تَظَاهَرَتْ حَتَّى عَرَفْتَ وَمِيزْتَ. وَمِنْهُ: إِيَّاكَ، وَإِيَّاي، هُمَا فِي الْمَضْمَرَات. وَقَدْ أَشَارَ الْخَلِيلُ إِلَى أَنَّهُ اسْمٌ ظَاهِرٌ، فَاشْتَقَّاهُ مِمَّا تَقَدَّمَ، لِأَنَّهُ فِي أَكْثَرِ الْكَلَامِ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ، وَالْمَفْعُولُ إِنَّمَا يَتَقَدَّمُ عَلَى فِعْلِهِ قَصْدًا إِلَى تَعْيِينِهِ، وَحِرْصًا عَلَى تَبْيِينِهِ، وَصَرَفًا لِلْوَهْمِ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى غَيْرِهِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَجْزِ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنِ الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، إِذِ الْكَلَامُ وَارِدٌ فِي مَعْرِضِ الْإِخْلَاصِ وَتَحْقِيقِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَنَفْيِ عَوَارِضِ الْأَوْهَامِ عَنِ الْخُلُوصِ التَّامِ، وَلِهَذَا اخْتَصَّتْ " أَي " بِبَدَاءِ مَا فِيهِ " الْأَلْفُ وَاللَّامُ "، تَمْيِيزًا لَهُ وَتَعْيِينًا، وَلِذَاكَ صِيرَ بَعْضُ لَفْظِهَا حُرْفًا مِنْ حُرُوفِ النِّدَاءِ فِي قَوْلِكَ: أَي زِيدِ، وَتَفْسِيرًا لِقَوْلِهِمْ: عِنْدِي عَهْنُ، أَي: صُوفِ.^٢ وهنا ذكر قول الخليل وما لاحظته من خلال الكتاب أنّه يقول عنه أيضاً اسم ظاهر مما يدل على أنه اتبع الخليل في القول.

ومن خلال ما سبق نستنتج أنّ الإمام السهيلي لم يعترض قط على أقوال الخليل، بل اتبعه في كل أقواله.

٣- بين السهيلي وسبويه من خلال كتاب "نتائج الفكر في النحو": لقد ذكر الإمام

السهيلي سبويه مرات عديدة في كتابه " نتائج الفكر في النحو"، وعليه قمت بإنجاز

هذه الدراسة البسيطة حول آراء السهيلي مقارنة بسبويه، فتوصلت إلى ما يلي:

١- في الاسم والمسمى: يقول الإمام السهيلي في تعريف الاسم: " الاسم الذي هو

" السين " و " الميم " عبارة عن اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى هو الشيء

الموجود في العيان - إن كان من المحسوسات - كزيد وعمرو - وفي الأذهان - إن كان

مع المعقولات - كالعلم والإرادة. فذلك الموجود الذي في العيان أو الموجود الذي في

الأذهان وضعت له عبارة في اللسان. بما يترجم عنه، ويتوصل إلى فهمه والكشف عن

حقيقته، ثم ذلك الشيء المعبر عنه - وهو الشخص مثلا - كما استحق بأن يكون له عبارة

¹ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ١٥٤ - ١٥٥.

² - نفسه، ص ١٥٧.

بين المتخاطبين يترجمون بها عنه. وهي " الزاي " و " الياء " و " الدال " مع قولك " زيد " مثلاً، فكذاك استحق هذا اللفظ المؤلف من هذه الحروف أن يعبر عنه بعبارة أخرى يعبر بها عنه، لأنه شيء موجود في اللسان، مسموع في الآذان. فاللفظ المؤلف من " ألف " والوصل، و " السين " و " الميم " عبارة عن اللفظ المؤلف من " الزاي " و " الياء " و " الدال " مثلاً. واللفظ من " الزاي " و " الياء " و " الدال " مثلاً. عبارة عن الشخص الموجود في العيان والأذهان وهو المسمى، واللفظ الدال عليه الذي هو " الزاي " و " الياء " و " الدال " هو الاسم، وقد صار أيضاً ذلك اللفظ مسمى من حيث كان اللفظ الذي هو " السين " و " الميم " عبارة عنه فقد تبين لك في أصل الوضع أن الاسم ليس هو المسمى، وذلك أنك تقول: سميت هذا الشخص بهذا الاسم، كما تقول: حليته بهذه الحلية، والحلية لا محالة غير المحلى، فكذاك الاسم أيضاً غير المسمى.¹ ويقول إن سيبويه قد سبقه إلى هذا في قوله: " وقد صرح بذلك سيبويه وقد أخطأ من ادعى غير هذا عليه، ونسب القول باتحاد الاسم والمسمى إليه، وإن كانوا قد احتجوا بقوله؟ " فأما الأفعال فأمتثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ". وقوله ها هنا محتمل، والمحتملات لا تعارض بها النصوص.² فمن هنا يتبين لنا أن الإمام السهيلي قد اتبع سيبويه في تعريف الاسم، وليس من ادعى غير هذا عليه؛ وقدّم لنا تبرير وتوضيح لقول سيبويه حيث يقول: " قد نص - رحمه الله - قبل هذا الكلام بسطر واحد على أن الاسم غير المسمى لو تأملوه، ولكنهم تعاملوا عنه وأغفلوه، فقال: " الكلام: اسم وفعل وحرف " فقد صرح أن الاسم كلمة، فكيف تكون الكلمة هي المسمى، والمسمى إنما هو شخص، فهذا بيان ونمى، لا سيما مع قوله فيما بعد: " تقول: سميت زيداً بهذا الاسم كما تقول: علمته بهذه العلامة، وكذلك نص في أكثر من ألف موضع في كتابه على أن الاسم هو اللفظ الدال على المسمى؛ لأنه متى ذكر الخفض أو النصب أو التثوين أو الألف واللام، وجميع ما يدخل على الأسماء ويعتريها من الزيادة والحذف، حتى يكون بعضها ثلاثياً، وبعضها رباعياً، وبعضها خماسياً، إلى غير ذلك مما يذكر سيبويه وجميع النحويين أنه يعتري الاسم ويختص به - فلا يتعلق بشيء من ذلك بالمسمى الذي هو الشخص. فسبحان الله كيف لا يستحيي من عرف هذا من مذهب النحويين أجمعين، ومن مذاهب العرب، ثم يخبر عن أحد منهم بأن الاسم هو

¹ - نفسه، ص ٣٠.

² - نفسه، ص ٣٠.

المسمى! ما أثار إلى ذلك نحوي قط ولا اعتقده عربي!"¹ من خلال هذا القول فالإمام السهيلي يُبرأ سيبويه والنحويين وجميع العرب من القول بأنّ " الاسم هو المسمى ". ويقول أيضاً: " ...أنّ الاسم غير مشتق من شيء، وأنّ الألف واللام من نفس الكلمة، إلا أنّ الهمزة وصلت لكثرة الاستعمال، على أنّها (فيه) جاءت مقطوعة من القسم، (حكى سيبويه): " أفالله لأفعلن "، وفي النداء نحو قولهم: " يا لله ". فهذا يقوي أنّها من: نفس الكلمة ويدلّك على أنّه غير مشتق أنّه سبق الأشياء التي زعموا أنّه مشتق منها، لا نقول: إنّ اللفظ قديم، ولكنه متقدم على كل لفظ وعبارة. ويشهد بصحة ذلك قوله ﷺ: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾² ؟ فهذا نص في عدم المسمى، وتبنيه على عدم المادة المأخوذ منها الاسم. مع أنّ إذا قلنا بالاشتقاق فيه تعارضت علينا الأقوال، فمن قائل يقول: من " إله " إذا عبد، فالله هو المعبود.³ من هنا يتضح لنا أنّ الإمام السهيلي ينطلق في دراسته من "الاسم" هو المتقدم على كل لفظ وعبارة، وهذا ما انطلقت منه دراسات الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في " النظرية الخليلية الحديثة "؛ وكما نلاحظ فهو يقول إنه اتبع سيبويه في حكيه.

٢- باب أقسام الكلم: هنا ينتصر الإمام السهيلي لسيبويه، ويعارض صاحب الجمل وينتقده فيقول: " قال فيه أبو القاسم (رحمه الله) : أقسام الكلام (ثلاثة) : اسم وفعل وحرف. وهذه العبارة - على طولها - واهية مردودة، وعبارة سيبويه - على إيجازها - صحيحة مفيدة قال سيبويه: " الكلم: اسم وفعل وحرف ". ووجه الرد على أبي القاسم في عبارته من وجهين: أحدهما: أنّه عبر بالكلام عن الكلم الذي هو جمع كلمة، إذ الاسم والفعل والحرف، كل واحد منها كلمة."⁴

٣- ويعترض على قول سيبويه في قوله: " قال سيبويه: " وإنما يحكى ما كان كلاماً لا قولاً، وما لم يكن هكذا سقط القول عليه ". وأصح من هذه العبارة عبارة من قال: " الكلام (ما) يتألف من ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف "، إلا أنّها (أيضاً) معترضة من وجه واحد، وهو أنّه قد يوجد في الكلام ما يتألف من شيئين، نحو: قام زيد، فليس الكلام كله يتألف من هذه الثلاثة، بل أكثره. فإن قيل: فما تصحيح عبارة من قال: الكلام ينقسم لثلاثة

1 - نفسه، ص ٣١.

2 - مريم، الآية: ٦٥.

3 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٤١.

4 - نفسه، ص ٤٩.

أقسام؟ **فالجواب أن يقال: صحيحها أن يقال: ثلاثة أقسام: خبر، واستخبار وطلب. فكل واحد من هذه كلام، وليس كذلك الاسم والفعل والحرف.**^١ وهنا نجد الإمام السهيلي يعترض على قول سيبويه ولكنه يقدم البديل أو بمعنى أصح ما يراه صحيحاً.

٤- ويقول: " فإن قيل: ما بال سيبويه قد حدّ الفعل والحرف ولم يحدّ الاسم حين قال: " والاسم زيد وعمرو؟ فالجواب: أن الاسم وقع في عبارة النحويين على ما هو في كلام العرب، فلم يحتج إلى تبيينه بحد ولا رسم. وأما الفعل والحرف فعبارتان مصطلح عليهما عند النحويين، لأنّ الفعل عند العرب هو الحدث، وعند النحويين هو: اللفظ الدال على الحدث والزمان. والحرف عند النحويين: ما دل على معنى في غيره. وليس يفهم من العرب من الحروف ذلك المعنى. وجميع ألفاظ النحويين ينقسم إلى قسمين، منها ما تواضعوا واصطلحوا عليه. ولا يعبر العرب به إلا عن معنى آخر، نحو: " الظرف " و(الحرف) ، فهذا لا بد من تبيينه للمبتدئ بالحد والرسم. ومنها ما هو على أصل موضوعه في كلام العرب نحو: " الاسم " و " الفاعل " و " المفعول بها. فهذا لا إشكال فيه على ناظر في صناعة النحو، والله أعلم.^٢ وهنا أيضاً نجد الإمام السهيلي يدافع عن سيبويه ويشرح لنا سبب ما قاله، ونفهم من دفاعه أنه يوافق الرأي.

٥- ويقول في تعريف الفعل: " وأما دلالاته على الزمان فقال النحويون: بالبنية. وهو لا يدل على الزمان ألبتة، وإنما يدل اختلاف أبنيته على اختلاف أحوال الحدث من الماضي والاستقبال والحال. وأما الزمان الذي هو حركة للفاعل، إن كان مقارناً له، لأنّ حركة فاعل لا تدل على حركة فاعل آخر، وكذلك قال سيبويه في أول الكتاب: " أخذت من لفظ أحداث الأسماء فبنيت لما مضى، ولما يكون ولما يقع، ولما هو كائن لم ينقطع ". يعني لما مضى من الحدث ولما هو كائن منه لأنه لم يتقدم غير ذكر الأحداث "^٣ وهنا أيضاً نلاحظ أنه يشرح قول سيبويه، ويوافق الرأي.

٦- وفي مسألة الحرف يقول عن " لا ": " ... فإن كانت عاملة فكما عملوا " أن " حرصاً على إظهار تشبثها بالحديث، وإن كانت غير عاملة - كما ذهب إليه سيبويه، والاسم بعدها مركب معها مبني على الفتح - فليس كلامنا في المبنيات.^٤ حيث يقول

١ - نفسه، ص ٥٠.

٢ - نفسه، ص ٥١.

٣ - نفسه، ص ٥٣.

٤ - نفسه، ص ٦١.

سيبويه: " هذا باب النفي..^١ فربما هنا نجد الإمام السهيلي لم يبين إن كان يعارض سيبويه أم لا فهو يقول " فليس كلامنا في المبنيات".

٧- يقول الإمام السهيلي في مسألة " من باب معرفة علامات الإعراب " : " ... هؤلاء مسلمي، فتدغم الواو في الياء لأنها حرف إعراب عند سيبويه، وهي عند غيره علامات إعراب، فإذا كانت " واو " الجمع ثبتت مع " ياء " المتكلم وهي زائدة علامة إعراب عند بعض النحويين، فكيف يحذف ما هو " لام " الفعل وأحق بالثبات منها؟ فقد وضح لك أنها ليست الحروف المحذوفة الأصلية. فإن قيل: فلم كان إعرابها بالحروف دون الحركات؟^٢

٨- ويقول أيضاً في مسألة " المثني والجمع السالم " : " ... فإن قيل: فقد أثبتتم أن فعل جماعة المؤنث معرب، وهذا خلاف لسيبويه ومن وافقه من النحويين، فإنهم زعموا أنه مبني وإن اختلفوا في علة بنائه! ".^٣ وهنا يتبين أنه قد عارض سيبويه.

٩- ويقول: " وأما " لن " فهي عند الخليل مركبة من " لا " و " أن "، ولا يلزمه ما اعترض عليه سيبويه في تقديم المفعول عليها، لأنه يجوز في المركبات ما لا يجوز في البسائط. فإذا ثبت ذلك فمعناها نفي الإمكان بـ " أن " كما تقدم.^٤ وهنا نجده يؤيد الخليل ولا يعترض على قول سيبويه.

١٠- ويقول: " ذا حرف هو عندي " إذا " التي كانت ظرفاً لما يستقبل، وكانت غير منونة من أجل إضافتها إلى ما بعدها، فخلع منها معنى الاسمية كما فعلوا ذلك بإذ وبكاف الخطاب، وبالضمائر المنفصلة في باب الفصل، خلع منها معنى (الاسم وصارت حروفاً لا مواضع) لها من الإعراب. وكذلك فعلوا بإذا، إلا أنهم زادوا فيها التنوين فذهبت الألف، والقياس إذا وقفت عليها أن ترجع الألف لزوال العلة، وإنما نونوها لما فصلوها عن الإضافة إذ التنوين علامة الانفصال، كما فعلوا بإذ حين فصلوها عن الإضافة، إلى الجملة فقالوا: يومئذ فصار التنوين معاقباً للجملة، إلا أن " إذا " في ذلك الموضع لم تخرج عن الاسمية (بدليل إضافة " يوم " و " حين " إليها، وإنما أخرجوها عن الاسمية، جعلها سيبويه ههنا (حرفاً بمنزلة أن) فإن قيل: ليس شيء من هذه الأشياء التي صيرت حروفاً بعد ما كانت أسماء، إلا وقد بقي فيها معنى من معانيها، كما بقي في " كاف " الخطاب

١ - سيبويه، الكتاب، كتاب سيبويه، ج ٢، ص ٢٧٤.

٢ - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٧٧.

٣ - نفسه، ص ٨٦.

٤ - نفسه، ص ١٠٠.

معنى الخطاب، وفي " على " معنى الاستعلاء، فماذا بقي في (إذ) و (إذا) من معانيهما في حال الاسمية؟ فالجواب: أنك إذا قلت: " سأفعل كذا إذا خرج زيد أو قدم عمرو "، ففعلك مرتبط بالخروج أو القدوم مشروط به، وكذلك إذا قال لك القائل: " قد أكرمتك " فقلت: " إذن أحسن إليك "، ربطت إحسانك بإكرامه وجعلته جزاء له، فقد بقي فيها طرف من معنى الجزاء وهي حرف، كما كان فيها معنى الجزاء وهي اسم. وأما " إذ " في قوله تعالى: (إِذْ ظَلَمْتُمْ) ففيها معنى الاقتران بين الفعلين، كما كان فيها ذلك في حال الظرفية، تقول: لأضربن زيداً إذ شتمني " فهي - وإن لم تكن ظرفاً ففيها من المعنى الأول طرف، كأنك تتببه على أنك تجازيه على ما كان منه إذ شتم، فإن لم يكن الضرب واقعاً في حال الشتم، فله رد عليه وتتيه عليه.^١ يتعامل مع هذه المسألة باستعمال اللفظ والمعنى، فحسب المعنى واللفظ فهي تارة أسماء وتارة أخرى حروف.

١١- ويقول: " لك قرب ما بينهما وبين " أن " التي للمفعول من أجله، ولذلك شبهها سيبويه بها في سواد كتابه. وعجباً للفارسي حيث غاب ذلك عنه وجعلها ظرفاً، ثم تحيل في إيقاع الفعل الذي هو النفع فيها وسوقه إليها، بما هو مسطور في كتبه، فأغنى ذلك عن ذكره.^٢ " هنا ينتصر لسيبويه ويتعجب من الفارسي، كيف غاب عنه قول سيبويه.

١٢- ويقول أيهم أشد: "... وذهب سيبويه إلى أنها اسم مبني في موضع المفعول، وبني لمخالفته نظائره، حيث لم يوصل بجملة، والتقدير عنده: أيهم هو أشد. فلو صرحت بـ " هو " لنصبت ثم بـ " ننزعن "، فلما اختزلت بنيت " أي " لمخالفته النظائر، كما تقدم.

وهذا الذي ذكره لو استشهد عليه بشاهد من نظم أو نثر، أو وجدناه بعده في كلام فصيح شاهداً له لم نعدل به قولاً، ولا رأينا لغيره عليه طويلاً، ولكننا لم نجد ما بني لمخالفته غيره، لا سيما مثل هذه المخالفة، فإننا لا نسلم أنه حذف من الكلام شيء. وإن قال: إنه حذف ولا بد، والتقدير: أيهم هو أخوك؟. فيقال: فلم لم يبنوا النكرة فيقولون مررت برجل أخوك، أو: رأيت رجلاً أبوك؟. ولم خص " أي " بهذا دون سائر الأسماء أن يحذف من صلته ثم يبني للحذف؟ ومتى وجدنا شيئاً من الجملة يحذف ثم يبني الموصوف بالجملة من أجل ذلك...^٣ " وهنا يقول إن سيبويه لم يستشهد على ما قاله، وأنه بحث عن شواهد يؤيده بها فلم يجد، ولأنه كذلك فاختار قول الخليل على قول سيبويه.

١ - نفسه، ص ١٠٤.

٢ - نفسه، ص ١٠٥.

٣ - نفسه، ص ١٥٤.

١٣- في العامل في النعت: قوله: " ... وإذا تقدم نعت النكرة عليها نصب على الحال ".
تقدم في صدر هذا الفصل العامل في النعت، وفيه قولان: أحدهما: أنّ العامل في المنعوت هو العامل في النعت، وكان سيبويه إلى هذا ذهب حين منع أن يجمع بين نعتي الاسمين إذا اتفق إعرابهما واختلف العامل فيهما نحو: جاء زيد وهذا محمد العاقلان. وذهب قوم إلى أنّ العامل في النعت معنوي، وهو كونه في معنى الاسم المنعوت، فإنما ارتفع أو انتصب من حيث كان هو الأول في المعنى، لا من حيث كان الفعل عاملاً فيه، وكيف يعمل فيه وهو لا يدل عليه، إنما يدل على فاعل أو مفعول أو مصدر دلالة واحدة من جهة اللفظ، وأما الظروف فمن دليل آخر. وإلى هذا القول أذهب، وليس فيه نقص لما منعه سيبويه من الجمع بين نعتي الاسمين المتفقين في الإعراب إذا اختلف العامل فيهما، لأنّ العامل في النعت - وإن كان معنوياً - فلولا العامل في المنعوت لما صح رفع النعت ولا نصبه، فكان الفعل هو العامل في النعت، فامتنع اشتراك عاملين في معمول واحد، ولو لم يكونا عاملين فيه في الحقيقة، ولكنهما عاملان فيما هو هو في المعنى.^١ وهنا الإمام السهيلي يتبع الرأي الثاني، ويقول إن أخذه بالرأي الثاني، ويقول " ليس فيه نقض لما منعه سيبويه".

١٤- ويقول: "كما أنشد سيبويه: لَمِيَّةٌ مُوحِشًا طَلَّلٌ ... إن قيل: وما حمل سيبويه وغيره على أن يجعلوا (مُوحِشًا) حالاً من (طَلَّلُ) . و" قائم " حالاً من رجل، إذا قلت: فيها قائماً رجل، وهو لا يقول بقول الأخفش: إن قولك: رجل وطللاً فاعل " بالاستقرار الذي تعلق به الجار؟ ... ضمير لتقدم الفعل على الفاعل، وإذا بطل وجود الضمير بطل وجود الحال منه، وهذا بديع في النظر. فإن قيل: إن المجرور ينوي به التأخير، لأن خبر المبتدأ (حقه) أن يكون مؤخراً. قيل: وإذا نويت به التأخير لم يصح وجود الحال مقدمة على المبتدأ، لأنها لا تتقدم على عاملها إذا كان معنوياً. فبطل كون الحال من شيء غير الاسم النكرة، الذي هو مبتدأ عنه سيبويه، وفاعل عند الأخفش. وهذا السؤال لا يلزم " الأخفش " على مذهبه، وإنما يلزم سيبويه ومن قال بقوله، ولولا الوحشة من مخالفة الإمام (أبي بشر) لنصرتُ قول الأخفش نصراً مؤزراً، وجلوت مذهبه في منصة التحقيق مفسراً! ولكن النفس إلى نصرة سيبويه أميل، والله الموفق للصواب، وإليه المآب. وسيأتي في باب الابتداء من إقامة البرهان على بطلان قول الأخفش ما ينافي إشارتي ههنا إلى نصرته.^٢

^١ - نفسه، ص ١٨٠.

^٢ - نفسه، ص ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥.

وأتمنى أن كل من يقرأ هذا القول يرجع إلى كتاب نتائج الفكر في النحو ويقرأ بنفسه هذه المسألة ويلاحظ نباهة وشطارة الإمام السهيلي في شرحه لهذه المسألة. (حيث استعمل فيها الاستلزام والتكافؤ المنطقي بالمعنى المعروف في الرياضيات.)

١٥- **في قطع النعت:** يقول: قوله (يقصد الزجاجي): " وإذا تكررت النعوت فإن شئت أتبعتها الأول ؛ جعل " أبو القاسم " تكرار النعوت شرطاً في جواز القطع من الأول، ولا يلزم هذا الشرط على الإطلاق ولكن الاسم إذا كان معروفاً عند المخاطب، ولم يقصد تمييزه من غيره، لم يكن النعت حينئذ من تمامه، وإنما يقصد به مدح أو ذم فلم يمتنع القطع من الأول، كما قال سيبويه: " سمعت العرب تقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فسألت يونس عنها، فزعم أنها عربية ".^١ هنا نجد السهيلي ينتقد قول الزجاجي، ويذهب مذهب سيبويه.

" ومما يقوي دخول معنى الصفة في " الخرنق " ونحوه ما حكاه سيبويه من قولهم: مررت بسرج خز صفته، وبرجل أسد أبوه، فإذا كانوا قد أجروا الخز مجرى النعت في إعرابه، لموضع اللين الذي فيه، وهو اسم جنس، فلا يبعد أن يشار إلى ذلك المعنى في الأسماء المنقولة إلى العلمية، وبالله التوفيق."^٢ وهنا يوافق سيبويه في قوله، حيث قال بما قاله وأراد تقوية قوله بقول سيبويه.

١٦- " في أن " الواو " لا تدل على الترتيب ولا التعقيب: تقول: صمت رمضان وشعبان، وإن شئت: شعبان ورمضان. بخلاف الفاء وثم إلا أنهم يقدمون في كلامهم ما هم به أهم، وهو ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم. هذا لفظ سيبويه، وهو كلام مجمل يحتاج إلى بسط وتبيين."^٣ وهنا ذكر لنا لفظ سيبويه، وقال بأنه مجمل بمعنى أنه عام؛ فيحتاج إلى تبين وبسط قوله.

١٧- ويقول في " كلا ": " ... أما من ذهب إلى أنها اسم مفرد وألفها لام الفعل وليست ألف التثنية، فمعظم حجته أنها في الأحوال الثلاثة مع الظاهر على صورة واحدة، أعني حال الرفع والنصب والخفض، وإنما تتقلب ياء في حال الخفض والنصب مع المضمرة خاصة كما ينقلب ما ليس بألف التثنية، نحو: لديهما وعليهما. وهذا معنى قول الخليل

١ - نفسه، ص ١٨٥.

٢ - نفسه، ص ١٨٩.

٣ - نفسه، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

وسيبويه، ولم يبعد عن الصواب من عول عليه! " ^١ وهنا يذكر لنا ما في معنى قول الخليل وسيبويه.

١٨- ويقول السهيلي: " كِلَا يَوْمِي أُمَامَةٌ يَوْمٌ صَدٌّ. وقوله ﷺ : (كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهُمَا)، فأفرد الخبر عن (كلا). ولا حجة فيه، ولذلك عدل سيبويه في الاستدلال عنه، بما تقدم من أنك تضيف كلي كلا فتفرد الخبر عنه، فتقول: " كلكم راع " حملا على المعنى، إذ المعنى: كل واحد منكم راع. وكذلك (كلا) إنما معناه: كل واحد منهما ذاهب. فإن قيل: إنما أفرد الخبر عن " كل " لأنه اسم مفرد، وكذلك (كلا) لا للعلة التي ذكرت؟ قلنا: فلم وكد الجمع بها، والجمع لا يؤكد بالواحد، كما لا ينت بالواحد. وهو في التوكيد أبعد، لأنه تكرر للمؤكد؟ ولم يقل عز وجل: (كُلُّ لَه قَانِتُونَ) و (كُلُّ الْيَنَّا رَاجِعُونَ) وقد ثبت بما تقدم من الشواهد السمعية والأدلة القياسية أنه اسم للجمع بمنزلة قوم، وأنت لا تقول: قوم ذاهب، ولا قومك خارج فثبت أنه ليس باسم مفرد، وإنما هو اسم للجمع. وإنما التعديل لمن ذهب مذهب سيبويه على الحجة الأولى، على أنها معارضة بضروب من الاحتجاج، منها: أنها توكيد للاثنين ولا يؤكد الاثنان بواحد، كما لا ينعت الاثنان بواحد، وليس لقائل أن يقول فيها كما في " كل " إنها اسم للجمع، لأن الجمع تختلف صورته فيكون مسلما ومكسرا وأسماء الجمع لا واحد لها كرهط وقوم. ولا يكون للثنائية إلا صورة واحدة وحد واحد، وإذا بطل أن يكون واحداً في معنى التثنية، وبطل توكيد الاثنان بواحد ولم يبق إلا أن يكون (كلاهما) لفظاً منثنى تقلب ألفه ياء في النصب والخفض مع المضمر خاصة، لأنك إذا أضفته إلى مظهر استغنيت عن قلب ألفه ياء في الخفض والنصب، بانقلاب ألف المظهرين اللذين تضيف إليهما إذا قلت رأيت كلا أخويك. ولو قلت: رأيت كلا أخويك، كنت قد جمعت بين علامتي إعراب في اسم واحد، لأنهما لا ينفصلان أبداً ولا تتفك " كلا " هذه عن الإضافة " ^٢؛ هنا يقدم لنا تعديل لمن ذهب مذهب سيبويه.

١٩- يقول الإمام السهيلي في مسألة " في ذكر بدل البعض من الكل، وبدل المصدر من الاسم: " ... فإن قيل: إذا كان موضع الخبر ومقر الفائدة فيه، فلم أحر وقد قال سيبويه: "متى جعلته مستقراً قدمته ". فالجواب: إن تقديم المجرور الأول لفائدتين: إحداهما: أنه اسم للموجب لهذا الغرض، فيقدم تقدم السبب على المسبب. والفائدة الأخرى: أن الاسم

¹ - نفسه، ص ٢٢٠.

² - نفسه، ص ٢٢١.

المجرور من حيث كان اسماً لله - سبحانه - وجب الاهتمام بتقديمه، تعظيماً لحرمة هذا الواجب الذي أوجبه، وتخويفاً من تضييعه، إذ ليس ما أوجبه الله سبحانه بمثابة ما يوجبه غيره.¹ وهنا نجد الإمام السهيلي يقدم لنا مثال يعارض فيه سيبويه.

٢٠- ويقول: " من باب أقسام الأفعال: الفعل غير المتعدي هو الذي لزم محله ولم يجاوزه إلى غيره، فهو فعل الفاعل في نفسه، ولذلك جاء مصدره متقلاً بالحركات، إذ الثقل من صفة ما لزم محله ولم ينقل وجميع مصادر الأفعال المتعدية الواقعة بمحل غير الفاعل الحامل لها والمتصف بها، فكان خفة اللفظ في هذا الباب موازياً للمعنى الذي هو ثبوت في محل الفعل واختصاص به وعدم تجاوزه له، فما لزم مكانه فهو الثقيل، وما تجاوزه وتعداه فهو الخفيف لفظاً ومعنى. ومن ههنا يرجح قول سيبويه إن " دخلت البيت " غير متعد إلى مفعول، لأن مصدره الدخول، فهو كالخروج والقعود ونحوه، إلا أن الفعل منه لم يجئ على " فعل " لأنه ليس بطبع في الفاعل ولا خصلة ثابتة فيه، فإن كان الفعل عبارة عما هو طبع وخصلة ثابتة، ثقل بضم العين، كظرف وكرم.² وهنا السهيلي يرجح قول سيبويه.

٢١- " وقال في الفعل المتعدي إلى مفعولين: " أعطى زيد عمراً درهما ". وهذا وأشباهه من المنقول الذي صير فاعله مفعولاً. وقد اختلفوا: أهو قياس مستتب في جميع الأفعال أم لا؟ وليس مذهب سيبويه فيه طرد القياس في جميع الأفعال، وهو الصحيح. ولكني أشير لك إلى أصل ينبني عليه هذا الباب، وهو أن تنظر إلى كل فعل حصل منه في الفاعل صفة ما، فهو الذي يجوز فيه النقل، لأنك إذا قلت: أفعلته، فإنما معناه: جعلته على هذه الصفة.³ يوافق سيبويه.

٢٢- ويقول: " فإن قيل: فإن كان سقوط حرف الجر هو الأصل، فمن إذا زائدة، كما قال الكسائي، وليس كما قال سيبويه ولا الزجاجي: إنما حذف حرف الجر ثم نصبت.⁴ " يذهب مذهب الكسائي، وليس مذهب سيبويه والزجاجي.

٢٣- ويقول: " إذا قيل لك: هل قعد؟ فقلت: لا. فكأنك مخبر بالقيام. وليس شيء من حروف النفي يكتفي به في الجواب حتى يكون بمنزلة الإخبار إلا هذا الحرف، فمن ثم

1 - نفسه، ص ٢٤١.

2 - نفسه، ص ٢٤٩.

3 - نفسه، ص ٢٥٣.

4 - نفسه، ص ٢٥٧.

صلح الاعتماد عليه في هذا الباب، وساغ تركيبه مع حروف لا تطلب إلا الفعل، فصارت الكلمة بأسرها بمنزلة حرف وفعل، وصار " زيد " بعدها بمنزلة الفاعل. ولذلك قال سيبويه: " إنه " مبني على " لولا ". وهذا هو الحق، لأن ما يهزون به من أنه مبتدأ وخبره محذوف، لا يظهر، وخامل لا يذكر.¹ يوافق ويعطي الحق لسيبويه.

٢٤- ويقول: " أعلمت زيدا عمراً قائماً: ذكر سيبويه أنه لا يجوز الاقتصار على المفعول الأول. وتأول أصحابه قوله، قالوا: " لا يجوز: لا يحسن، لأن المفعول الأول هو الفاعل في المعنى، والفاعل يجوز الاقتصار عليه فتقول: "علم زيد". وإنما الذي لا يجوز الاقتصار عليه المفعول الثاني الذي هو الأول قبل النقل. وعندي أن كلام سيبويه محمول على الظاهر، لأنك لا تريد بقولك: أعلمت زيدا " أي: جعلته عالماً على الإطلاق، وهذا محال، إنما تريد: أعلمته بهذا - الحديث، فلا بد إذاً من ذكر الحديث الذي أعلمته به. فإن قيل: فهل يجوز: " أظننت زيدا عمراً قائماً "، كما تقول: أعلمت؟² يقول إن كلام سيبويه محمول على الظاهر.

٢٥- ويقول: "... لأثر، فلو حملته على الاسم المجرور، لكان المعنى غير صحيح إذا تأملته، ولكن المعنى: ردف لكم استعجالكم وقولكم، لأنهم قالوا: (متى هذا الوعد) ، ثم حذف المفعول الذي هو القول والاستعجال، اتكالا على فعل السامع، ودلت اللام على الحذف لمنعها الاسم الذي دخلت عليه أن يكون مفعولاً، وأذنت أيضاً بفائدة أخرى وهي معنى " عجل لكم "، فهي متعلقة بهذا المعنى. فصار معنى الكلام: قل: عسى أن يكون عجل لكم " بعض الذي تستعجلون، فردف قولكم واستعجالكم فدللت ردف على أنهم قالوا: واستعجلوا، ودلت اللام على المعنى الآخر، فانتنظم الكلام أحسن نظام واجتمع الإيجاز مع التمام. ومما يتصل بهذا الفصل: " قرأت الكتاب واللوح ونحوهما "، فإنها متعدية بغير حرف، وأما قرأت بأمر القرآن و" قرأت بسورة كذا "، فإنما يكون إذا أردت هذا المعنى ولا بد من حذفها إذا لم ترده. وأما (كفى بالله شهيداً) ، فالباء متعلقة بما تضمنه الخبر من معنى الأمر بالاكْتفاء لأنك إذا قلت: " كفى الله " أو: " كفاك زيد "، فإنما تريد أن يكتفي هو به، فصار اللفظ لفظ الخبر والمعنى معنى الأمر، فدخلت الباء لهذا، فليست زائدة في الحقيقة، وإنما هي كقولك: حسبك بزيد، ألا ترى أن حسبك مبتدأ وله خبر، ومع هذا فقد يجزم الفعل في جوابه فتقول: " حسبك ينم الناس "، فينم جزم على جواب الأمر الذي في

¹ - نفسه، ص ٢٧٠.

² - نفسه، ص ٢٧٠.

ضمن الكلام. حكى هذا سيبويه عن العرب.¹ هنا يوافق سيبويه ويقول إنه حكاة عن العرب.

٢٦- ويقول: " من باب ما تتعدى إليه الأفعال المتعدية وغير المتعدية": وهي تعدي الفعل إلى المصدر وتعديه إليه على ثلاثة أنحاء، على أن يكون المصدر مفعولاً مطلقاً، أو توكيداً، أو حالاً، قال سيبويه: " وإنما تذكره لتبيين أي فعل فعلت، أو توكيداً ". وأما الحال فنحو: مشيت مشياً، وأنت تريد ماشياً، فقد تقول: مشيت ماشياً...² اتبع قول سيبويه.

٢٧- ويقول: "... وقد احتج القنبي على القائلين من المعتزلة بأنّ تكليم الله لموسى - عليه السلام - مجاز، بقوله: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)، فأكد الفعل بالمصدر، ولا يصح المجاز مع التوكيد. فذاكرت بقوله هذا شيخنا أبا الحسين - رحمه الله تعالى - فقال: هذا حسن لولا أن سيبويه قد أجاز في مثل هذا أن يكون مفعولاً مطلقاً، وإن لم يكن منعوتاً في اللفظ فيحتمل على هذا أن يريد، تكلماً ما، فلا يكون في الآية حجة قاطعة. والحجاج عليهم كثيرة لا يحتاج معها إلى الاحتجاج بالمحتملات. وقد سألته عن العامل في المصدر إذا كان توكيداً للفعل، والتوكيد لا يعمل فيه المؤكد إذ هو هو في المعنى، فما العامل فيه؟ فسكت قليلاً ثم قال: ما سألتني عنه أحد قبلك!

فأرى أنّ العامل فيه ما كان يعمل في الفعل قبله لو كان اسماً، لأنه لو كان اسماً كان منصوباً بفعلت المتضمنة فيه. ثم عرضت كلامه على نفسي وتأملت الكتاب، فإذا هو قد ذهل عما لوح إليه سيبويه في باب المصادر، بل صرح، وذلك أنه جعل المصدر المؤكد منصوباً بفعل هو التوكيد على الحقيقة، واختزل ذلك الفعل، وسد المصدر الذي هو معموله مسده، كما سدت (إياك) و (رويداً) مسد العامل فيهما، فصار التقدير: ضربت ضرباً، فضربت الثانية هي توكيد على الحقيقة، وقد سد ضرباً مسدها، وهو معمولها، وإنما يقدر عليها فيه أنه مفعول مطلق لا توكيد. هذا معنى قول صاحب الكتاب مع زيادة في الشرح. ومن تأمله هناك وجده كذلك. والذي أقول به الآن قول الشيخ أبي الحسين، لأنّ الفعل المختزل معنى. والمعاني لا يؤكد بها وإنما يؤكد بالألفاظ، وقولك ضربت فعل مشتق من المصدر، فهو يدل عليه، فكأنك قلت: فعلت الضرب. فضربت يتضمن الضرب المفعول ولذلك تضمه فتقول: من كذب فهو شر له، أي: فالكذب شر له وتقيدته بالحال فتقول: قمنا سريعاً، فسريعاً حال من القيام، فكما جاز أن تقيدته بالحال

1 - نفسه، ص ٢٧٣.

2 - نفسه، ص ٢٧٣.

وأن تكتتي عنه بـ هو، جاز أيضاً أن تؤكد بـ (ضرباً) ، كان قلت: ضرباً ضرباً ونصب ضرباً الأول ضرباً وبه يعمل في الثاني معنى فعلت، كما كان ذلك في المفعول المطلق إذا قلت: ضربت ضرباً شديداً، أي: فعلت ضرباً شديداً ليس المؤكد كذلك، إنما ينتصب كما ينتصب زيداً الثاني في قولك: ضربت زيداً زيداً مكرراً، انتصب من حيث كان هو الأول لا أنك أضمرت له فعلاً، فتأمله.¹ كما نلاحظ فقد قدم لنا قول سيبويه مع المزيد من الشرح، وأخبرنا أنه اتبع قول شيخه ابن الطراوة.

٢٨- ويقول: "... وأما الفكر فهو كالعلم لقربه منه في معناه، ومشاركته له في محله، وليس باسم عند سيبويه، ولذلك منع من جمعه فقال: لا يجمع الفكر على أفكار، حمله على المصادر التي لا تجمع. " وقد استهوى الخطباء والقصاص خلاف هذا القول. والله موفق للصواب. وأما الذكر فبمنزلة العلم، لأنه نوع منه.^٢ وقبل هذا شرح لنا الإمام السهيلي، رأيه في العلم، ولاحظت أنه شرحه من حيث المعنى، وقال إنه المصدر الذي اشتق منه علمت...^{*} ذكر قول سيبويه ولم يعترض عليه ولم يوافق.

٢٩- ويقول أيضاً: " قال: " واعلم أن سحراً إذا أردته ليوم بعينه، لم تصرفه. . . . " إلى آخر الفصل. حكم (سحر) إذا كان ليوم بعينه - معرفة كان اليوم أو نكرة - إذا كان اليوم ظرفاً ولم يكن مفعولاً ولا فاعلاً - فحكم " سحر " حينئذ أن يكون ظرفاً غير منون لأنه معرفة إما بمعنى الإضافة كأنك تريد: سحر ذلك اليوم، فانحذف التنوين لهذا، كما انحذف في " أجمع " و " أكتع " حيث كان مضافاً في المعنى. فهذا وجه قد قيل. وأحسن منه ما ذهب إليه سيبويه من أنه معرف بالألف واللام كأنك حينئذ ذكرت يوماً قبله وجعلته ظرفاً، ثم ذكرت " سحر "، فكأنك أردت: السحر الذي من ذلك اليوم، واستغنيت عن " الألف واللام " بذكر اليوم. وإنما اخترت هذا القول عن الأول للفرق الذي بين (سحر) وبين (أجمع) فإن (أجمع) توكيد بمنزلة: " كله " و " نفسه "، فهو مضاف في المعنى إلى ضمير المؤكد، واستغنى عن إظهار الضمير بذكر المؤكد من (أجمع) لا يكون إلا تابعا له، ولا يكون مخبراً عنه بحال. وليس كذلك " السحر "، لأنه بمنزلة (الفرس) و(الجمال)، فإن أضفته لم يكن بد من إظهار المضاف إليه، وإنما هو معرف بالألف واللام، كما قال سيبويه. وهذا كله لما كان اليوم ظرفاً ولم يكن مفعولاً، فلو جعلته مفعولاً

١ - نفسه، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

٢ - نفسه، ص ٢٨٣.

* - ينظر، نفسه، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

وفاعلاً لم يكن " سحر " ظرفاً، وكان بدلاً مضاف إلى ضمير اليوم، مثال ذلك أن تقول: كرهت يوم الخميس سحره، كما تقول: " أكلت سمكة رأسها ".^١ هنا يوافق مذهب سيبويه. ٣٠ - ويقول: " فرس أضحى " و " ليلة أضحيان "، تريد البياض. والصبح من " الأصبح " وهي لون بين لونين فإذا قلت: خرجت اليوم عشياً وظلاماً وضحى وبصراً - حكاة سيبويه - فإنما تريد: خرجت اليوم في ساعة وصفها كذا.^٢ نقل عن سيبويه؛ وهو بنفسه يصرح ويقول: " حكاة سيبويه".

٣١ - ويقول: " قال سيبويه: " ومما لا يكون الفعل إلا واقعاً به كله، " سرت المحرم وصفر ". هذا معنى كلامه. وإذا ثبت هذا فوجب ورمضان وأشباههما أسماء أعلام إذا أردتهما لعام بعينه، أو كان في كلامك ما يدل على عام تضيفهما إليه. فإن لم يكن... أما الاسم العلم فلا أصل له في الظرفية. وإذا ثبت هذا فقول سبوحانه: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) في ذكر الشهر فائدتان، وربما كانت أكثر من ذلك: الأولى: أنه لو قال: " رمضان الذي أنزل فيه القرآن،، لاقتضى اللفظ وقوع الإنزال على جميعه، كما تقدم من قول " سيبويه ". وهذا خلاف المعنى، لأن الإنزال كان في ليلة واحدة منها، في ساعة منها، فكيف يتناول جميع الشهر؟ فكان ذكر الشهر الذي هو غير علم - موافقاً للمعنى، كما تقول: " سرت في شهر كذا " فلا يكون السير متناولاً لجميع الشهر.^٣ وهذه مسألة شرحها الإمام السهيلي باعتماد اللفظ والمعنى، واتبع فيها قول سيبويه.

٣٢ - ويقول أيضاً: " ... وإذا ثبت ما قلناه، فما عدا هذه الأشياء - فلا يصل إليه الفعل إلا بواسطة حرف، نحو: " المفعول معه " و " الظرف " من المكان، نحو: قمت في الدار، لأنه لا يدل عليه بلفظه. وأما " الظرف " من الزمان فكذلك أيضاً، لأن الفعل لا يدل عليه بلفظه ولا ببنيته وإنما يدل ببنيته على اختلاف أحوال الحدث، ولفظه على الحدث نفسه. وهكذا قال سيبويه في أول الكتاب، وإن تسامح في موضع آخر. وأما الزمان فهو حركة الفلك فلا ارتباط بينه وبين حركة الفاعل إلا من جهة الاتفاق والمصاحبة إلا أنهم قالوا: " الفعل فعلت اليوم "، لأن اليوم ونحوه أسماء وضعت للزمان ليؤرخ بها الفعل

١ - نفسه، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

٢ - نفسه، ص ٢٩٠.

٣ - نفسه، ص ٢٩١-٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦.

الواقع فيها، فإذا سمعها المخاطب علم المراد بها، واكتفى بصيغتها عن الحرف الجار.^١ اتبع ما قاله سيبويه.

ويقول: " الألف واللام"، لأنّ " الألف واللام " قد تتبئ عما تتبئ عنه أسماء الإشارة، حكي سيبويه: " لمن الدار مفتوحاً بابها؟".^٢ وفي هذا أيضاً يوافق سيبويه. ٣٣- ويقول: "... لسابع: لم عول في إعرابهما على الحال، واختاره " سيبويه"، وعدلتم عن إضمار كان؟ وتركتم قول من قال: إن التقدير: هذا إذا كان بسراً أطيب منه إذا كان رطباً؟ أما العامل في الحال الأولى فهو ما في " أطيب " من معنى الفعل، لأنك تريد: طيبه في حال البسرية يزيد على طيبه في حال الرطوبة. (فالطيب) أمر واقع في هذه الحال، فلذلك قال سيبويه: هذا باب ما ينصب من الأسماء على إنها أحوال وقعت فيها الأمور وأما الحال الثانية وهي " رطباً"، فالعامل فيها مضى الفعل الذي تعلق به الجار في قولك: منه، لأنّ (منه) متعلق بمعنى غير الطيب.^٣ وافق في قوله سيبويه.

٣٤- ويقول: "... فإن قيل: فإذا كان هذا هو الأصل، فلم مثل " سيبويه " بها مقدمة، وكان ذلك أحسن عنده من أن يؤخرها؟ فالجواب: أنه أراد تأكيد معنى الحال فيها، لأنّه ترجم عن الحال فلو أخرها لأشبهت التمييز، لأنك إذا قلت: " هذا الرجل أطيب بسراً وفلان ". فبسرّاً - لا محالة - تمييز، وإذا قدمت " بسراً " على " أطيب من كذا ". فبسرّاً - لا محالة - حال ولا يصح أن يخبر بهذا الكلام عن رجل ولا عن شيء سوى التمر وما هو في معناه.^٤ هنا يقدم شرح أكثر لقول سيبويه. وهو يوافق الرأي.

٣٥- ويقول: "... وإذا - فإذا " كان " لا تضر، قال سيبويه: " لو قلت: عبد الله المقتول تريد: كن عبد الله المقتول لم يجر ". وبرهان قوله في ذلك أن " كان " الزمانية ليست عبارة عن الحدث: وإنما هي عبارة عن الزمان، والزمان لا يضر، وإنما يضر الحدث إذا كان في الكلام ما يدل عليه وليس في الكلام ما يدل على الزمان الذي يقيد به الحدث، إلا أنّ يلفظ به، فإن لم يلفظ به لم يعقل. فإن قلت: تضر " كان " التامة، وتكون " بسراً " حالاً تعمل فيه " كان " التامة؟ قلنا: هذا كلام من لم يفهم " كان " فإن " كان " الزمانية

١ - نفسه، ص ٢٩٨.

٢ - نفسه، ص ٣٠٦.

٣ - نفسه، ص ٣٠٧.

٤ - نفسه، ص ٣٠٩.

و" كان " التامة يرجعان إلى أصل واحد، ولا يجوز إضمار واحد منهما.¹ ويواصل القول بأن كشف سرهما يطول، وليس هذا موضع ذكره، وعليه فإنه لم يوضح المسألة كما عهدنا واكتف بذكر القليل، دون تفسير.

٣٦- ويقول: "... ونحو ما استشهد به سيبويه من قولهم: "مسيء أنت" و" مسكين فلان"،... صار بسببها مفعولاً في المعنى؛ ألا ترى أنك إذا قلت: "حسن زيد!"، فإنّ المعنى: أستحسن زيداً. وإذا قلت: "مسيء عمرو!"، فالمعنى: أذمّ عمراً. وإذا قلت: "مسكين فلان!" فالمعنى: أرحم فلاناً وأرق له. وأشعرت هذه الصفات كلها بهذا المعنى الذي لو لُفظ به مصرحاً لكان مقدماً والاسم مؤخراً. وذلك الاسم هو المبتدأ في اللفظ وهو المذموم أو المرحوم في المعنى. وأما إذا تجرد الخبر من هذه القرائن كلها مثل قولك: "قائم زيد" و"ذاهب عمرو" و"خياط أخوك" فهو الذي أراد الخليل أنه يقبح تقديمه. والله أعلم. وأما ما حكاه سيبويه من قولهم: "قائم أنا"، فليس "أنا" مبتدأ، إنما هو تأكيد للمضمر في "قائم"؛ لأنّ "قائم" خبر لمبتدأ محذوف؛ وكان قائلاً قال له: ما أنت؟! فقال: "قائم". ثم أكد بقوله: "أنا". ولا يمنع الخليل مثل هذا. فقد يجوز على هذا "قائم زيد!" إذا سألك سائل أو توهمت منه إرادة السؤال عن زيد، فتقول: "قائم"، أي: "هو قائم" فيكون حينئذ "زيد" بدلاً من الضمير المستتر في قائم، وذلك الضمير عائد على أول الكلام لا على "زيد". فإن عاد على "زيد" لا على شيء في أول الكلام فـ "زيد" مبتدأ و"قائم" خبر عنه مقدم، وهو الذي منعه الخليل. فقف على هذا الأصل تحكّم جميع هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - وأكثر هذا الكلام قد رأيتَه للأستاذ "أبي الحسين بن الطراوة" رحمه الله.² يقول إنه أخذ عن أستاذه ابن الطراوة، هو يتبع أكثر ما قال به الخليل، وما قاله سيبويه يقول إنّ الخليل لم يمنعه.

٣٧- ويقول: "...نحو قول عمر- رضي الله عنه - "تمرة خير من جرادة"، ونحو ما قدر سيبويه من قوله ﷺ: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: طاعة أمثل، ولم يقل: "مثيلة" ولا حسنة، لأنّ النكرة لا يخبر عنها كما تقدم إلا على الشروط المذكورة أو تريد التفضيل فتقول: "تمرة أفضل من كذا" أو: "طاعة أفضل"، لأنك حين قلت: أفعل من كذا، علم

1 - نفسه، ص ٣١١.

2 - نفسه، ص ٣١٣ - ٣١٤.

أنك تريد أن تقول: أفضل ثمرة لم وأوثر طاعة، ونحو هذا المعنى. فخرجت النكرة عن أن تكون مبتدأ محضاً ومخبراً عنه حقيقة، والله تعالى أعلم.¹ اتبع قول سيبويه.

٣٨- ويقول: "... ولكن يريد: " تخيبت مني "، كأنه يخبر عن الخيبة وأنها صادرة منه، كما كان ذلك في السلام إذا أراد به التحية، ولو أراد به السلامة والعافية لقال: " سلاماً لك "، " سلامة لك " بالنصب، لأن سلامة المخاطب ليست من فعل المتكلم. وكذلك " السقي " و" الرعي "، فلا بدّ من النصب على هذا الوجه، وأما " ويح " و" ويل " فترحم واستقباح، و" ويس " استصغار، فتارة تكون نصباً كما تكون " خيبة " وذلك إذا أردت محض الدعاء، وإن أردت أن تشوب الدعاء بخبر عن نفسك رفعت كلما رفعت " سلام عليك " إذا أردت التسليم والتحية، لأنك مترحم كما أنك مسلم. فيكون التقدير " ويح مني لك " و" استقباح مني له "، لأن الويل قبوح، ولا يتصور هذا في " تبا له " ولذلك منع " سيبويه " الرفع " تبا "، وأنكر على من أجازته، ولم يبين العلة ولا كشف السر لا هو ولا من شرح " الكتاب ".² هنا أيضاً اتبع قول سيبويه.

٣٩- ويقول: "... وان احتملت الضمائر - إلا علامة تثنية وجمع، أو حرف إعراب على قول سيبويه، أو هي إعراب على قول محمد بن المستنير، أو دليل إعراب على قول سعيد، ومحمد بن يزيد.³ يوافق سيبويه.

٤٠- ويقول: " في إعراب الاسم المرفوع بعد الظرف إذا ثبت هذا فلا يصح ارتفاع اسم بعد الظرف والمجرور بالاستقرار على أنه فاعل، وإن كان في موضع خبر أو نعت، وإنما يرتفع بالابتداء كما يرتفع في قولك: " قائم زيد " بالابتداء، لا بقائم، خلافاً للأخفش على ما سيأتي برهانه، إن شاء الله تعالى. فإن قيل: أليس قد يرتفع الاسم بقائم إذا كان " قائم " معتمداً على مبتدأ، أو كان نعتاً، أو حالاً، أو كان قبله الاستفهام وما يطلب الفعل، فيرتفع أيضاً ههنا به؟ قلنا: قد توهم: قوم أن هذا هو مذهب سيبويه، وأنه يجيز أن يرتفع بالظرف إذا قلت: " وزيد في الدار أبوه " و" مررت برجل معه صقر ". وليس هذا مذهب الرجل، وقد بين أبو سعيد السيرافي مراد سيبويه، وشرح وجه الغلط عليه بما فيه غنية.⁴ اتبع مذهب سيبويه موافقاً ما قاله أبو سعيد السيرافي. ويقول في نفس الفصل:

1 - نفسه، ص ٣١٦.

2 - نفسه، ص ٣١٨.

3 - نفسه، ص ٣٢٤.

4 - نفسه، ص ٣٢٥.

"... ولذلك عدل " سيبويه " في قولهم: " فيها قائما رجل " و " لَمِيَّةٌ مُوحِشًا طَلَّلٌ " إلى أن (جعلها حالاً من نكرة، ولم) يجعلها من الضمير الذي في الخبر. لأنّ الخبر مؤخر في **النية** هو العامل في الحال، وهو معنوي، والحال لا تتقدم على العامل المعنوي. فهذا كله ينبئك أنّ الظرف والمجرور ليس هو الخبر في الحقيقة، ولا الحامل للضمير، ولا العامل في شيء من الأشياء، لا في حال، ولا في ظرف، ولا في فاعل. ومن جهة العقل أنّ " الدار " إذا انفردت بلفظها لم يصح أن تكون خبراً عن " زيد " ولا عاملة، ولا حاملة للضمير. وكذلك (في) و (من) سائر حروف الجر أو انفردت لم يكن فيها شيء من ذلك، فقد وضح لك أنّ الخبر هو غيرها، وموضعه موضعه، والحمد لله.¹ عدل سيبويه قوله معتمداً قول الخليل، ووافقهم الإمام السهيلي.

٤١- ويقول في إعراب الوصف غير معتمد: "... لأنّ اسم الفاعل اسم محض، واشتقاقه من الفعل لا يوجب له عمل الفعل، إذا كنا نعمل كل اسم مشتق من الفعل كمسجد، ومرقد، ومروحة، ومغرفة. ولكن إنّما نعمل إذا تقدم ما يطلب الفعل أو كان في موضع لا يدخل عليه العوامل اللفظية نحو النعت والخبر، فيقوي حينئذ معنى الفعل فيه. ويعضد هذا من السماع أنّهم لم يحكوا عن العرب: " قائم الزيدان " ولا: " ذاهب إخوتك "، إلا على الشرط الذي ذكرناه. ولو وجد الأخفش ومن قال بقوله مسموعاً لاحتجوا به على الخليل وسيبويه، فإذا لم يكن مسموعاً، وكان بالقياس مدفوعاً، فأخلق به أن يكون باطلاً ممنوعاً! " انتقد قول الزجاجي، وقال إنّّه باطل في القياس، واتبع قول الخليل وسيبويه.

٤٢- ويقول في مسألة باب الاشتغال وقد خصص له فصل: "ومن هذا الباب ما ذكره سيبويه على وجه ضرورة الشعر، ثم اعترف أنّه في الكلام بمنزلة في الشعر، أي: إنّ لو جاء على الأصل لم ينكسر الشعر، وهو قولهم:

عليّ ذنباً كلّهُ لم أصنَع ثلاث كلهن قتلت عمداً

جعله في القبح مثل: " زيد ضربت "، برفع زيد، مع عدم الضمير. وليس مثله لوجوه منها: أنّ الجملة هنا في موضع صفة، فلو نصب لولى الاسم غير الصفة، لأنّ الفعل والفاعل والجملة هي الصفة، فإذا قدمت مفعولها عليها لم تل موصوفها، فإذا رفعت بالابتداء وليت الجملة التي هي في موضع الصفة موصوفها. ووجه آخر، وهو أن (كلا) يقبح أن يليه العوامل اللفظية، لأنّه في الأصل توكيد، والتوكيد لا يليه العوامل اللفظية

¹ - نفسه، ص ٣٢٧.

² - نفسه، ص ٣٢٨.

ويحسن رفعه بالابتداء، إذ الابتداء^١ وهنا نجد الإمام السهيلي يضيف إلى هذا الباب ما ذكره سيبويه.

٤- بين السهيلي ومدرسة الكوفة من خلال كتاب "نتائج الفكر في النحو": أردت انجاز هذه المقارنة البسيطة من حيث ما صرح به الإمام السهيلي في كتابه نتائج الفكر في النحو فوجدت أنه يقول: "وأما " لَكِنَّ " فأصح القولين فيها: أنها مركبة من " لا " و " إِنَّ "، و " الكاف ". و " الكاف " التي هي للخطاب - في قول الكوفيين - ما أراها إلا كاف التشبيه، لأنَّ المعنى يدل عليها إذا قلت: ذهب زيد لكنَّ عمراً مقيماً، تريد: لا كفعل عمرو.^٢ هنا يتبين لنا أنَّ الإمام السهيلي يختلف عن الكوفيين حيث هو يعتبر الكاف في " لكن "، "كاف" التشبيه في حين يراها الكوفيون للخطاب.

٥- بين والبصرة والكوفة من خلال كتاب "نتائج الفكر في النحو": فيقول في " من باب التوكيد " وأما " كلا " فاختلف النحويين فيها مشهور، واحتجاج البصريين والكوفيين مذكور، لكننا نشير إلى ضروب من الترجيح لكل فريق، ترشد الناظر فيها إلى واضح الطريق، فنقول: أما من ذهب إلى أنها اسم مفرد وألفها لام الفعل وليست التثنية، فمعظم حجته أنها في الأحوال الثلاثة مع الظاهر على صورة واحدة أعني حال الرفع والنصب والخفض، وإنما تنقلب ياء في حال الخفض والنصب مع المضمرة خاصة كما ينقلب ما ليس بألف التثنية، نحو: لديهما وعليهما. وهذا معنى قول الخليل وسيبويه، ولم يبعد عن الصواب من عول عليه! ومما احتج لهذا المذهب قول العرب: كلاهما ذاهب، ولم يقل: ذاهبان.^٣ وكلا يومَي أمانة يومٌ صدَّ. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْلَهَا﴾^٤، فأفرد الخبر عن (كلا). ولا حجة فيه، ولذلك عدل سيبويه في الاستدلال عنه، بما تقدم من أنك تضيف كلي كلا فتفرد الخبر عنه، فتقول: " كلكم راع " حملاً على المعنى، إذ المعنى: كل واحد منكم راع. وكذلك (كلا) إنما معناه: كل واحد منهما ذاهب.^٥ فإن قيل: إنما أفرد الخبر عن " كل " لأنه اسم مفرد، وكذلك (كلا) لا للعلّة أي ذكرت؟ قلنا: فلم وكد الجمع بها، والجمع لا يوكد بالواحد، كما لا ينت بالواحد. وهو في

١ - نفسه، ص ٣٣٧.

٢ - نفسه، ص ٢٠٠.

٣ - نفسه، ص ٢٢٠.

٤ - الكهف، الآية: ٣٣.

٥ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٢٢٠-٢٢١.

التوكيد أبعده، لأنه تكرر للمؤكد؟ ولم يقل عز وجل: (كُلُّ لَه قَانِتُونَ) و (كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) وقد ثبت بما تقدم من الشواهد السمعية والأدلة القياسية أنه اسم للجمع بمنزلة قوم، وأنت لا تقول: قوم ذاهب، ولا قومك خارج فثبت أنه ليس باسم مفرد، وإنما هو اسم للجمع. وإنما التعديل لمن ذهب مذهب سيبويه على الحجة الأولى، على أنها معارضة بضروب من الاحتجاج، منها: أنها توكيد للثنتين ولا يؤكد الاثنان بواحد، كما لا ينعت الاثنان بواحد، وليس لقائل أن يقول فيها كما في " كل " إنها اسم للجمع، لأن الجمع تختلف صورته فيكون مسلماً ومكسراً وأسماء الجمع لا واحد لها كرهط وقوم. ولا يكون للثنائية إلا صورة واحدة وحد واحد، وإذا بطل أن يكون واحداً في معنى التثنية، وبطل توكيد الاثنان بواحد ولم يبق إلا أن يكون (كلاهما) لفظاً مثني تغلب ألفه ياء في النصب والخفض مع المضمرة خاصة، لأنك إذا أضفته إلى مظهر استغنيت عن قلب ألفه ياء في خفض والنصب، بانقلاب ألف المظهرين اللذين تضيف إليهما إذا قلت رأيت كلا أخويك. ولو قلت: رأيت كلا أخويك، كنت قد جمعت بين علامتي إعراب في اسم واحد لأنهما لا ينفصلان أبداً ولا تنفك " كلا " هذه عن الإضافة بحال، ألا ترى كيف رفضوا: ضربت رأسي الزيدتين، وعدلوا إلى أن قالوا: رؤوسهما، لما رأوا المضاف والمضاف إليه كاسم واحد. هذا مع أن الرؤوس اسم ينفصل عن الإضافة في أكثر الكلام، وكذلك القلوب من قوله تعالى: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ، فإذا كانوا قد رفضوا علامة التثنية هناك مع أن الإضافة عارضة فما ظنك بهذا الموضع الذي لا تفارقه الإضافة ولا تنفك عنه؟ فهذا الذي حملهم على أن لا يقولوا: ضربت كل أخويك، ومررت بكل أخويك وأزموها الألف في جميع الأحوال مع الظاهر، ولم يبعد ذلك كما لم يبعد في لغة طيء وخثعم وبني الحارث بن كعب أن يقولوا: رأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، فلم يستنكروا هذا في كلامهم والتزموه بوجود التثنية في الاسم اللازم له، وهو المضاف إليه، فإذا أضافوه إلى المضمرة قلبوا ألفه في النصب والخفض ياء، لأن المضاف إليه لا يثنى بالياء في نصبه ولا في خفضه، ولكنه أبداً بالألف، كقولك: ضربت كلاهما، ومررت بكليهما، فقد زالت العلة التي رفضوها في كلا أخويك حين لم يجتمع علامتا نصب ولا علامتا خفض في المضمرة. ومن الحجة لهذا القول الآخر أيضاً أن (كلا) يفهم من لفظه ما يفهم من لف (كل) ، وهو موافق له في فاء الفعل وعينه، وأما اللام فمحذوفة كما حذف في كثير من الأسماء فمن ادعى أن لام الفعل " واو " ، وأنه من غير لفظ " كل " ، فليس له دليل يعضده

1 - نفسه، ص ٢٢١.

ولا اشتقاق يشهد له ويؤيده. فإن قيل لهم: ولم كسرت الكاف من " كلا " وهي في " كل " مضمومة؟ فلهم أن يقولوا: كسرت إشعاراً وتنبهياً على معنى الاثنين، كما يبدأ لفظ الاثنين بالكسر، ألا تراهم كسروا العين من عشرين إشعاراً بتثنية العشر. ومن حجتهم أن كلتا بمنزلة " بنتا " و " ثنتا "، والألف في " ثنتا " لا خلاف أنها ألف تثنية، فكذلك كلتاها. ومن ادعى أن الأصل فيهما "كلواهما فقد ادعى ما تستبعده العقول، ولا يقوم عليه الدليل ولا البرهان.¹ ومن حجتهم أيضاً أن تقول في التوكيد: مررت بإخوتك ثلاثتهم وأربعتهم. فتؤكد بالعدد فاقتضى القياس أن تقول في التثنية كذلك: مررت بأخويك اثنيهما، فاستغنوا عنه بكليهما لأنه في معناه، وإذا كان في معناه فهو تثنية مثله - فإن قيل: فإنك تقول: كلا أخويك جاء، ولا تقول: اثنا أخويك جاء، فكيف يكون في معناه؟ قلنا: العدد الذي تؤكد به إنما يكون توكيداً مؤخراً تابعاً لما قبله، فأما إذا قدم لم يجز ذلك، لأنه في معنى الوصف، والوصف لا يقدم على الموصوف، فلا تقول: ثلاثة إخوتك جاءوني. وهذا بخلاف كل وكلا، لأن فيهما معنى الإحاطة، فصار كالحرف الداخل لمعنى فيما بعده، فحسن تقديمهما في حال الإخبار عنهما، وتأخيرهما في حال التوكيد (بهما) والله المستعان.² وقد ذكر ابن الأنباري هذا الخلاف في " مسألة كلا وكلتا مثنيان لفظاً ومعنى أو معنى فقط" ويقول: " ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فيهما تثنية لفظية ومعنوية وأصل كلا كل فخفت اللام وزيدت الألف للتثنية وزيدت التاء في كلتا للتأنيث والألف فيهما كالألف في الزيدان والعمران ولزم حذف نون التثنية منهما للزومهما الإضافة. وذهب البصريون إلى أن فيهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية والألف فيهما كالألف في عصا ورحا. أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أنهما مثنيان لفظاً ومعنى وأن الألف فيهما للتثنية النقل والقياس"³ ويقول أيضاً: " وأما القياس فقالوا الدليل على أنها ألف التثنية أنها تنقلب إلى الياء في النصب والجر إذا أضيفتا إلى المضمر وذلك نحو قولك رأيت الرجلين كليهما ومررت بالرجلين كليهما ورأيت المرأتين كليهما ومررت بالمرأتين كليهما ولو كانت الألف في آخرهما كالألف في آخر عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفهما نحو رأيت عصاهما ورحاهما ومرزن بعصاهما

¹ - نفسه، ص ٢٢٢.

² - نفسه، ص ٢٢٣.

³ - أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر، دمشق، ج ٢، ص ٤٣٩.

ورحاهما فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف الزيدان والعمران دل على أن تثنيتهما لفظية ومعنوية وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أن فيهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية أن الضمير تارة يرد إليهما مفرداً حملاً على اللفظ وتارة يرد إليهما مثني حملاً على المعنى¹ ومن هذه المسألة نفهم بأكثر وضوح أن الإمام السهيلي قد اتبع مذهب البصرة وبالضبط مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد صرح بذلك في أول كلامه. وقد استعمل القياس والسماع في تبيين رأيه.

٢- في المصدر: هاهنا سؤال لطيف، وهو أن يقال: المصدر في اصطلاح النحويين أمصدر هو أم اسم غير مصدر؟ ومعنى هذا السؤال أن مصدر مفعول، ومفعول يكون عبارة عن الحدث نحو "ذهبت مذهباً"، ويكون عبارة عن الموضع الذي يكون فيه الفعل، فتسمية النحويين الحدث مصدراً هل هو مفعول الذي يراد به الحدث، أو مفعول الذي يراد به الموضع؟ فإن قلت: هو مفعول الذي يراد به الحدث، خرجت إلى قول الكوفيين في قولهم: إنَّ المصدر صادر عن الفعل (والفعل) أصل له، وذلك أنك إذا جعلته مصدراً صار بمعنى الصدور والصدر، وصار الضرب ونحوه إذا سميته مصدراً كقولك: "رجل صوم وزور وفطر" أي: صائم وزائر ومفطر، فيكون الحدث أيضاً صادراً من حيث جعلت المصدر مفعلاً بمعنى الصدور والصدر. فإن قلت: وكيف أجعله اسماً غير مصدر وهو عبارة عن الحدث، والحدث هو المصدر؟ قلنا: تسمية الحدث عندنا مصدراً على جهة الاستعارة، كأنه الموضع الذي صدرت عنه الأفعال، والأصل الذي نشأت عنه، ولا بد من المجاز على القولين جميعاً، لأنَّ الكوفي إذا قال إنه بمعنى "الصدود فلا بد من حذف عنده في تسمية الضرب مصدراً، كما لا بد من حذف في تسمية الرجل صوماً وزوراً، أي: ذو صوم وذو زور. وإذا جعلناه اسماً للحدث على جهة المجاز والنقل من المصدر الذي هو المكان فهو مجاز، وتسميته كتسمية الشجاع أسداً، وكتسمية المجاز مجازاً، فإنَّ أصل موضوع المجاز في المحسوسات للشيء مجاز عليه، ثم نقله أهل الصناعة للمعنى الذي تجوز بسببه في نقل الألفاظ عن أصل موضوعها، وتسمية الشيء باسم غيره لمعنى جامع بينهما جائز، فذلك الوجه هو المجاز، إذ بسببه انتقل اللفظ عن أصل موضوعه، وجاز أن يسمى به غيره، والله أعلم.^٣ فكما نلاحظ فقد اتبع مذهب الكوفة وفي شرح موقفه اعتمداً

١ - نفسه، ص ٤٤١.

٢ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٥٨.

٣ - نفسه، ص ٥٩.

على نظرية اللفظ والمعنى التي قام بتجسيدها في هذا المقام. مستعملاً الاستعارة
والمجاز.

٣- في المبهمات: قوله: " والمبهم نحو: هذا وهذان ". تسميتهم هذه الأسماء المبهمة، مأخوذة من " أبهمت الباب "، إذا أغلقتة. و" استبهم عليّ الجواب "، أي: استغلق. وكذلك هذه الأسماء إنما وضعت في الأصل لما استبهم على المتكلم اسمه، أو أراد هو إبهامه على بعض المخاطبين دون بعض، فاكتفى بالإشارة إليه، أو كانت الإشارة إليه أبين من اسمه عند المخاطب. وإذا ثبت ما قلناه فالاسم في هذا الباب هو الذال واحدها دون الألف خلافاً لبعض البصريين، يدل على ذلك سقوطها بالتثنية وفي المؤنث إذا قلت: هذه، وتلك. وخصت الذال بهذا المعنى لأنها من طرف اللسان، والاسم المبهم مشاراً إليه، فالمتكلم يشير نحوه بلحظه أو بيده، ويشير مع ذلك بلسانه، لأنّ الجوارح خَدَمُ القلب، فإذا ذهب القلب إلى الشيء ذهباً معقولاً ذهب الجوارح نحو ذلك الشيء ذهباً محسوساً. والعمدة في الإشارة في هذا الموطن على اللسان، ولا يمكن إشارة اللسان إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان، التي هي آلة الإشارة دون سائر أجزائه، فليس إلا الذال أو التاء، فأما التاء فمهموسة رخوة، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان، والذال مجهورة فخصه بالإشارة إلى المذكر، وخصت التاء بالإشارة...^١ في هذه يقول الإمام السهيلي أنّه خالف بعض البصريين، بمعنى أنّه مع البعض الآخر.

^١ - نفسه، ص ١٧٧.

الفصل الثاني

المستوى الدلالي

١- **تعريف علم الدلالة:** يقول الأستاذ أحمد مختار عمر في حديثه عن علم الدلالة والمعنى: "ولسنا هنا في مجال الدفاع عن الفرع من علم اللّغة أمام القارئ العربي فسيذكر هو بنفسه مدى أهميته حين يمضي في قراءة الكتاب. ولكننا نحب فقط أن نشير إلى حقيقة واضحة قد تغيب عن بعضهم، وهي أنّ الموضوع الأساسي لهذا العلم هو "المعنى". ولا أحد ينكر قيمة المعنى بالنسبة للّغة حتى قال بعضهم إنّه بدون المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة، وعرف بعضهم اللّغة بأنّها: معنى موضوع في صوت.^١ فأنت تلاحظ معي الأهمية الكبرى لعلم الدلالة، ولعلّ دارس كتاب نتائج الفكر في النحو يتقطن مباشرة لأهمية المعنى في الكتاب فكله مبني على نظرية مبنية على " اللفظ والمعنى" فكما هو معروف فالتعليل النحوي مبني خاصة على المعنى؛ ويقول الأستاذ أحمد مختار عمر: " ورغم كثرة ما كتب ويكتب بغير العربيّة في "علم الدلالة" ومناهج دراسة المعنى من وجهة النظر اللّغوية فالمكتبة العربيّة فقيرة أشد الفقر في هذا النوع من الدراسات. فمنذ أن صدر كتاب المرحوم الدّكتور إبراهيم أنيس " دلالة الألفاظ" (عام ١٩٥٨) حتى الآن لم تقدم للقارئ العربي أي دراسة علمية للمعنى بمفهومه اللّغوي، تستفيد مما جد من نظريات، وما قدم من أبحاث، وما ظهر من نتائج. ولا يغنى في هذا المقام كتاب الدّكتور كمال بشر: " دور الكلمة في اللّغة " والدّكتور مراد كامل " دلالة الألفاظ العربيّة وتطورها" (١٩٦٣)، فأولهما ترجمة لكتاب صدر في فترة مبكرة من تاريخ العلم (١٩٥١) والثاني يعالج زاوية واحدة من زوايا العلم الكثيرة.^٢ بناء على هذا القول هل يمكن تصنيف كتاب " نتائج الفكر في النحو" من الكتب المصنفة في علم الدلالة؟ بناءً على ما كتب في هذا العلم في العصر الحديث!؟ فالدّكتور أحمد مختار عمر يقول: " فإنّ القضايا المطروحة في علم الدلالة ليست مما يمكن الإمام به أو عرضه في كتاب واحد، وبخاصة منذ تداخلت مناهجه مع مناهج النحو بعد مقاله Katz و Fodor الرائدة (١٩٦٣) التي قادت إلى دمج الفرعين داخل إطار القواعد التحويلية، وتوسعت اهتمامات هذا العلم لتشمل التراكيب وتحليل الجمل ببيان علاقات كلماتها بعضها ببعض، وإظهار كيفية ارتباط الجمل منطقياً بالجمل الأخرى.

٢- **إشارات العرب إلى المعنى:** ولا ينكر الأستاذ أحمد مختار عمر إشارات العرب القدماء إلى المعنى فيقول: تجد دراسات وإشارات كثيرة للمعنى في مؤلفات الفارابي وابن

^١ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ١٩٩٨، ط ٥، ص ٥.

^٢ - نفسه، ص ٦.

سينا وابن رشد وابن حزم والغزالي والقاضي عبد الجبار والفيلسوف المعتزلي معمر وغيرهم... مما يحتاج تفصيله إلى مؤلف مستقل.

٣- اهتمامات البلاغيين التي تمثلت في دراسة الحقيقة والمجاز، وفي دراسة كثير من الأساليب كالأمر والنهي والاستفهام... وفي نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني... وغيرها.¹

٣- أول المساهمين الغرب في علم الدلالة: " وقد ظهرت أوليات هذا العلم منذ أواسط القرن التاسع عشر، وكان من أهم المساهمين في وضع أسسها:

١- Max Muller صرح في كتابين له بعنواني:

(١٨٦٢) The science of language

(١٨٨٧) The science of thought

إنّ الكلام والفكر متطابقان تماماً، وإن كان منهجه أقرب إلى الفروض منه إلى حقائق العلم، كما أنه عجز عن عبور الفجوة بين علم اللغة والتحليل النطقي للمعنى، وكان هذا العبور ضرورياً لتحقيق تقدم مثمر لعلم الدلالة.

٢- Michel Bréal اللغوي الفرنسي الذي كتب بحثاً بعنوان مقالة في السيمانتيك Essai de sémantique (١٨٩٧) وقد ظهر في طبعة إنجليزية بعد ثلاث سنوات فقط وكان أول من استعمل المصطلح " سيمانتيك " لدراسة المعنى وصارت الكلمة مقبولة في الانجليزية والفرنسية " سيمانتيك " لدراسة المعنى وصارت الكلمة مقبولة في الإنجليزية والفرنسية. وقد عنى المؤلف في هذا البحث بدلالات الألفاظ في اللغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهندية الأوروبية مثل اليونانية واللاتينية والسنسكريتية. واعتبر بحثه وقتئذ ثورة في دراسة علم اللغة، وأول دراسة حديثة لتطور معاني الكلمات² وفي أوائل القرن التاسع عشر ظهر عمل لغوي ضخم للعالم السويدي Adolf Noreen (١٨٥٤ - ١٩٢٥) بعنوان " لغتنا " خصص قسماً كبيراً منه لدراسة المعنى مستخدماً المصطلح Semology. وقد كان نورين سابقاً في كثير من النتائج التي توصل إليها، وكانت أفكاره أساساً لكثير من النظريات التي طورها اللغويون الأوروبيون والأمريكيون فيما بعد. وقد قسم نورين دراسته إلى فرعين:

1 - نفسه، ص ٦١.

2 - نفسه، ص ٢٢، ينظر، New Trends in Linguistics ص ١٢٣، ١٢٤؛ ومن قضايا اللغة والنحو ص ٩، وعلم النفس اللغوي، ص ٦٧ - ٦٩.

أ- الدّراسة الوصفية (عالج فيها نماذج مختلفة من السويدية الحديثة).

ب- الدّراسة الايتومولوجية للمعنى التي تعالج تطوره التاريخي.

وقد أدت تصريحات بلومفيلد هذه إلى إهمال المعنى بل وأحياناً مهاجمته بعنف على الرغم من أنه داخل في مجالات دراسية أخرى مثل المنطق أو الفلسفة أو علم النفس. كما أدى إلى تبني بعضهم منهجاً يقوم على اعتبار الخصائص الشكلية للغة - وبخاصة التركيبات النحوية - كجوهر اللغة.¹ وقد قسم Nida الوحدة الدلالية إلى أربعة أقسام رئيسية هي:

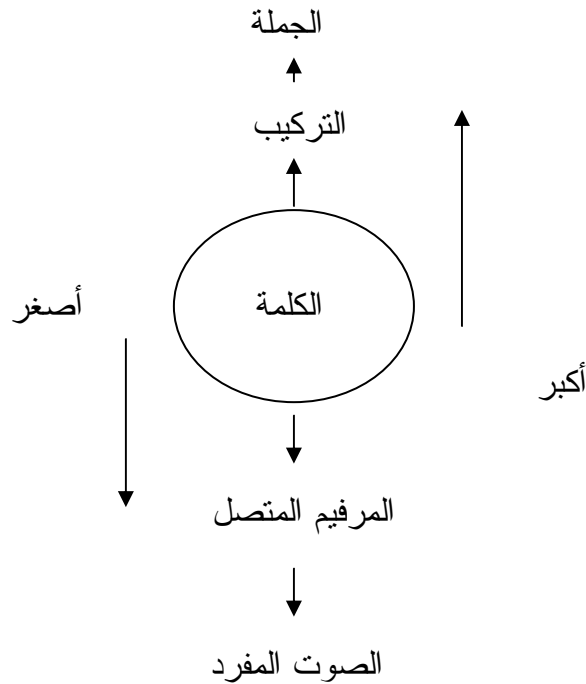
١- الكلمة المفردة.

٢- أكبر من كلمة (تركيب).

٣- أصغر من كلمة (مورفيم متصل).

٤- أصغر من مورفيم (صوت مفرد).

٥- ويمكن التمثيل لها بالشكل الآتي بعد إضافة وحدة الجملة كذلك:²



1 - نفسه، ص ٢٤.

2 - نفسه، ص ٢٢.

I. الاسم والمسمى والتسمية عند الإمام السهيلي:

أ- الاسم والمسمى: يقول الإمام السهيلي "الاسم: الذي هو "السين" و"الميم" عبارة عن اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى: هو الشيء الموجود في العيان - إن كان من المحسوسات - كزيد وعمر، وفي الأذهان، إن كان من المعقولات - كالعلم والإرادة. فذلك الموجود الذي في العيان أو الموجود الذي في الأذهان وضعت له عبارة في اللسان. بما يترجم عنه، ويتوصل إلى فهمه والكشف عن حقيقته، ثم ذلك الشيء المعبر عنه - وهو الشخص مثلاً- كما استحق بأن يكون له عبارة بين المتخاطبين يترجمون بها عنه، وهي "الزاي" و"الياء" و"الدال" من قولك "زيد" مثلاً، فذلك استحق هذا اللفظ المؤلف من هذه الحروف أن يعبر عنه بعبارة أخرى يعبر بها عنه، لأنه شيء موجود في اللسان، مسموع في الآذان.¹ ويقول: " فاللفظ المؤلف من "ألف" الوصل، و"السين" و"الميم" عبارة عن اللفظ المؤلف من "الزاي" و"الياء" و"الدال" مثلاً. واللفظ من "الزاي" و"الياء" و"الدال" مثلاً. عبارة عن الشخص الموجود في العيان والأذهان وهو المسمى، واللفظ الدال عليه الذي هو " الزاي" و"الياء" و"الدال" هو الاسم، وقد صار أيضاً ذلك اللفظ مسمى من حيث كان اللفظ الذي هو "السين" و"الميم" عبارة عنه فقد تبين لك في أصل الوضع أن الاسم ليس هو المسمى، وذلك أنك تقول: سميت هذا الشخص بهذا الاسم، كما تقول: حلتيه بهذه الحلية، والحلية لا محالة غير المحلى، فذلك الاسم أيضاً غير المسمى.² فاللفظ الاسم ليس المسمى، ويقول بأن سيبويه سبقه بقول ذلك فيقول: " وقد صرح بذلك سيبويه... ويستشهد السهيلي بقوله: " فسبحان الله كيف لا يستحي من عرف هذا من مذهب النحويين أجمعين، ومن مذاهب العرب، ثم يخبر عن أحد منهم بأن الاسم هو المسمى! ما أشار إلى ذلك نحوي قط ولا اعتقده عربي! ألا ترى أنهم يقولون: " أجل مسمى " ولا يقولون: " أجل اسم " ويقولون: " هذا الرجل مسمى يزيد " ولا يقولون: " اسم يزيد ". وتقول " باسم الله"، ولا تقول "بمسمى الله". ولو كان الاسم بمعنى المسمى ما امتنع شيء من هذا، فهذا غاية العجب، ونهاية الكذب على العرب! نعم، وعلى الكتاب الذي نزل بلسانهم"، نعم، وعلى

¹ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٣٠.

² - نفسه، ص ٣٠.

الرسول ﷺ الذي يقول: " لي خمسة أسماء" و" سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي".¹ فالأمام السهيلي يستشهد على قوله من كلام العرب، والقرآن الكريم ، وقول رسول الله ﷺ.

ب- التسمية: يقول السهيلي: " وإذا ثبت حقيقة الاسم والمسمى فلم يبق إلا حقيقة التسمية التي موه كثير من الناس، وبها يقع الغلط والالتباس، فتقول: التسمية عبارة عن فعل المسمى"² "ووضعه الاسم عبارة عن الشيء المسمى (به)، كما أن التحلية عبارة عن فعل المحلى، وهو وضع الحلي على المحلى به."³ " فهذه ثلاثة ألفاظ: اسم، ومسمى، وتسمية، ولكل لفظ معنى، ولا سبيل إلى جعل لفظين مترادفين على معنى واحد إلا بدليل واضح، ولا دليل هنا، فثبت أن لكل لفظ من هذه الألفاظ معنى غير الذي للآخر، وإذا جعلت الاسم هو المسمى بطل أحد المعاني الثلاثة التي قدمنا بيان وجودها واستحالة بطلانها، وبالله تعالى التوفيق."⁴

ويمكن أن نلخص كلام السهيلي فيما يلي:

الاسم: هو " السين " والميم "، وهو اللفظ الذي وضع دليل على معنى؛

المسمى: هو الشيء بعينه؛

التسمية: عبارة عن فعل المسمى.

ونجد السهيلي يقدم لنا مثار الغلط في هذه المسألة فيقول: " فإن قيل: فمن أين مثار الغلط في هذه المسألة من العلماء؟ وكيف غاب ما قلتموه عن بعض الجلة القدماء كالبلقاني ومن تبعه من الأشعرية، وهم أرباب التحقيق والمؤيدون بالتسديد والتوفيق؟ والجواب: إن مثرات الغلط في ذلك كثيرة، منها شبهة داخلية في النظر، ومنها ظواهر من القرآن والأثر، وأبيات من كلام العرب خفي المقصد فيها عن كثير من أهل البصر، ولا توفيق إلا بالله."⁵ " فقد حصص الحق وانحسم الإشكال، وآل المعنى إلى أن اسمه - سبحانه وتعالى - إذا تلقبته من كلامه فلا تقل: هو هو، ولا تقل، هو غيره، لأنه حينئذ من (كلامه القديم، وإذا تلقبته من) كلام غيره فهو لا محالة غير المسمى، إذاً الاسم كلمة، فحكمها حكم الكلام الذي هي منه، والقائل أن الاسم هو المسمى على الإطلاق مخالف لمذاهب

1 - نفسه، ص ٣١.

2 - نفسه، ص ٣١.

3 - نفسه، ص ٣٢.

4 - نفسه، ص ٣٢.

5 - نفسه، ص ٣٢.

أهل السنة، لأنّ أصلهم في الكلام أن لا يقال: هو هو.^١ ويقول: " وقد قال هذا في الاسم أنّه، المسمى هو المتكلم بالكلام، الذي الاسم كلمة منه، فقد قال مالا يقوله أحد، لأنّه لم يذهب أحد الناس إلى أنّ الكلام هو المتكلم، فلا هو مع المعتزلة ولا (هو) مع السنة. وأصلنا المتقدم موافق للغة، موافق لمذهب أهل السنة، مخالف لمذهب المعتزلة، لأنّهم يقولون بقدّم الكلام، فالاسم على مذهبهم هو المسمى، كان من كلام الخالق أو من كلام المخلوق، وهذا باطل وبدعة، نعوذ بالله منها، فقد حصص الحق، وتبين القصد، والحمد لله.^٢

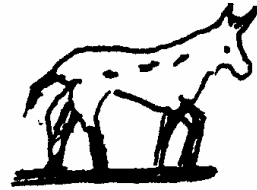
II. دراسة ما قاله الإمام السهيلي من منظور الدرس اللغوي الحديث:

أ- طبيعة الدليل اللغوية: يستعمل للتعبير عن الدليل اللغوي ثلاث مصطلحات هي: الإشارة Signe والمدلول Signified والدال Signifier. ويعد بعض الناس اللغة ألفاظ وكل لفظة تدل على الشيء الذي تسميه. فعلى سبيل المثال:

شجرة



فرس

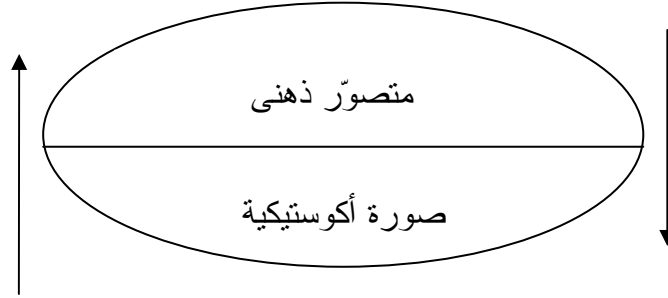


وفي نظر دي سوسور " إنّ الدليل اللغوي لا يجمع بين شيء واسم بل بين متصوّر ذهني وصورة أكوستيكية وليست الصورة الأكوستيكية هي الصوت المادي أي ذلك الأمر الفيزيائي المحض بل هي الأثر النفسي لهذا الصوت أي الصورة التي تصوّرها لنا

1 - نفسه، ص ٣٣.

2 - نفسه، ص ٣٣.

حواسنا، وهي صورة حسية وان صادف أن نعتناها فقلنا إنها " مادية " فبالمعنى الذي ذكرناه فقط وللمقابلة بينها وبين الطرف الآخر من عملية الترابط أي المتصور الذهني، وهو غالباً ما يكون أبعد في التجريد.¹ ويقول: " وبما أن الكلمات التي منها تتكوّن اللّغة هي بالنسبة إلينا صور أكوستيكية وجب علينا أن نتجنّب الحديث عن الصواتم، التي تتكوّن منها الكلمات. وذلك المصطلح يتضمّن معنى العمليّة الصوتية ولا يوافق إذن إلاّ الكلمة المنطوقة ولا ينطبق إلاّ على انجاز الصورة النفسية في صلب الخطاب. أما إذا استعملنا كلمتي الأصوات والمقاطع التي تتكوّن منها كلمة ما فإننا نتجنب الوقوع في هذا الالتباس شريطة أن لا يغيب عنا أنّ الأمر يتعلق بالصورة الأكوستيكية.² فالدليل اللّغوي إذن كيان نفسي ذو وجهين يمكن تمثيله بالشكل التالي:

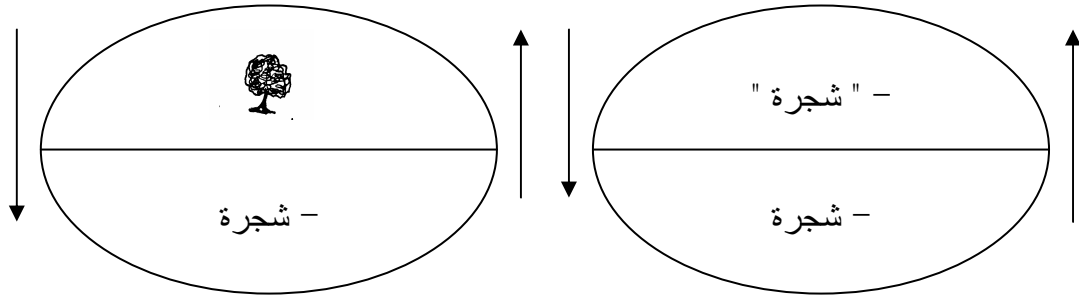


وهذان العنصران ملتحمان تماماً شديداً ويستدعي وجود أحدهما وجود الآخر. وسواء بحثنا عن معنى الكلمة العربيّة شجرة أو عن الكلمة التي تشير بها اللّغة العربيّة إلى المتصور "شجرة" فمن الواضح أنّ التقريبات التي شاعت واطّردت في اللّغة هي التي تبدو لنا دون سواها مطابقة للواقع بينما نطرح كل تقريب يمكن أن نتخيله نحن طرحاً:♥

¹ - ينظر، صالح القرمادي، محمد الشاوس، محمد عجيبة، دروس في الألسنية العامة، الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٥، ص ١١٠.

² - نفسه، ص ١١٠.

♥ - ينظر، نفسه، ص ١١٠-١١١.



وبئير هذا التعريف مشكلة هامة تتعلق بالمصطلحات فقد أطلقنا كلمة *signe* أي دليل على التوليف بين المتصور الذهني والصورة الأكوستيكية. لكن هذه الكلمة أي دليل غالباً ما تطلق في الاستعمال الشائع على الصورة الأكوستيكية وحدها مثل (شجرة الخ...) وذلك لأنه يغيب عن أذهاننا أن شجرة لم تسمّ دليلاً إلا من حيث أنها تضمّ المتصور الذهني " شجرة " بصورة تجعل فكرة الجزء الحسي متضمنة لفكرة المجموع.

ويزول الالتباس إن نحن أطلقنا على هذه المفاهيم الثلاثة المذكورة هنا أسماء يدعو بعضها بعضاً، مع تقابلها. فنقترح الاحتفاظ بكلمة دليل للدلالة على المجموع وتعويض المتصور الذهني — *signifié* أي مدلول والصورة الأكوستيكية — *signifiant* أي دال وللمصطلحين الأخيرين فضل إبراز التقابل الذي يفصل بينهما أو بينهما وبين المجموع الذي ينتميان إليه. أما *signe* (أي دليل) فهو مصطلح أن نحن رضينا به فلأننا لم نجد له بديلاً نعوضه به فيما هو مستعمل من الكلام.¹

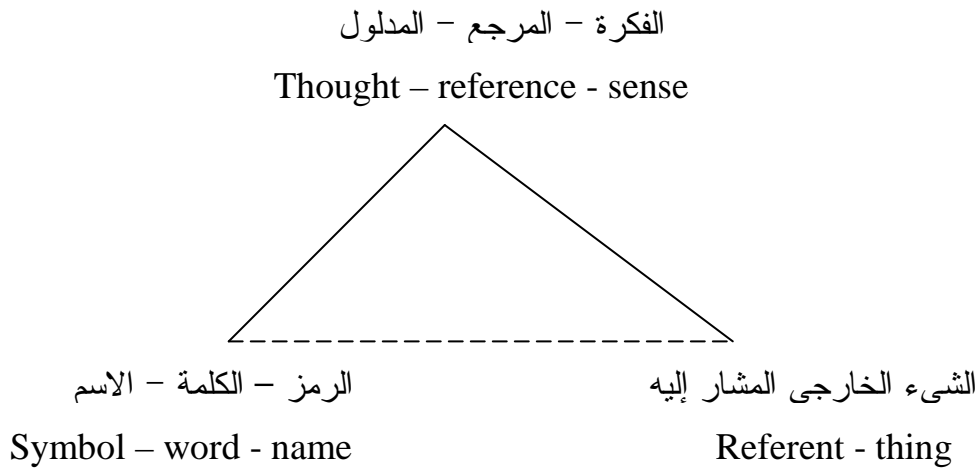
طرح دي سوسور سؤالاً على شكل ملاحظة عابرة في قوله: " ينبغي أن يتساءل أصحاب علم الدلائل *sémiologie* عندما ينتظم أمره: إن كانت طرق التعبير التي تقوم على دلائل طبيعية صرفة - كالتعبير الكلي بالإشارات - هي من مشمولات علمهم الشرعية أم لا. فإذا افترضنا أنه يشملها فإنّ موضوعه الأساسي سيبقى لا محالة مجموع الأنظمة القائمة على اعتبارية الدليل. وبالفعل فإنّ كل وسيلة من وسائل التعبير يرثها المرء في مجتمع من المجتمعات تعتمد مبدئياً على عادة جماعية أو بعبارة مرادفة على التواضع. فالإشارات الدالة على آداب السلوك مثلاً وهي محمّلة غالباً بصيغة تعبيرية طبيعية (ألا ترى أنّ الصينيين مثلاً إذا حيوا أباطرتهم سجدوا لهم تسعاً) تبقى لا محالة مضبوطة بقاعدة { جماعية }، والذي يفرض استعمال تلك الإشارات هو هذه القاعدة وليس قيمة تلك

¹ - نفسه، ص ١١١.

الإشارات في حدّ ذاتها. فنستطيع أن نقول إذن: إنّ الدلائل المتصفة بالاعتباطية التامة تؤدي أحسن من غيرها العملية الدلالية في أمثل صورة لها. ولذلك كانت اللّغة وهي أكثر أنظمة التعبير تعقداً وأوسعها انتشاراً هي أيضاً أشدّها تمثيلاً للخصائص الدلالية. وفي هذا المعنى يمكن للألسنية أن تصبح منوالياً عاماً لكل علم لدلائل رغم أنّ اللّغة ليست سوى نظام خاص من بين هذه الأنظمة الدلالية.¹

هذا ما يقوله أب اللسانيات دي سوسور وكما نلاحظ فهو نفس الكلام الذي قال به الإمام السهيلي.

ب- النظرية الإشارية: كان أوجدن وريتشاردز في كتابهما المشهور The Meaning of Meaning أول من طور ما يمكن أن يسمى بالنظرية الإشارية Referential theory (أو denotational)، التي أوضحها بالمثلث الآتي:²



• مفهوم النظرية الإشارية: تعني النظرية الإشارية " أنّ معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها. وهنا يوجد رأيان:

أ- رأي يرى أنّ معنى الكلمة هو ما تشير إليه.

ب- رأي يرى أنّ معناها هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه.

ودراسة المعنى على الرأي الأول تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبيين من المثلث، وهما جانباً الرمز والمشار إليه، وعلى الرأي الثاني تتطلب دراسة الجوانب الثلاثة، لأنّ الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة، أو الصورة الذهنية.³

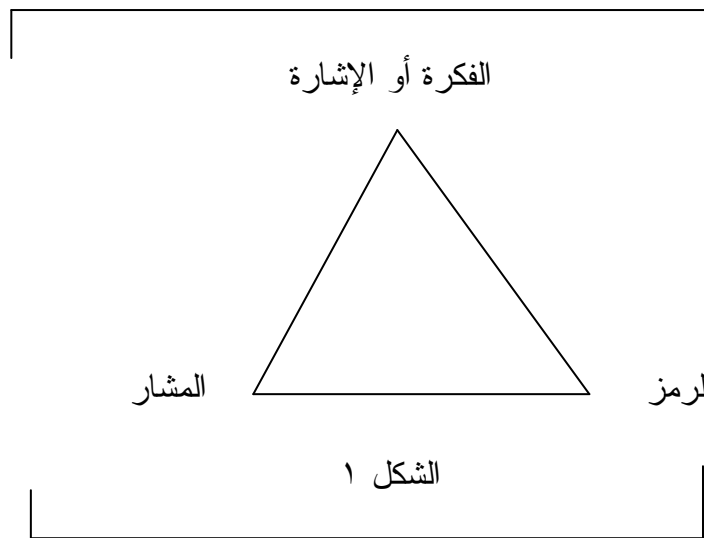
1 - نفسه، ص ١١٣.

2 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٥٤.

3 - نفسه، ص ٥٥.

❖ رأي السهيلي: وهنا نصنف الإمام السهيلي في الرأي الثاني فهو يقول إن: " الاسم كلمة، فحكمها حكم الكلام الذي هي منه". و يقول أيضاً: "الاسم: الذي هو "السين" و" الميم" عبارة عن اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى: هو الشيء الموجود في العيان - إن كان من المحسوسات - كزيد وعمر، وفي الأذهان، إن كان من المعقولات - كالعلم والإرادة. فذلك الموجود الذي في العيان أو الموجود الذي في الأذهان وضعت له عبارة في اللسان. بما يترجم عنه، ويتوصل إلى فهمه والكشف عن حقيقته، ثم ذلك الشيء المعبر عنه - وهو الشخص مثلاً- كما استحق بأن يكون له عبارة بين المتخاطبين يترجمون بها عنه، وهي "الزاي" و"الياء" و"الدال" من قولك "زيد" مثلاً، فكذا استحق هذا اللفظ المؤلف من هذه الحروف أن يعبر عنه بعبارة أخرى يعبر بها عنه، لأنه شيء موجود في اللسان، مسموع في الأذان."¹

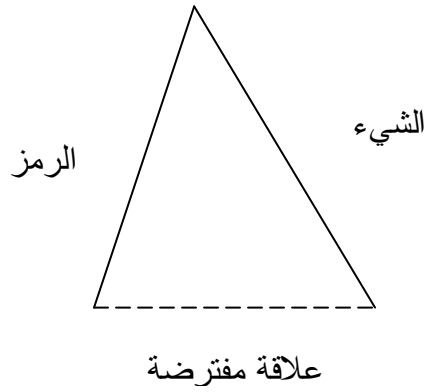
❖ رأي سوسور: وطبقاً إلى سوسور " كما رأينا، تتألف الإشارة اللغوية من الدال والمدلول، وهما بتعبير أدق، الصورة الصوتية والفكرة، وكلاهما مرتبط بعقد نفسي. فالأصوات التي نطقها وأشياء العالم التي نتحدث عنها تتعكس بشكل ما بالمفاهيم العقلية. ❖ رأي أوجدن ورتشاردز: أما أوجدن ورتشاردز (١٩٢٣) فإنهما يريان العلاقة مثلثاً (الشكل ١). الرمز هو العنصر اللغوي - الكلمة أو الجملة... والمشار (بفتح الميم) هو الشيء ... تقول النظرية، ليس هناك ارتباط مباشر بين الرمز والمشار (بين اللغة والعالم أو يمر الربط عبر الفكر إذ الإشارة أي عبر مفاهيم عقولنا."²



¹ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٣٠.

² - ينظر، أف. آر. بالمر، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، جامعة المستنصرية، ١٩٨٥، ص ٣١.

" وحيثما تكون كلمة فهناك مفهوم وسيكون المفهوم معنى تلك الكلمة. وهذا بوضوح تعريف " دائري" تماماً للمعنى. أنه يتضمن ما نسميه أحياناً بنقاش " الشبح في الماكينة " ¹ ويقدم لنا ستيفن أولمان رسم آخر ويقول: " والنقطة الجوهرية في هذا الرسم البياني، الذي قد بسطناه إلى حد ما، هي أنه ليست هناك علاقة مباشرة بين الكلمات والأشياء. ومن ثم وضعت النقط لتدل على " علاقة مفترضة "، إذ لا يوجد طريق مباشر قصير بين الكلمات وبين الأشياء التي تدل عليها هذه الكلمات: فالدورة يجب أن تبدأ عن طريق الفكرة أو الربط الذهني، أي عن طريق المحتوى العقلي الذي تستدعيه الكلمة والذي يرتبط بالشيء. ولقد كانت هذه الصورة معروفة بالفعل لدى فلاسفة العصور الوسطى. ² ولم أجد عند السهيلي الحديث عن العلاقة المفترضة، إنما عنده ذلك تابع لنظام لغوي متفق عليه بين المتكلم والمخاطب.



يقول أولمان: " ونستطيع بعد ذلك أن نبسط المصطلحات نفسها وأن نجعلها ذات صيغة لغوية صرفة. ولعل أبسط طريقة في ذلك هي أن نستعمل مصطلحين بالذات من جملة المصطلحات المتعددة التي يمكن أن تتناوب في هذا المقام وتناسبه. هذان المصطلحان هما (اللفظ) بدلاً من (رمز) و (المدلول) بدلاً من (فكرة) أو (ارتباط ذهني). سوف نعرف (اللفظ) حينئذ بأنه الصيغة الخارجية للكلمة، وأما (المدلول) فهو الفكرة التي يستدعيها اللفظ. ³ وهذا بالضبط ما يقوله السهيلي.

1 - نفسه، ص ٣٣.

2 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٧٧.

3 - نفسه، ص ٧٨ - ٧٩.

I. الإشارة عند الإمام السهيلي: ويقول الإمام السهيلي: "... وخصت الذال بهذا المعنى لأنها من طرف اللسان، والاسم المبهم مشار إليه، فالمتكلم يشير نحوه بلحظه أو بيده، ويشير مع ذلك بلسانه، لأنّ الجوارح خدّم القلب، فإذا ذهب القلب إلى الشيء ذهاباً معقولاً ذهبت الجوارح نحو ذلك الشيء ذهاباً محسوساً. والعمدة في الإشارة في هذا الموطن على اللسان، ولا يمكن إشارة اللسان إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان، التي هي آلة الإشارة دون سائر أجزائه، فليس إلا الذال أو التاء، فأما التاء فمهموسة رخوة، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان، والذال مجهورة فخسه بالإشارة إلى المذكر، وخصت التاء (بالإشارة إلى المؤنث) للفرق بينهما."¹

"وكانت اللام أولى بهذا الموطن حين أرادوا الإشارة إلى البعيد، فكثروا الحروف حين كثرت مسافة الإشارة، وقللوا حين قلت، لأنّ اللام قد وجدت في كلامهم توكيداً، وهذا الموطن (موطن توكيد، وقد وجدت بمعنى الإضافة للشيء، وهذا الموطن) شبيه به، لأنك إذا أومأت على الغائب بالاسم المبهم، فأنت تشير إلى من تخاطب ومقبل عليه لينظر إلى من تشير، إما بالعين وإما بالقلب، ولذلك جنّت بالكاف للخطاب فكأنك تقول له: لك أقول، أو: لك أرمز بهذا الاسم."² "قلنا: معنى الإشارة تدل عليه قرائن الحال من الإيماء باللحظ واللفظ الخارج من طرف اللسان وهيئة المتكلم، فقامت تلك الدلالة مقام التصريح بلفظ الإشارة، لأنّ الدال على كلام النفس إما لفظ وإما إشارة وإما حق، فقد جرت الإشارة مجرى اللفظ، فلتعمل فيما عمل فيه اللفظ - وإن لم تقو قوته - في جميع أحكام العمل."³ "فإذا عرفت المخاطب ما الذي تشير إليه فحينئذ فانعته إن شئت أو لا تنعته إن شئت أو لا تنعته، ولا معنى لوصف "هذا" و"ذلك" بصفة مضافة، وهو إشارة كالإشارة باليد والرأس، حتى يذكر المشار إليه."⁴ "وأما "أن" التي للتفسير فليست مع ما بعدها في تأويل المصدر، ولكنها تشارك "أن" التي تقدم ذكرها في بعض معانيها، لأنها تحصين لما بعدها من الاحتمالات، وتفسير لما قبلها من المصادر المجملات، التي في معنى المقالات والإشارات، ولا يكون تفسيراً إلا لفعل في معنى التراجم الخمس الكاشفة عن كلام النفس، لأنّ الكلام القائم في النفس والغائب عن الحواس في الأفتدة، تكشفه

¹ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ١٧٧.

² - نفسه، ص ١٧٨.

³ - نفسه، ص ١٧٩.

⁴ - نفسه، ص ١٦٨.

للمخاطبين خمسة أشياء: اللفظ، والخط، والإشارة، والعقد، والنصب، وهي لسان الحال، وهي أصدق من لسان المقال.¹ ولمزيد من المعلومات عن الإشارة يمكن النظر في مسألة المبهمات التي فيها يوضح لنا الإمام السهيلي مكانة الإشارة في الاستعمال اللغوي. حيث يقول في المبهمات: "والمبهم نحو: هذا وهذان" تسميتهم هذه الأسماء المبهمة، مأخوذة من "أبهمت الباب"، إذا أغلقته. و"استبهم عليّ الجواب"، أي: استغلق. وكذلك هذه الأسماء إنما وضعت في الأصل لما استبهم على المتكلم اسمه، أو أراد هو إبهامه على بعض المخاطبين دون بعض، فاكتفى بالإشارة إليه، أو كانت الإشارة إليه أبين من اسمه عند المخاطب.² "وقد قالوا: لمن الدار مفتوحا بابها" فاعملوا في الحال معنى "انظر"، ودل عليه التوجه إليه من المتكلم بوجهة نحوها، فكذلك: (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) وهذا أقوى في الدلالة لاجتماع اللفظ مع التوجه.³ وفي الحقيقة لا يجب أن نغفل أن الإمام السهيلي قد قام بدراسة الإشارة من الناحية النحوية لتبين نظرية العامل، ولم يهتم بالدلالة إلا لإيمانه بأن النحو لا يكون من دون المعنى. كما يقول عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز.

II. الإشارة في ضوء علم اللغة الحديث:

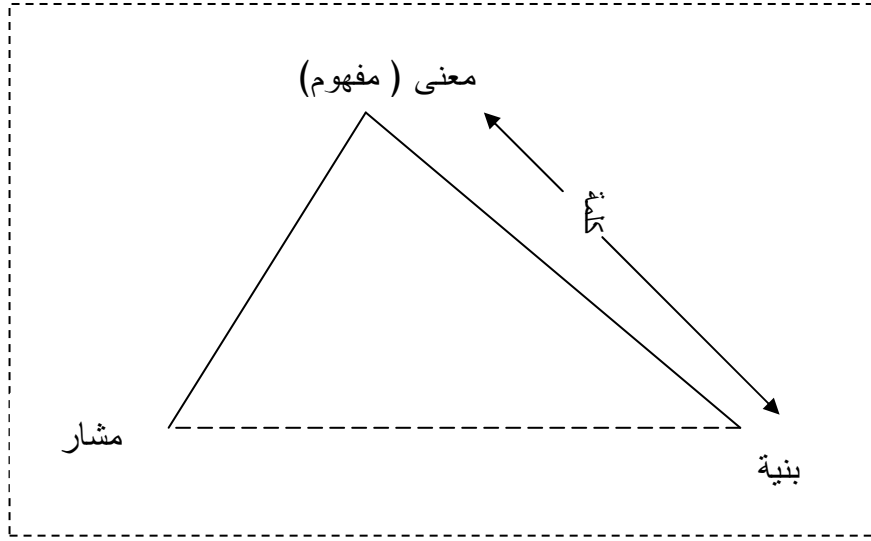
أ- الإشارة **Reference** من المفيد هنا تقديم مصطلح حديث لـ (الأشياء) بقدر ما تسمى أو يرمز إليها بالكلمات. وهذا المصطلح هو المشار **referent**. سنقول أنّ العلاقة التي تربط بين الكلمات والأشياء (مشاراتها) هي علاقة إشارة: الكلمات تشير إلى الأشياء (بدلاً من القول أنّها ترمز إلى الأشياء أو تسميها). وبتحديد الفرق بين بنية المعنى والمشار، نستطيع أن نعطي الصورة التوضيحية المألوفة للنظرة التقليدية للعلاقة بينهما بواسطة مثلث الإشارة في الشكل السابق أنّ الخط المتقطع بين البنية والمشار يعني أنّ العلاقة بينهما غير مباشرة: أي أنّ البنية ترتبط بمشارها عن طريق المعنى (المفهومي) الوسيط المتعلق بكليهما بصورة مستقلة. ويوضح هذا الشكل أهمية أنّ الكلمة في النحو التقليدي تنتج من دمج بنية معنية بمعنى معين⁴ وهذا ما ذهب إليه السهيلي.

1 - نفسه، ص ٩٨.

2 - نفسه، ص ١٧٧.

3 - نفسه، ص ١٧٩.

4 - جون لاينز، علم الدلالة، ص ١٥.



- المثلث الإشاري -

ب- التصرف اللغوي: " أهمية التصرف اللغوي Relevance of non-linguistic behaviour من المفيد استنتاج بعض المضامين إلا بعد من مبدأ الاختيار على أساس هذا المثال المبسط. فقبل كل شيء أنّ التفوهات تتفاعل وربما تتناقض دلاليًا مع التصرف اللغوي (مثل الصمت وتعابير الوجه والإشارات). فرغم أنّ التفوه How do you do إجباري بحد ذاته "1 وقد مثل لذلك الإمام السهيلي بما فعله الرسول ﷺ وقد ذكرنا ذلك.

ج - مكانة اللغة بين الحقائق البشرية: علم الإشارات (Semiology): " إنّ المميزات اللغوية التي مرّ ذكرها تبين صفة أخرى أكثر أهمية، وهي أنّ اللغة بعد أن تحدد معالمها من بين معطيات اللسان، يمكن أن تصنف بين الظواهر البشرية في حين لا يمكن تصنيف اللسان. لقد رأينا أنّ اللغة نظام اجتماعي، وهنا تدخل في الحسبان أمور أخرى عدا الأنظمة السياسية والقانونية وغيرهما، إذ يجب علينا أن نستعين بصنف بين جديد من الحقائق لنلقي الضوء على الطبيعة الخاصة للغة. فاللغة نظام من الإشارات System of signs التي تعبر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند فاقد السمع والنطق، أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة، ولكنها أهمها جميعاً. فالكتابة - مع أنّها لا تمت بصلة إلى النظام الداخلي للغة - تستخدم كثيراً لتمثيل اللغة أو التعبير عنها. إذن لا يمكن إهمال الكتابة، بل يجب أن نلم بفوائدها وعيوبها ومخاطرها. ويمثل لنا أف. آر. بالمر الإشارة

1 - نفسه، ص ٢٨ - ٢٩.

في قوله: " الكرسي شيئاً نجلس عليه، وليس قطعة أثاث. إنّ التأشير إلى الشيء يتضمن بحد ذاته تحديد الشيء وتحديد خواصه التي تجعله كرسيّاً أو منضدة. وأنّه يتطلب فهماً معقداً وربّما حتى فهم التصنيف الكلي باللّغة المعينة. وكما يعلق ويقول الفيلسوف وتجنشتاين: " يجب أن أكون متمكناً من اللّغة لكي أفهم التعريف الإشاري."¹

د - تمثيل اللّغة بوساطة الكتابة: تكوّن اللّغة والكتابة نظامين من أنظمة الدلائل. ولا مبرر لوجود الكتابة سوى تمثيل اللّغة. وموضوع الألسنية لا يتحدد في كونه نتيجة الجمع بين صورة الكلمة مكتوبة وصورتها منطوقة، بل ينحصر هذا الموضوع في الكلمة المنطوقة فقط (إلاّ أنّ الكلمة المكتوبة - وما هي إلاّ صورة الكلمة المنطوقة - تمتزج وإياها امتزاجاً عميقاً ينتهي بها إلى اغتصاب الدور الأساسي حتى أنّ الأمر يؤول بالناس أن يعبروا صورة الدليل الصوتي في الخط أهمية تساوي بل تفوق أهمية الدليل نفسه. ومثلهم في ذلك كمثل المرء يريد معرفة أحد الأشخاص فيتصور أنّ أفضل طريقة لذلك هي أن ينظر إلى صورته الفوتوغرافية بدل النظر إلى وجهه."² وقد أشار الإمام السهيلي إلى الكتابة بمصطلح "الخط" كما ذكرناه سابقاً.

والحديث عن الدال والمدلول والدليل والإشارة يطول، وخاصة مع تداخل المصطلحات؛ وعليه أضفت ما قدمه الدكتور عبيد عبد الرزاق في هذا الأمر حيث وضع ترسيمة جمع

¹ - أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ص ٣٠.

² - صالح القرماضي، محمد الشاوس، محمد عجينة، دروس في الألسنية العامة، ص ٤٩.

فيها كل هذه المصطلحات:

(المدلول)

Interprétant (Peirce)

Référence (Ogden-Richards)

Sens(Frege)

Intention (Carnap)

Designatum (Morris;1938)

Significatum (Morris; 1944)

Signifié (Saussure)

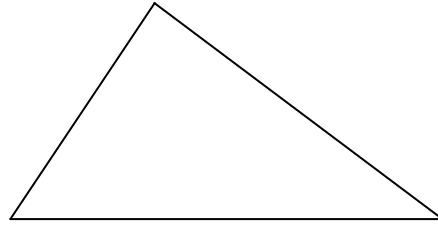
Concept (Saussure)

Connotation (Stuart Mill)

Image mentale (Saussure)

Contenu (Hjelmslev)

État de conscience (Buysens)



(الدال)

Signe (Peirce)

Symbole (Ogden – Richards)

Véicule du signe (Morris)

Expression (Hjelmslev)

Representaen (Buysens)

Signifiant (Saussure)

(المدلول عليه)

Objet (Peirce)

Denotatum (Morris)

Bedeutung (Frege)

Dénotation (Russell)

Extention (Carnap)

* - ينظر، عبد الرزاق عبيد، الحقول الدلالية في المعاجم العربية (فقه اللّغة) للثعالبي (أنموذجاً)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في علم المعاجم، قسم اللّغة العربية وآدابها، الجزائر، ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦، ص ١٦٢.

I. التطور الدلالي عند الإمام السهيلي:

١ - **المجاز والاستعارة:** يقول الإمام السهيلي: " ... إلا أن تكون ألفاظ قد أدخلت في هذا الباب بوجه من المجاز، فنجد مصادرهما مخالفة لهذا الأصل في وزنها أو شيء من أحكامها، وليس ذلك إلا لنقلها بالاستعارة والمجاز عن أصل موضوعها، لقولهم: شرف الرجل شرفاً، ولم يقولوا: شرفاً، كقولك: جمالاً وكمالاً ولا: شرافة، كقولك: جلالة، لأن الشرف رفعة في الآباء." ويقول جاسم محمد عبد العبود " أي أنّ الاستعارة قد تغيّر كلمة تنتمي إلى مجال دلالي أو حقل دلالي عن طريق إخفاء معنى جديد على تلك الكلمة واستشهاد ذلك المعنى الجديد ونسيان المعنى القديم الذي كان يؤهل ذلك اللفظ إلى الانخراط في ذلك الحقل الدلالي القديم وانصياع اللفظ باستعارته الجديدة إلى حقل دلالي جديد.^٢

٢ - **تعدد المعاني:** ويقول الإمام السهيلي في **تعدد المعاني:** " وإنّا حكمنا باختلاف المعاني في هذه الوجوه الثلاثة، من حيث اختلف اللفظ فيها، لأنّ الأصل ألا يختلف لفظان إلا لاختلاف معنى، ولا يحكم باتحاد المعنى مع اختلاف اللفظ إلا بدليل.^٣ " ويقول في معنى العين: " جاءني عينه"، فالعين هنا يراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان، أو ما يقوم مقام العيان، وليست اللفظة على أصل موضوعها، لأنّ أصلها أن تكون مصدراً وصفة لمن قامت به، ثم عبّر عن حقيقة الشيء بالعين، كما عبّر عن الوحش بالصيد، وإنّما الصيد في أصل موضوعه مصدر، من " صاد يصيد". ومن هاهنا لم ترد في الشريعة عبارة عن نفس الباري سبحانه، لأنّ نفسه - سبحانه - غير مدركة بالعيان في حقنا اليوم، وأما عين القبلية وعين الذهب وعين الميزان، فراجعة إلى هذا المعنى. وأما العين الجارية فشبيهه بعين الإنسان لموافقته لها في كثير من صفاتها، وأما عين الإنسان فمسماة بما هو أصله أن يكون صفة ومصدراً، لأنّ العين في أصل الوضع مصدر كالزينة والدين والبين والأين وما جاء على بنائه، ألا تراهم يقولون: " رجل عيون وعائن" ويقولون: " عنته": أصبته بالعين (و: "عابنته: رأيتَه) (بالعين)، فرقوا بين المعنيين، وجاء: " عابنته " على وزن " فاعلته"، لأنه يتضمن معنى قابلته، لأنّ الرؤية في العادة لا تكون إلا مع مقابلة، بخلاف رؤية الباري سبحانه، ولذلك تقول في الباري تعالى: " رأى"، ولا تقول: " عاين"، لتقدسه

١ - نفسه، ص ٢٥١.

٢ - جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٢٠٧.

٣ - نفسه، ص ١٦٧.

عن معنى قابل". ومما يدل ذلك (أيضاً) أنها مصدر في الأصل قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^١ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾^٢، فكما أن العمل المضاف إلى اليقين مصدر وصفة فكذاك العين. وإذا ثبت هذا فالعين التي هي (الجارحة سميت عيناً لأنها آلة ومحل لهذه الصفة التي هي) العين، وهذا من باب قولهم: " امرأة ضعيف وعدل"، وهو تسمية الفاعل بالمصدر، والعين - التي هي حقيقة الشيء ونفسه - من باب تسمية المفعول بالمصدر كصيد. فإذا علمت هذا فاعلم أن العين إذا أضيفت إلى الباري - سبحانه - كقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنِيَّ وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾^٣ فهي حقيقة لا مجاز، كما توهم أكثر الناس، لأنها صفة في معنى الرؤية والإدراك، وإنما المجاز في تسمية العضو بها، وكل شيء يوهم الكفر والتجسيم فلا يضاف إلى الباري حقيقة ولا مجازاً، ألا ترى كيف (كفر) الرومية النصارى حين قالوا في عيسى عليه السلام: " إنه ولد، على المجاز لا على الحقيقة" فكفروا ولم يعذروا ألا ترى كيف لم يصف - سبحانه - إلى نفسه ما هو في معنى عين الإنسان كالمقلة والحدقة حقيقة ولا مجازاً، نعم ولا لفظ الإبصار، لأنه لا يعطي معنى البصر والرؤية مجرداً، ولكنه يقتضي مع معنى البصر معنى التحديق والملاحظة ونحوهما، (وكذلك لا يضاف إليه سبحانه شيء من آلات الإدراك كالأذن ونحوها)، لأنها في أصل الوضع عبارة عن الجارحة لا عن الصفة التي هي آلة لها، فلم ينتقل لفظها إلى الصفة، أعني السمع مجازاً ولا حقيقة، إلا أشياء وردت على جهة المثل، مما يعرف بأدنى نظر أنها أمثال مضروبة، نحو قوله في الحجر الأسود: "يمين اللع في الأرض"، و" قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن"، وأشبه ذلك مما عرفت العرب المراد به بأول وهلة. وأما اليد فهي عندي في أصل الوضع كالمصدر عبارة عن صفة لموصوف، ألا ترى قول الشاعر:

يديت على ابن حساس بن عمرو بأسفل ذي الجذاة يد الكريم.^٤

" وقد تقدم أن الزوائد في الأفعال والأسماء موازية للمعاني الزائدة على معنى الكلمة، فإن كان المعنى الزائد مترتباً قبل المعنى الأصلي، كان الحرف الزائد قبل الحروف

١ - التكاثر، الآية: ٧.

٢ - التكاثر، الآية: ٥.

٣ - طه، الآية: ٣٩.

٤ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

الأصلية، كالنون في انفعال، وكحروف المضارعة في بابها، وإن كان المعنى الزائد على الكلمة آخرًا كان الحرف الزائد على الحروف الأصلية) آخرًا، كعلامة التأنيث وعلامة التثنية.^١ ويقول في "علمت وضننت وشككت": "وهم إنما يريدون إعلام المخاطب بلأنّ هذا الحديث معلوم، فكان إعمال "علمت" فيه ونصبه له إظهاراً لتشبيها، ولم يكن عملها في أحد الاسمين أولى من الآخر، فعلمت فيهما معاً. وكذلك "ظننت"، لأنّه لا يتحدث بحديث حتى يكون عند المتكلم إما مظنوناً وإما معلوماً، فإن كان مشكوكاً فيه أو مجهولاً عنده لم يسغ له الحديث، فمن ثم لم يعملوا "شككت" ولا "جهلت فيه ظننت وعلمت، لأنّ الشك تردد بين أمرين من غير اعتماد على أحدهما، ومن ثم تعدى الشك بحرف" في " لأنه مستعار من "شككت الحائط بالمسمار".^٢ ويقول في "الفكر والعلم": "وأما الفكر فهو كالعلم لقربه منه في معناه، ومشاركته له في محله، وليس باسم عند سيبويه، ولذلك منع من جمعه فقال: لا يجمع الفكر على أفكار، حملة على المصادر التي لا تجمع."^٣ ويقول في أصل رمضان: "واعتال بعضهم في ذلك برواية منحولة إلى ابن عباس رضي الله عنه أن رمضان اسم من أسماء الله تعالى، ولذلك أضيف إليه الشهر، وبعضهم يقول: إن رمضان من الرمضاء، وهو الحر، وتعلق الكراهية بذلك، وبعضهم يقول: إنما (هذا) استحباب واقتداء بلفظ القرآن".^٤ فكما نلاحظ فتعدد المعاني يكون بالمجاز والاستعارة. ويقول الإمام السهيلي في تقارب الحروف والأسماء الضارعة لها: "ولا غرو أن يتقارب معنى الحرف من معنى الاسم المشتق المتمكن في الكلام، فهذه "ثم" حرف عطف، ولفظها كلفظ الثم هو: رم الشيء بعضه إلى بعض، كما قال: "كنا أهل ثمة ورمة"، ويروي "أهل ثمة ورمة" وأصله من ثمت البيت: إذا كانت فيه فرج فسد بالثمام، وقال شاعر: وأما الرياح فقد غادرت روادك واستمتعت بالثام والمعنى الذي في "ثم" العاطفة قريب من هذا، لأنّه ضم الشيء إلى شيء بينهما مهلة، كما أنّ ثم البيت: (ضم بين شيئين بينهما فرجة). ومن تأمل هذا المعنى في الحروف والأسماء المضارعة لها، ألفاه كثيراً، والله - تعالى - المستعان^٥ ويقول في

١ - نفسه، ص ٢٥٢.

٢ - نفسه، ص ٢٦٢.

٣ - نفسه، ص ٢٨٣.

٤ - نفسه، ص ٢٩٤.

٥ - نفسه، ص ٩٢.

مسألة (لأن ولن): في حديثه عن " لما " يقول: " وقد زعم الفارسي أنها مركبة من " لم " و " ما " وما أدري ما وجه قوله، وهو عندي من الحروف التي في لفظها شبه من الاشتقاق، وإشارة إلى مادة هي مأخوذة منها نحو ما تقدم في " سوف " و " ثم "، لأنك تقول: " لمت الشيء لماً"، لأنه ربط فعل بفعل على جهة التسبيب أو التعقيب، فإذا كان التسبيب حسن إدخال أن بعدها زائدة إشعاراً بمعنى المفعول من أجله، وإن لم يكن مفعولاً من أجله¹ ويقول في مفهوم الصلاة: " الصلاة كلها - وإن توهم اختلاف معانيها - راجعة في المعنى " والاشتقاق إلى أصل واحد، فلا تظنها لفظة اشتراك ولا استعارة إنما معناها كلها الحنو والعطف،² فلقد تطور مصطلح الحنو والعطف إلى مصطلح الصلاة، ويقول إن هذا ليس من الإشتراك اللفظي أو الاستعارة، فهو تطور في المصطلح، ويقول: " وقد قدمنا أن الألفاظ مشاكلة للمعاني التي هي أرواحها، يتفرس العاقل فيها حقيقة المعنى بطبعه وحسه، كما يتعرف الصادق للفراسة صفات الأرواح في الأجساد بنحيزة نفسه. فحرف " لا ": لام بعدها ألف، يمتد بها الصوت ما لم يقطعه تضيق النفس، فإذا امتداد لفظها بامتداد معناها، و " لن " بعكس ذلك، فتأمله فإنه معنى لطيف، وغرض شريف، ألا ترى كيف جاء في القرآن البديع نظمه، الفائق على كل العلوم، بحرف " لا " في الموضع الذي اقترن فيه حرف الشرط بالفعل فصار من صيغ العموم...³ " وهنا يدعوننا إلى التأمل في الألفاظ والحروف، والمعاني ويقول إن الألفاظ مشاكلة للمعاني التي هي أرواحها.

II. دراسة التطور الدلالي عند الإمام السهيلي في ضوء علم اللغة الحديث:

أ- مفهوم الإتمولوجيا Etymology: ليس الإتمولوجيا علماً قائماً بذاته، ولا جزء من علم اللغة التطوري. بل هو تطبيق خاص للمبادئ التي تربط بين الحقائق السنكرونية والدايكرونية. فهو يرجع إلى تأريخ الكلمات ليجد ما يفسرها. وإن الحديث عن أصل الكلمة وأنها " جاءت من كلمة مسألة قد تعني أشياء كثيرة: فالكلمة الفرنسية Sel تتحدر من الكلمة اللاتينية SaI بمجرد تغير طراً على الأصوات، وكلمة Labourer وهي كلمة من الفرنسية القديمة تدل على "مطلق العمل" بحدوث تغير طراً على المعنى وحده. وكلمة Couver " تتحدر من الكلمة اللاتينية Cubare " بمعنى " كان مستلقياً " وحدث تغير طراً على المعنى والصوت معاً: وإننا عندما نقول إن pommier " تتحدر من Pomme "

1 - نفسه، ص ٩٨.

2 - نفسه، ص ٤٧.

3 - نفسه، ص ١٠١.

فنحن نشير إلى وجود علاقة اشتقاقية نحوية.^١ ويقول بالمر: الإيتيمولوجيا: "وإضافة إلى الدراسة العلمية لتغير المعنى، فمن الحقائق الواضحة أنّ الناس مهتمون بالإيتيمولوجيا (التّأصيل) أي اكتشاف المعاني السابقة للكلمات، أو (إذا التزمنا بالمعنى الأصلي لكلمة إيتيمولوجيا) اكتشاف المعاني الحقيقية. والواقع فإنّ القواميس تحاول أن تشبع هذه الرغبة على الأقل، باقتباس أحدث أصل لكل كلمة. ويرجع الاهتمام. بالإيتيمولوجيا لقرون^٢. ويقول محمد حسين آل ياسين: " أصول الكلمات: وذلك بدراسة أصل كل كلمة من كلمات اللّغة على حدة، وهو المسمى في الدرس الحديث علم أصول الكلمات (ايتيمولوجي Etymology)".^٣ وهناك من يطلق على الإيتيمولوجيا المصطلحات الأتية:

١- **التطور الدلالي:** " ويقصد بالتطور الدلالي: تغير معاني الكلمات، وهو ظاهرة شائعة في جميع اللّغات"^٤ ويقول فتوح خليل: " يرى علماء اللّغة المحدثون أنّ الألفاظ تتطور فتكتسب من المعاني أشباهاً لم تكن لها من قبل، وأنّ اللفظة تحيا حياة متجددة، وهي أبداً في تغير في دلالتها وفي طرائق استعمالها"^٥

٢- **تغير مجال الدلالة:** " وهو أن ينتقل اللفظ من مجال دلالاته إلى مجال دلالة أخرى، لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الدلالتين ويجري هذا العامل من التطور الدلالي على سبيلين هما:

- **الاستعارة:** وذلك بأن ينتقل مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين

المدلولين وقد وضحها أولمان حين تحدث عن عين الإبرة.^٦

- **المجاز المرسل:** وهو أن ينتقل مجال الدلالة لعلاقة غير

المشابهة بين المدلولين^٧ ولقد تحدث عن التطور الدلالي الأعلام الشنتمري^٨ ويقول

١ - صالح القرمادي، محمد الشاوس، محمد عجينة، دروس في الألسنية العامة، ص ٢٨٣.

٢ - أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ص ١٤.

٣ - محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللّغوية عند العرب، إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٤٣٩.

٤ - فتوح خليل، تقويم الفكر النحوي عند الأعلام الشنتمري، ص ٢٦٦.

٥ - نفسه، ص ٢٧٠. نقلاً عن التطور اللغوي التاريخي ٤٠ - ٤١ والترادف في اللغة ٢١.

٦ - نفسه، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

٧ - نفسه، ص ٢٧٥. نقلاً عن: لحن العامة في ضوء الدراسات اللّغوية الحديثة ص ٢٨٥.

٨ - ينظر، نفسه، ص ٢٧٠ - ٢٧٧.

الأستاذ جاسم كحمد عبود عن المجاز: "وعده المحدثون ما ضروب التوسع في الكلام، وتوليد دلالات جديدة، ومن مناهج وضع المصطلح"¹

٣- **تغير المعنى:** " ولقد تساءل Cohen في صدر كتابه The Diversity

of Meaning قائلاً: هل يتغير المعنى؟ ثم أجاب قائلاً: إن نفس الكلمات - بسبب تطور اللغة خلال الزمن - تكتسب معنى آخر، وتشرح فكرة أخرى، وعلى هذا فإن ما نعنيه بتغير المعنى هو تغيير الكلمات لمعانيها. ويقول أولمان: لقد سبق أن عرفنا المعنى بأنه علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول.. وعلى هذا يقع التغير في المعنى كلما وجد أي تغير في هذه العلاقة الأساسية"² " ويشبه بعض اللغويين تغير المعنى عن طريق اكتساب الكلمة لمعان جديدة بالشجرة تنبت فروعاً جديدة. وهذه الفروع بدورها تنبت فروعاً أصغر. الفروع الجديدة قد تخفى القديمة، وتقضي عليها، ولكن لا يحدث ذلك دائماً. وهناك كثير من المعاني السابقة ازدهرت وانتشرت لقرون على الرغم من نمو المعاني الجديدة اللاحقة."³ ويقول نعمة رحيم العزاوي عن المجمع اللغوي في القاهرة: "وقد أدرك المجمع اللغوي في القاهرة أهمية المفردات المولدة، وحاجة المتكلمين إليها، فأقر قبولها، وسمح لها بالدخول في معجمه الموسوم بـ" الوسيط". كما أدرك بعض اللغويين أهمية الأساليب المولدة، فأجازوا استعمالها، ولم يشترطوا في إضافتها إلى أساليبنا " الضرورة" التي اشترطها المجمع اللغوي في تعريب الكلمات، ذلك لأن هذه الأساليب لا تتطوي على كلمات أعجمية ولا تخرج في تأليفها عن طريقة بناء الجملة العربية " وإنما هي كلمات عربية محضة ركبت تركيباً عربياً خالصاً لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات، فقولهم: طلب فلان يد فلانة، كلمات عربية مركبة تركيباً عربياً، لكن إذا خاطبنا بها العربي القح لم يفهم منها المغزى الأعجمي وهو خطبة الفتاة، وإنما هو اعتاد أن يفهم خطبتها بمثل: خطب فلان فلانة"⁴ ولا شك في أن من التزمت إنكار هذه المفردات وأمثالها ذلك لأن التطور الدلالي مبدأ لغوي تجري عليه لغات الأرض كلها، وليست العربية بدعاً من هذه اللغات، بل ليست العربية المعاصرة بدعاً من

1 - جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٢٠١.

2 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٢٣٥.

3 - نفسه، ص ٢٣٦.

4 - نعمة رحيم العزاوي، النقد اللغوي بين التحرير والجمود، الموسوعة الصغيرة ١٤١، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، الجمهورية العراقية: ١٩٨٤، ص ٧٠-٧١، نقلاً عن: مجلة مجمع اللغة العربية الملكي: ١/ ٣٣٢.

العربية في عصورها القديمة، فقد رأينا اللغويين القدامى يعترفون بالتطور الدلالي لعدد كبير من المفردات، وما على اللغويين المعاصرين إلا أن يأخذوا بهذا المبدأ خدمة للغة، وتطويهاً لمفرداتها لأن تعبر عن المستحدث من المعاني، أو الجديد من الأفكار والخواطر.^١ " لقد ركز اللسانيون في السنوات الأخيرة على الدراسة المسحية للغة. ويمكن أن ندرس التغير في لغة ما حتى نثبت أولاً من الصورة التي كانت عليها اللغة في الفترة التي تغيرت فيها. كذلك الأمر في علم الدلالة: لا نستطيع أن نتعامل مع التغير في المعنى حتى نعرف ما المعنى. فلسوء الحظ، ولعدم وجود نظرية دلالية واضحة لديهم أطلق بعض الباحثين المهمتين بالتغير التاريخي بيانات غامضة من النوع المشار إليه في أعلاه. وهذه لوحده يكفي، كما اعتقد، لأن يكون مبرراً للتركيز في كتاب بهذا الحجم على المسائل المسحية."^٢

ب- أسباب تغير المعنى (الاتمولوجيا): " لعلنا نتذكر أننا عرفنا المعنى بأنه " علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول". وسوف يفيدنا هذا التعريف في دراستنا عندما ننتقل من الصورة الثابتة إلى الصورة المتحركة لمعاني الكلمات. ويقع التغير في المعنى كلما وجد أي تغير في هذه العلاقة الأساسية. ويظهر التغير في هذه العلاقة في صورتين اثنتين: فقد يضاف مدلول جديد إلى كلمة قديمة أو كلمة جديدة إلى مدلول قديم. أما الأمثلة التي توضح نظام العمل في هاتين الصورتين فسوف نوردها بعد قليل. ويجدر بنا قبل الدخول في أية تفاصيل أن نحاول إعطاء فكرة وجيزة عن هذه التغيرات وعن الأسباب النهائية التي تتحكم فيها.^٣ ويقول: " وتغير المعنى ليس إلا جانباً من جوانب التطور اللغوي، ولا يمكن فهمه فهماً تاماً إلا إذا نظرنا إليه من هذه الزاوية الواسعة. فاللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، على الرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان. فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور. ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة. فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدين

١ - نفسه، ص ٧٥ - ٧٦.

٢ - أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ص ١٦.

٣ - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ١٧٧.

لتكتشف لنا الأمر عن اختلافات عميقة كثيرة، من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة وإدراكها إدراكاً تاماً".¹

I. الترادف عند الإمام السهيلي: ذكر الإمام السهيلي مصطلح الترادف مرتين في قوله: " فهذه ثلاثة ألفاظ: اسم، ومسمى، وتسمية، ولكل لفظ معنى، ولا سبيل إلى جعل لفظين مترادفين على معنى واحد إلا بدليل واضح، ولا دليل هنا، فنثبت أن لكل لفظ من هذه الألفاظ معنى غير الذي للآخر، وإذا جعلت الاسم هو المسمى بطل أحد المعاني الثلاثة التي قدمنا بيان وجودها واستحالة بطلانها، وبالله تعالى التوفيق."² فالاسم والمسمى والتسمية لسيت ألفاظ مترادفة على معنى واحد. ويقول في موضع آخر: " فأما في كتاب الله ﷻ فقلما تجد أسماء الحسنى معطوفة بالواو، نحو: (الرحمن الرحيم) و(العزیز الحكيم) و(الملك القدوس) ، إلى آخرها. لأنها أسماء له ﷻ والمسمى بها واحد، فلم تجر مجرى تعداد الصفات المتغايرة ولكن مجرى الأسماء المترادفة، نحو: الأسد والليث وغير ذلك."³ فهنا يقول عن هذه الصفات أنها مترادفة، ويواصل يعطي لنا مثال عن الأسد والليث بمعنى أنها صفات مترادفة؛ فكما نلاحظ فالإمام السهيلي يعتبر المترادفات صفات مما يدل أنها من المؤكد أن تكون فيها اختلافات دقيقة وعليه نرجع إلى قول بالمر " يمكن القول مع كل هذا أنه ليست هناك مرادفات حقيقية وأنّ ليس هناك لكلمتين نفس المعنى تماماً ويبدو في الواقع أنّ من غير المحتمل أن تبقى في آية لغة كلمتان لهما معنى واحد تماماً. فإذا نظرنا إلى بعض المرادفات، فهناك على الأقل خمسة اختلافات بينها."⁴ ويقول الإمام السهيلي: " ... فأما قوله ﷻ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁵، فلأنها ألفاظ متضادة المعاني في أصل موضوعها، فكان دخول "الواو" صرفاً لوهم المخاطب - قبل التفكير والنظر - وعن توهم المحال، واجتماع الأضداد من المحال، لأنّ الشيء لا يكون ظاهراً باطناً من وجه واحد، وإنما يكون ذلك من وجهين مختلفين، فكان العطف ههنا أحسن من تركه، لهذه الحكمة الظاهرة، بخلاف ما تقدم مما لا يستحيل اجتماعه من الصفات في محل واحد."⁶ ويقول: " ولا غرو أن يتقارب معنى

1 - نفسه، ص ١٧٨.

2 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٣٢.

3 - نفسه، ص ١٨٧.

4 - أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ص ١٠٤.

5 - الحديد، الآية: ٠٣.

6 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ١٨٧.

الحرف من معنى الاسم المشتق المتمكن في الكلام، فهذه " ثم " حرف عطف، ولفظها كلفظ الثم، والثم هو: رم الشيء بعضه إلى بعض، كما قال: " كنا أهل ثمة ورمة "، ويروي " أهل ثمة ورمة "، وأصله من: ثمت البيت: إذا كانت فيه فرج فسد بالثمام. وقال الشاعر:

وأما الرياح فقد غادرت رواكد واستمتعت بالثمام

والمعنى الذي في " ثم " العاطفة قريب من هذا، لأنه ضم الشيء إلى شيء بينهما مهلة، كما أن ثم البيت: (ضم بين شيئين بينهما فرجة) . ومن تأمل هذا المعنى في الحروف والأسماء المضارعة لها، ألفاه كثيراً، والله - تعالى - المستعان.¹ ويقول الإمام السهيلي في **المشترك اللفظي**: " في معنى الصلاة على محمد - ﷺ - قال أهل اللغة: الصلاة تنقسم أقساماً: الصلاة بمعنى الدعاء، والصلاة بمعنى الرحمة والصلاة التي فيها الركوع والسجود. فصلاة الله ﷻ على أنبيائه ﷺ رحمة، وصلاتنا نحن عليهم دعاء. وقالوا في الصلاة التي فيها (الركوع والسجود: إنها) مشتقة من " الصلاتين " وهما عرقان في كفل الإنسان ينحنيان عند انحنائه، فقيل: أصليت "أي: انحيت راعكاً أو ساجداً. وقيل: " صلى الفرس "، أي: جاء بعد السابق وكان رأسه عند صلاة، ولذلك جاء في الأثر: " سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر " إنما هو من هذا. وقال:

كأنَّ صَلاً جَهِيْزَةً حِيْنَ قَامَتْ حَبَابُ الْمَاءِ يَتَّبِعُ الْحَبَابَا²
وتركت الرمح يعمل في صلاه كأن سنانه خرطوم نسر

هذا منتهى كلامهم وأقصى مرامهم، لم يبنهوا على هذه الألفاظ أهي ألفاظ اشترك أم هي مستعارة في بعضها من بعض؟ ولا ذكروا اشتقاقاً للصلاتين اللتين هما الدعاء والرحمة، وتدخل عليهم سؤلات واعتراضات، منها أن يقال: إن كانت الصلاة هي التي بمعنى الرحمة أصلاً في بابها، فمن أي شيء اشتقاقها، وإن كانت مستعارة عن الأخرى ومجازاً لها، فأبي نسبة بين الرحمة والدعاء؟ أو بين الرحمة والمعنى الآخر الذي هو الانحناء، حتى ينقل اللفظ منه إليها مجازاً أو اتساعاً؟ ومما يسألون عنه في قولهم: الصلاة هي الدعاء...³ " والجواب عن هذه التساؤلات كلها وبالله التوفيق، وهو المستعان على سلوك سبيل التحقيق، أن نقول: الصلاة كلها - وإن توهم اختلاف معانيها - راجعة في

1 - نفسه، ص ٩٦.

2 - نفسه، ص ٤٥.

3 - نفسه، ص ٤٦.

المعنى " والاشتقاق إلى أصل واحد، فلا تظنها لفظة اشتراك ولا استعارة إنما معناها كلها الحنو والعطف، إلا أنّ الحنو والعطف يكون محسوساً ومعقولاً، فيضاف إلى الله ﷻ منه ما يليق بجلاله، وينفي عنه ما يتقدس عنه، كما أنّ العلو " محسوس ومعقول، فالمحسوس منه صلة الأجسام والأجرام، والمعقول منه صفة ذي الجلال والإكرام وهذا المعنى كثير موجود في الصفات وغيرها، ألا ترى أنّ الكبير يكون صفة للمحسوسات وصفة للمعقولات، وهو من أسماء الله ﷻ، وقد تقدس ﷻ عن مضاهاة الأجسام، وتنزهه عن إدراك الأوهام ومشابهة الأنام، فجميع ما يضاف إليه من هذه المعاني معقولة محسوسة.¹ وأما " سوف " فحرف، ولكنه على لفظ السوف الذي هو الشم لرائحة ما ليس بحاضر وقد وجدت رائحته، كما أنّ " سوف " هذه - التي هي حرف - تدل على أنّ ما بعدها ليس بحاضر وقد علم وقوعه وانتظر إبانته. ولا غرو أن يتقارب معنى الحرف من معنى الاسم المشتق المتمكن في الكلام، فهذه " ثم " حرف عطف، ولفظها كلفظ الثم، والثم هو: رم الشيء بعضه إلى بعض، كما قال: " كنا أهل ثمة ورمة "، ويروي " أهل ثمة ورمة "، وأصله من: ثممت البيت: إذا كانت فيه فرج فسد بالتمام. وقال الشاعر:

وأما الرياح فقد غادرت رواكد واستمتعت بالتمام

والمعنى الذي في " ثم " العاطفة قريب من هذا، لأنه ضم الشيء إلى شيء بينهما مهلة، كما أنّ ثم البيت: (ضم بين شئيين بينهما فرجة) . ومن تأمل هذا المعنى في الحروف والأسماء المضارعة لها، ألفاه كثيراً، والله - تعالى - المستعان.²

I. دراسة الترادف عند السهيلي في ضوء علم اللغة الحديث:

١- تعريف الترادف Synonymy : التفسير المتشدد والتفسير المرن للترادف A stricter and a looser sense of synonymy

من الممكن التمييز بين التفسير المتشدد والتفسير المرن لكلمة الترادف وبموجب التفسير المتشدد (وهو التفسير الموجود في معظم النظريات الدلالية المعاصرة) فإنّ عنصرين يكونان مترادفين إذا كان لهما نفس الموضع. إنّ هذا هو التفسير الذي سناقشه في هذه الفقرة. ويمكن تمثيل التفسير المرن باقتباس من قاموس روجت Roget's Thesaurus لو أخذنا كلمة " nice " ... سنرى تحتها في الفهرس... بعض المرادفات التي سنجدها هي

¹ - نفسه، ص ٤٧.

² - نفسه، ص ٩٦.

honorabile, pleasing, good, exact... أن كل من هذه الكلمات نفسها تظهر في أحد قوائم المرادفات في المتن الرئيسي للقاموس. فمثلاً إذا رجعنا إلى الفقرة التي ترد فيها كلمة pleasing نجد عموداً من عشرات المكافئات... تعبر عن ظلال مختلفة لمعنى كلمة nice . وهذا ينطبق أيضاً على كل من exact و good... إلخ لذا فإنّ هذا القاموس يزودنا بقوائم من مئات الكلمات والتعابير التي بوسعنا استعمالها بدلاً من nice التي ابتداءً بها. فكل هذه الكلمات والتعابير مترادفة مع 'nice' بموجب التفسير المرن لمفهوم الترادف.¹ ويقول يقول فتوح خليل: " ولكن لا بد من الإشارة إلى أنّ مصطلح الترادف. لم يرد صراحة في مصنفات الأعلام الشنتمري، مع ملاحظته لفكرة الترادف وتمثلها في أقواله ومصنفاته، شأنه في ذلك شأن اللغويين الذين سبقوه في تعرضهم لمدلول اللفظ"² " ولعل من أقدم النصوص التي بين أيدينا، والتي أشارت بوضوح إلى فكرة الترادف في اللغة، ما جاء في تقسيمات سيبويه (ت ١٨٠هـ) للألفاظ في باب: (اللفظ للمعاني)، حيث يقول: " اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، فاختلف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشبه هذا كثير"³ " اختلاف اللفظين والمعنى واحد، فقد تمثلت عند الأصمعي (ت ٢١٦هـ) باسم " ما اختلفت ألفاظه وانفقت معانيه " الذي عنون به أحد كتبه."⁴ أو ما يسميه البعض: **المشترك اللفظي**: " وعدّ بعض القدماء التضاد من المشترك اللفظي"⁵ " وعرضنا مثلاً يعبر عن التضاد وشواهد قرآنية تخص المشترك وهي خير دليل على التطور الدلالي."⁶ يقول ابن حزم (ت ٤٦٣هـ) في تعريف الدال هو: (المعروف بحقيقة الشيء)⁷ " والدال صورة للمعنى أو حقيقة للمعنى، وتنظوي تحت الدال مصطلحات متعددة حددها علم الدلالة الحديث وهي معروفة عند القدماء كمصطلحات لغوية أو نحوية

1 - جون لاينز، علم الدلالة، ص ٧٣.

2 - فتوح خليل، تقويم الفكر النحوي عند الأعلام الشنتمري، ص ٢٧٩.

3 - نفسه، ص ٢٨٠، نقلاً عن سيبويه ج ١، ص ٧، ٨.

4 - نفسه، ص ٢٨٠.

5 - جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٢٥٣.

6 - نفسه، ص ٢٥٣.

7 - نفسه، ص ٦٠. نقلاً عن: الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم: م ٣٩.

لكنهم لم يشيروا إلى كونها من مصطلحات علم الدلالة، لسبب بسيط ألا وهو عدم اختصاص هذا العلم بحد ذاته كعلم بين العلوم الأخرى آنذاك كما بينا في مصطلح الدلالة.¹ ويقول ستيفن أولمان: "إذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقاً تاماً فإنّ مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى ألبتة دون السياق الذي تقع فيه، ففي حالة الفعل (أدرك) الذي ذكرناه سابقاً كان هناك على الأقل قدر ما من أصل مشترك بين المعاني المختلفة، ولكن اتحاد النطق في حالة الفعل see و see في العبارة the bishop's sea و sea إنّما هو مجرد مصادفة، والسياق هو وحده الذي يستطيع أن يكشف لنا عن المقصود من هذه الكلمات الثلاث."² وهناك من يطلق عليه مصطلح " تعدد المعاني Polysemy والتجانس Homonymy إن مناقشة تطابق المعنى sameness of meaning ليست بالعملية السهلة جداً، إلا أنه يبدو أنه ليست ثمة صعوبة أساسية في دراسة اختلاف المعنى. وإضافة إلى أنّ للكلمات المختلفة معاني مختلفة، فللكلمة نفسها مجموعة من المعاني المختلفة. هذا هو تعدد المعنى. فالقاموس يعرف كلمة [عين] مثلاً بما لا يقل عن هذه الصيغ: [عضو البصر عند الأحياء، بئر، عضو في مجلس الأعيان، الخ]. وهناك مع ذلك متاعب حتى مع هذا المفهوم البسيط ظاهرياً. بدءاً، لا نستطيع أن نحدد بوضوح ما إذا كان معنيان متطابقين أو مختلفين، وأن نقرر بالتالي كم معنى تملك الكلمة، إذ ليس من السهل تجريد معنى معين وتمييزه عن باقي المعاني. خذ الفعل يأكل. سيميز القاموس بين المعنى الحرفي لأخذ الطعام والمعاني المشتقة للاستهلاك والتأكل، وقد نعاملها على أنها ثلاثة معاني مختلفة، لمننا نستطيع أيضاً أن نميز بين أكل اللحم وأكل الحساء، فيتم الأول بواسطة السكين والشوكة والثاني بواسطة الملعقة. كما نستطيع أن نتكلم عن شرب الحساء إضافة إلى أكله. ويتطابق الأكل في أحد معانيه مع الشرب. المشكلة على كل حال، هي أن نقرر إذا كان هذا يمثل معنى متميزاً لـ يأكل. الحل البديل هو أن معنى يأكل³ " يتداخل مع يشرب، لكن كلا منهما يغطي مساحة دلالية واسعة (لا يتداخل قسم كبير منها). فإن قررنا على كل حال، أنّ هناك معنيين لـ يأكل نسأل عندئذ ما إذا كان لأكل الهلام نفس المعنى مثل أكل الطوفي الذي يتضمن المضع، أو أكل الحلوى الذي يتضمن المص. من الواضح أننا نأكل أنواع مختلفة من

1 - نفسه، ص ٦٠.

2 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٧٢.

3 - أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ص ١١٦.

الطعام مختلفاً في كل نوع من الطعام الذي نأكله. المهم أنه لا يتوجب علينا أن ننظر في جميع الاختلافات المحتملة للمعنى، بل في تطابق المعنى كلما أمكن ذلك، إضافة إلى أنه لا يوجد معيار واضح لمفهومي الاختلاف والتطابق. المشكلة العملية الأخرى أنه إذا كان لصيغة ما عدة معانٍ، فليس من الواضح دائماً ما إذا سنقول أن هذا مثال لتعدد المعاني (كلمة واحدة بمعانٍ متعددة)، أو للتجانس (وجود عدة كلمات بالشكل نفسه). فقد لاحظنا سابقاً مثلاً، أن القاموس يعامل [عين] كلمة مفردة متعددة المعاني. لكنه يدرج العديد من الكلمات المتجانسة [سيف - مهند - حسام ...]. وعلى القاموس أن يحدد ما إذا كان يتوجب معاملة عنصر معين بموجب التعدد (أي تعدد المعاني) أو التجانس إذ أنه سيعامل العنصر المتجانس مادة مستقلة عن متجانساتها. ولا يعني هذا طبعاً أن بالإمكان التمييز بين التعدد والتجانس بمجرد مراجعة القاموس، إذ أن علينا أن نبحث عن الأسباب التي جعلت صانع القاموس يتخذ هذا القرار، والتي تبدو في بعض الحالات عشوائية بحتة. هناك بعض التعقيد في حقيقة أننا لا نضع التمييزات نفسها في الكتابة والنطق. فالكلمتان lead (رصاص) و lead (في الانكليزية مقود الحيوان) تكتبان بشكل واحد لكن تلفظهما مختلف. في حين أن site (موقع) و sight (منظر) تختلفان كتابة وتتطابقان لفظاً. وتستعمل لفظة التجانس الكتابي homography للحالة الأولى والتجانس اللفظي homophny للحالة الثانية. " ١ " ومما يجلب النظر، أن الاختلاف في الكتابة لا يتضمن دائماً اختلافاً في الأصل. فما هي اليوم متجانسات قد تكون مشتقة في الأصل من صيغة واحدة. الأمثلة من الانكليزية هي: metal (معدن)، mettle (مزاج) و flour (طحين)، flower (زهرة). وتظهر هذه الأزواج مشاكل جدية للدلالي، إذ أنه إذا " ٢ " قد تبدوا سليقياً مرشحات معقولات لتوسيع المعنى. " ٣ " أو ما يسميه البعض المعنى المتعدد

Multiple Meaning: "إن التمييز بين التشابه والاختلاف في المعنى لا يغنينا كثيراً " في علم الدلالة ويبدو واضحاً أن بعض المعاني ترتبط بشكل لا يتحقق في غيرها وهذه الحقيقة تخل بتناسق التضاد البسيط القائم بين المترادفات والمتجانسات. ترى كم يجب أن يكون الاختلاف في المعاني المرتبطة ببنية ما قبل أن نقرر أنهما يختلفان إلى الدرجة التي تبرر اعتبارهما كلمتين مختلفتين أو أكثر؟ وفي محاولتهم توضيح الأصل الطبيعي

1 - نفسه، ص ١١٧.

2 - نفسه، ص ١١٨.

3 - نفسه، ص ١٢٠.

للغة، طرح الإغريقيون عددا من الأسس لتعديل تجاوز معنى الكلمة العام لمعناها الحقيقي أو الأصلي. وأهم هذه الأسس هي الاستعارة (أي الانتقال) المبنية على الصلة الطبيعية بين المشار الأساس والمشار الثانوي اللذين تستعمل لهما الكلمة وكأمثلة للتجاوزات الاستعارية استعمال الكلمات عين، رأس، ساق للأنهر والشخصيات الاجتماعية والأشجار على التوالي، إذ يوجد شبه واضح في كل مثال في شكل أو وظيفة كل من الشارين. وعرف النحاة الإغريقيون أنواعاً أخرى متعددة لامتداد المعنى أو انتقاله ودخلت هذه الأنواع في الميادين التقليدية للبلاغة والمنطق وعلم الدلالة أن المعاني التي ترتبط بشكل أو بآخر طبقاً لمثل هذه الأسس لم تعتبر عادة مختلفة إلى حد يبرر التفريق بين كلمات متميزة إن الدلالي التقليدي لن يقول إن ساق الشجرة وساق الإنسان كلمتان متجانستين بل إن للكلمة ساق معنيين مترابطين. هناك إذن، إضافة إلى الترادف والتجانس، ما يسمى في التطورات الأخيرة في علم الدلالة التقليدي بالمعنى المتعدد.¹ " عن الاعتباطية في التمييز بين التجانس والمعنى المتعدد تتضح في مفارقات التصنيف بين القواميس المختلفة. وقد زادت هذه الاعتباطية بدل أن تقل نتيجة تطور الأساليب الدقيقة لعلم تاريخ المعاني etymology في القرن التاسع عشر. وكمثال على هذا فإن معظم القواميس الحديثة في اللغة الانكليزية تذكر ككلمتين مختلفتين (ear (إرن) للإشارة إلى إرن الإنسان (٢) Ear للإشارة إلى أجزاء بعض الحبوب مثل الحنطة والشعير. لقد حدث بالصدفة أن تطورت هاتان من كلمتين في الانكليزية القديمة تختلفان في البنية والمعنى (١) eare (٢) ear. ولكن كم من الناطقين بالإنكليزية يعرفون ذلك؟ وحتى أن عرفوا ذلك فما هو تأثير معرفتهم لهذه الحقيقة على استعمالهم للغة؟²

أ- مقترحات لوضع درجات للترادف **Proposals for the quantification of synonymy** يرى البعض أن للترادف درجات متفاوتة، أي أن أية مجموعة من العناصر المعجمية يمكن أن تنظم على مقياس للتشابه والاختلاف في موضعها، كأن نقول مثلاً أن أ أو ب متطابقان موضعاً (مترادفين تماماً) متشابهان إلى حد ما في موضعيهما (مترادفان جزئياً)، وأن أ و د أقل تشابهاً في موضعيهما وهكذا... لقد طرحت في

¹ - جون لاينز، علم الدلالة، ص ١٧.

² - نفسه، ص ١٨.

السنوات الأخيرة عدة اقتراحات لقياس الترادف بموجب هذه الأسس ولن نناقش أياً من هذه الاقتراحات هنا.¹

ب- الترادف الإجمالي والترادف الكلي 'Total synonymy' and 'complete synonymy' من المعروف عموماً أنّ هناك مترادفات حقيقية قليلة في اللغات الطبيعية إن وجدت على الإطلاق. يقول ألمان Ullmann: "يمكن القول أنّ الترادف الإجمالي حالة نادرة جداً في اللّغة، وترفاً لا تستطيع اللّغة أن تقدمه بسهولة. وكما يتضح من مناقشة ألمان فإنّ هذا الرأي يستند على أساسين متميزين: أنّ ما يمكن وصفها بالمترادفات هي فقط تلك الكلمات التي تستطيع أن تحل محل بعضها البعض في أي نص معين دون أدنى تغيير في مدلولاتها العقلية أو العاطفية " أنّ شرطي الترادف الإجمالي إذن هما (أ) إمكانية التبادل في كل النصوص. (ب) التطابق في المدلول العقلي والعاطفي.. سنناقش الآن ضرورة التمييز بين الموضع العقلي والموضع العاطفي، ولكننا سنأخذ من الآن كأمر مسلم به. إنّ شرط إمكانية التبادل في كل النصوص يعكس الافتراض الشائع أنّ الكلمات لا تترادف مطلقاً وفي أي نص إلا إذا وردت (وفي نفس الموضع) في جميع النصوص."²

ت- تناوب المعنى: يقول ستيفن أولمان: "فالسباق وحده هو الذي يستطيع أن يبين لنا ما إذا كانت الكلمة (قريب) مثلاً تعنى قرابة الرحم أو القرب في المسافة."³ فكما يقول الأستاذ John Lyons جون ليون: "أعطني الكلمة في سياق، أفيدك عن معناها"⁴

I. البنية العميقة والبنية السطحية عند السهيلي: يقول الإمام السهيلي: "وأما عمله في المفعول من أجله، فإنّه لم يعمل فيه بلفظه عندي، ولكنّه دل على فعل باطن من أفعال النفس والقلب، أثار هذا الفعل الظاهر، وصار ذلك الفعل الباطن عاملاً في المصدر الذي هو المفعول من أجله في الحقيقة، والفعل الظاهر دال عليه، ولذلك لا يكون المفعول من أجله منصوباً حتى يجتمع فيه ثلاثة شروط:
الأول: أن يكون مصدراً.

والثاني: أن يكون من فعل الفاعل المتقدم ذكره.

¹ - نفسه، ص ٧٣ - ٧٤.

² - نفسه، ص ٧٤ - ٧٥.

³ - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص ٧١.

⁴ - فتوح خليل، تقويم الفكر النحوي عند الأعلام الشنتمري، ص ١٢٨، نقلاً عن: John Lyons, The philosophy of grammar, p.170.

والثالث: أن يكون من فعل الفاعل المتقدم ذكره.

نحو: " جاء زيد خوفاً"، و" رغبة فيك"، فإن الخوف والرغبة من أفعال النفس الباطنة وهو من فعل الفاعل المذكور في الجملة. فلو قلت: " جاء زيد قراءةً للعلم" أو: " قتلاً للكافر" - لم يجز أن يجعل أن يجعل ذلك مفعولاً من أجله، لأنها أفعال ظاهرة، فقد بان لك أن المجيء إنما يظهر ما كان باطناً خفياً حتى كأنك قلت: جاء زيد (مظهر) بمجيئه الخوف (أ) والرغبة أو الحرص (أ) وأشبه ذلك. فهذه الأفعال الظاهرة تبدي لك الباطنة، فهي مفعولات في المعنى (و) الظاهرة دالة على ما ينصبها فإن جئت بمفعول من أجله من غير هذا القبيل الذي ذكرنا، لم يصل الفعل إليه إلا بحرف نحو: " جئت لكذا" أو: " من أجل كذا" والله أعلم.¹ " وسنقدم بين يدي الخوض في هذا الغرض أصلاً يقف بك على الأصح، ويرشدك بعون الله إلى الطريق الأوضح، فنقول: ما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان، والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب وإما بالفضل والكمال. فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هي الأسباب الخمسة، أو بأكثرها سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك. نعم، وربما كان ترتيب الألفاظ بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى، كقوله: " ربيعة ومضر" وكان تقديم مضر أولى من جهة الفضل كثرت الحركات وتوالت، فلما أخرت وقف عليها بالسكون.² " فإن قيل: فضمير الفاعل المستتر في الفعل كيف يصح استتاره فيه، والفعل كلمة مؤتلفة من حروف، والحروف أعراض في اللسان أجزاء من الصوت، لا يستتر فيها شيء ولا يظهر إذ ليست بجسم؟ فالجواب: أن أكثر ألفاظ النحويين محمولة على التجاوز والتسامح، لا على الحقيقة، لأن مقصدهم التقريب على المبتدئين والتعليم للناشئين. وتحقيق القول أن الفاعل مضمّر في نفس المتكلم، ولفظ الفعل متضمن له دال عليه، واستغني عن إظهاره لتقدم ذكره، وعبرنا عنه بمضمّر - ولم نعبر عنه بمحذوف، كما قلنا في المضمّر المفعول العائد على الاسم الموصول - لأنّ المضمّر هنا قد لفظ به في النطق، ثم حذف تخفيفاً، نحو قولنا: " الذي رأيت، والذي رأيت، والذي رأيت ". ويجوز حذفه في التثنية والجمع، فلما كان ملفوظاً " به " ثم قطع من اللفظ تخفيفاً، عبر عنه بالحذف، وليس كذلك ضمير المرفوع، لأنه لم ينطق به ثم حذف. ولكنّه مضمّر في النية مخفي في الخلد، والإضمار هو

¹ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

² - نفسه، ص ٢٠٩

الإخفاء، والحذف هو القطع من الشيء، فهذا فرق ما بينهما، وهو واضح لا خفاء به، ولا غبار عليه.¹ ويقول: " في تفسير المضمرات: " اعلم أن الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يعبر للمخاطب عنه بلفظ أو لحظ أو (بخط) ، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلم. فإذا تقدم في الكلام اسم ظاهر ثم أعيد ذكره (أوماً المتكلم إليه بأدنى لفظ. ولم يحتج إلى إعادة اسمه لتقدم ذكره) . فإذا أضمره في نفسه - أي: أخفاه - ودل المخاطب عليه بلفظة مصطلح عليها، سميت تلك اللفظة اسماً مضمرًا، لأنها عبارة عن الاسم الذي أضمر استغناء عن لفظه الظاهر.² ويقول: " ... ثم لما كان المخاطب مشاركاً للمتكلم في معنى الكلام، إذ الكلام مبدؤه من المتكلم ومنتهاه عند المخاطب، ولولا المخاطب ما كان كلام المتكلم لفظاً مسموعاً، ولا احتاج إلى التعبير عنه، فلما اشتركا في المقصود بالكلام وفائدته، اشتركا في اللفظ الدال على الاسم الظاهر، وهو الألف والنون، وفرق بين ضمير المخاطب وضمير المتكلم بالتاء خاصة فقالوا: أنت، وخصت " التاء " بذلك لثبوتها علامة الضمير المخاطب الفاعل في (فعلت) إلا إنها هناك اسم، وفي " أنت " لا موضع لها من الإعراب.³ ويقول الإمام السهيلي: " وإذا كان في الرفع لم يكن له علامة في اللفظ، لأن الاسم الظاهر قبل الفعل علم ظاهر يغني المخاطب عن علامة إضمار في الفعل، بخلاف المتكلم والمخاطب، لأنك تقول في الغائب: زيد قام، فتجد الاسم الذي يعود عليه الضمير موجوداً ظاهراً في اللفظ، ولا تقول في المتكلم: زيد قمت، ولا في المخاطب أن كان اسمه كذلك: زيد قمت - فلما اختلفت أحوال الضمير الغائب لسقوط علامته في الرفع، وتغير الهاء بدخول حروف الخفض، قام ذلك عندهم مقام علامات الإعراب في الظاهر، أو ما هو بمنزلتها في الضمير كالتاء المبدلة من الواو، والياء المنبئة عن الكسرة، والكاف المختصة بالمفعول والمجرور الواقعين بعد الكلام التام، ولا يقع بعد الكلام التام إلا منصوب أو مجرور، فكانت الكاف المأخوذة من لفظ الكلام علامة على المنصوب والمجرور إذا كان مكلماً مخاطباً.⁴ وهذا يمكن إضافته إلى دورة الخطاب، فالبنية العميقة والسطحية لها علاقة بالمتكلم والمخاطب.

1 - نفسه، ص ١٢٧.

2 - نفسه، ص ١٧٠.

3 - نفسه، ص ١٧٢.

4 - نفسه، ص ١٧٥.

II. البنية العميقة والبنية السطحية عند التحويليين:

١ - البنية العميقة: " هي شكل تجريدي abstract داخلي يعكس العمليات الفكرية، ويمثل التفسير الدلالي الذي تُشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية."¹

٢ - البنية السطحية: " تمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز."² ويقول: " وحسب التحويليين فإن هاتين الجملتين: " كَتَبَ أَحْمَدُ الرِّسَالَةَ" و " كُتِبَتِ الرِّسَالَةُ مِنْ قَبْلِ أَحْمَدٍ" لا تختلفان إلا من الناحية التركيبية؛ أي على مستوى البنية السطحية، ولكنها مرتببتان ارتباطاً وثيقاً- إن لم نقل متطابقتان- على مستوى البنية العميقة."³ ويقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح: " فإنّ المدرسة التوليدية في النظرية "Standard" لا تعرف إلا نوعاً واحداً من التحويل وهو الذي يربط بين ما يسمونه بالبنية العميقة والبنية السطحية. فهذا نظيره في النظرية العربية هو التحويل التقديري. فكل كلام يحتمل أكثر من معنى - في أصل الوضع - " فالانتقال من الأصل إلى الفروع هو تحويل يخضع لنظام من القواعد"⁴

I. دورة الخطاب عند الإمام السهيلي: يقول الإمام السهيلي: " ثم لما كان المخاطب مشاركاً للمتكلم في معنى الكلام، إذ الكلام مبدؤه من المتكلم ومنتهاه عند المخاطب، ولولا المخاطب ما كان كلام المتكلم لفظاً مسموعاً، ولا احتاج إلى التعبير عنه، فلما اشتركا في المقصود بالكلام وفائدته، اشتركا في اللفظ الدال على الاسم الظاهر، وهو الألف والنون، وفرق بين ضمير المخاطب وضمير المتكلم بالتاء خاصة فقالوا: أنت، وخصت " التاء" بذلك لثبوتها علامة الضمير المخاطب الفاعل في (فعلت) إلا إنها هناك اسم، وفي " أنت " لا موضع لها من الإعراب."⁵ ويقول: " لأنّ الكلام من حيث كان للمخاطب كان لفظاً، ومن حيث كان للمتكلم كان معنى قائماً بنفسه. ثم وقع الفرق بين ضميريهما بالحركة دون الحروف للحكمة المذكورة."⁶ ويقول: "... والمخاطب لا يستدل إلا بلفظ يسمعه لا

1 - أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٢، ص ٢١٢.

2 - نفسه، ص ٢١٢.

3 - أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص ٢١٢.

4 - عبد الرحمان الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة- مفاهيمها الأساسية"-، ص ٢٧.

5 - نفسه، ص ٢٩.

6 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ١٧٢.

7 - نفسه، ص ١٧٢.

بشيء تضرره في نفسك.¹ ويقول: "... لأنّ " الألف واللام " قد تنبئ عما تنبئ عنه أسماء الإشارة، حكي سيبويه: " لمن الدار مفتوحاً بابها؟ ". (فقولك: مفتوحاً بابها) لا يعمل فيه الاستقرار الذي يتلق به " لمن "، لأنّ ذلك خلاف المعنى المقصود، وتصحيح المعنى: " لمن هذه الدار مفتوحاً بابها؟ " فاستغنى بذكر " الألف واللام " وعلم المخاطب أنّه مشير وتنبه المخاطب بالإشارة إلى النظر، وصار ذلك المعنى المنبه عليه عاملاً في الحال.² ويقول: " في حذف حرف العطف ": "... لا يجوز إضمار حروف العطف، خلافاً للفارسي ومن قال بقوله، لأنّ الحروف أدلة على معان في نفس المتكلم، فلو أضمرت لاحتاج المخاطب إلى وحي يسفر به عما في نفس مُكلّمه...³ " ويقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح: " إذ كيف يهدر أهم شيء في اللّغة وهو السلوك اللّغوي؟ أو بعبارة أخرى كيف يترك البحث في كلام نفسه كفعل من الأفعال التي يتحصّل بها نظام اللّغة. (أما قولهم بأنّ هذا يخصّ المتخصّص في علم النفس وغيره من العلوم الإنسانية فلا يثبت على دليل وهو تضيق لمجال اللسانيات لا معنى له.)⁴ " وهذا موقف الإيجابيين من الظاهرية اللّغوية الغربية التي لا ترى في اللّغة إلا ما يُسمع ثم ما يتسق ويتقابل في داخل التسلسل الكلامي ولا تلتفت أبداً إلى تصرف المتكلم في اللّغة في دورة التخاطب وفي أحوال معيّنة فأخرجوا بذلك الذات (Le sujet) وهو المتكلم ناسين أنّ اللسان هو شيء (Un objet) وأفعالاً أيضاً تسلط على هذا الشيء.⁵

II. دورة الخطاب عند دي سوسور: يفترض في تلك العملية (دورة الخطاب) وجود شخصين على أقل تقدير، "إنّ منطلق الدورة موجود في دماغ أحدهما، وهو " أ " حيث تقترن ظواهر الإدراك وهي التي نسميها - المتصورات الذهنية- بما يمثل الدلائل اللغوية أي الصور الأكوستيكية، تنتشر لموجات الصوتية من " أ " إلى " ب " والعكس صحيح، ويمثل له دي سوسور بهذه الأشكال:

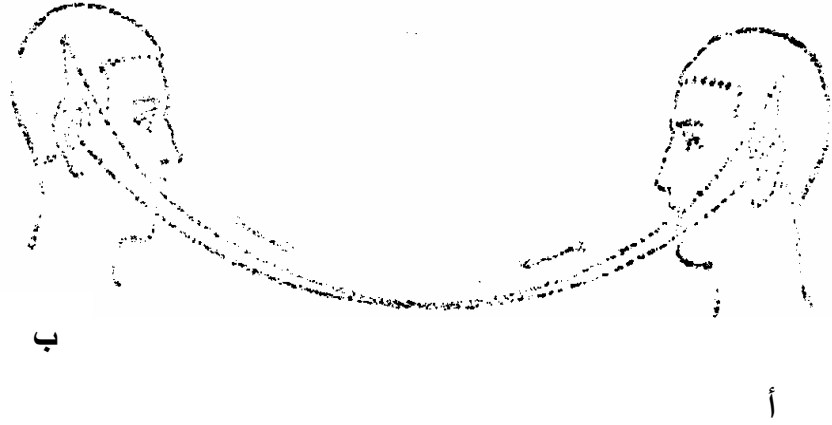
1 - نفسه، ص ٣٢٢.

2 - نفسه، ص ٣٠٦.

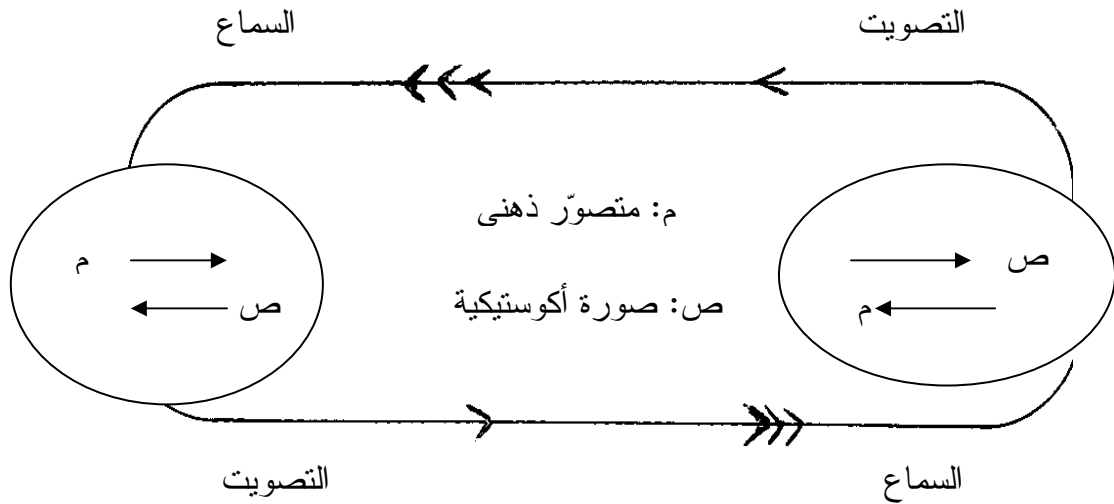
3 - نفسه، ٢٠٧.

4 - عبد الرحمان الحاج صالح، "النظريّة الخليليّة الحديثة- مفاهيمها الأساسيّة-"، ص ٢٦.

5 - نفسه، ص ٢٦.



- شكل ١ ♥



- شكل ٢ *

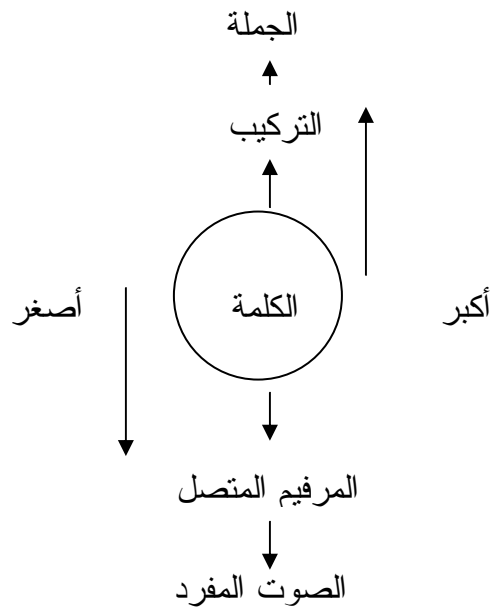
وأختم هذا بقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: " التمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب والنظرة إليه كبنية، إن سيبيويه والخليل قد انفردا مع أكثر النحويين الأقدمين بنظرية اندثرت بعدهم وصارت بعد غزو المنطق اليوناني خاصّة لا يتفطن إليها إلا الأفاذ من النحاة مثل السّهيلي والرّضي الاسترابادي. ومن أهمّ المبادئ التي بُنيت عليها هذه النظرية نذكر تمييزهم الصارم في تحليلهم للغة بين الجانب الوظيفي من جهة وهو الإعلام والمخاطبة أي تبليغ الأغراض المتبادل بين ناطق وسماع، وبين الجانب اللفظي

♥ - ينظر، صالح القرمادي، محمد الشاوس، محمد عجيبة، دروس في الألسنية العامة، ص ٣١.

* - ينظر، نفسه، ص ٣٢.

الصوري من جهة أخرى أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بقطع النظر عمّا يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظية. إذ هناك دلالة اللفظ ودلالة المعنى.¹ ومن كل ما ذكرناه نستنتج أنّ:

- إنّ الاسم "السين" و "الميم"، ويقول: "زيد" ويقسمه "الزاي، الياء، الدال" نلاحظ هنا أنّ الإمام السهيلي قد قسم اللفظ إلى أصغر وحدة كما يسميهم الغربيون "الفونيم" ومجموع الفونيمات يكون كلمة أو "لفظ" كما يقول الإمام السهيلي، ومجموع الكلمات يكون جملة. ويقول إن الكلمة تعرف بموضعها بين الكلمات الأخرى بمعنى أنّها تأخذ معناها حسب السياق الذي ترد فيه. ويمكن أن نوضح رأي السهيلي بهذا الشكل²



وأما الجملة فيعتبرها بعض اللغويين من أهم وحدات المعنى، بل ويعتبرها بعضهم أهم من الكلمة نفسها. وعند هؤلاء لا يوجد معنى منفصل للكلمة، وإنّما معناها في الجملة التي ترد فيها. فإذا قلت إنّ كلمة أو عبارة تحمل معنى، فهذا يعني أنّ هناك جملاً تقع فيها الكلمة أو العبارة، وهذه الجمل تحمل معنى. أما الوحدة الدلالية التي تعد أقل من كلمة فنتمثل في المورفيم المتصل (١) ويشمل ذلك السوابق واللواحق. فالأول مثل أحرف المضارعة-السين للدلالة على الاستقبال - re في reestablish و remark. والثانية مثل الضمائر المتصلة ومثل اللاحقة -ly - كما في: friendly و ness في: darkness .. أما الوحدة

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، "النظريّة الخليليّة الحديثة- مفاهيمها الأساسيّة-"، ص ١٠٢.

² - لقد شرحنا هذا الشكل فيما سبق، أوينظر، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٢٢.

الدلالية التي تعد أقل من مورفيم فمثل دلالة الضمة على المتكلم والفتحة على المخاطب والكسرة على المخاطبة في الضمائر: كتبتُ - كتبتَ - كتبتِ. ومثل دلالة الضمة على البداوة والكسرة علة الحضارة في اللّغة العربيّة.¹ وكل هذا تقريباً ماقدمه لنا السهيلي في كتابه، وقال إنّ كل زيادة في الحروف تعتبر زيادة في المعنى.

¹ - نفسه، ص ٣٤.

الفصل الثالث

المستوى التركيبي

I . **مصطلح التركيب في نتائج الفكر في النحو:** ذكر الإمام السهيلي مصطلح التركيب في المواقع الآتية حيث يقول: " في ما الموصولة: "...فإن قيل: فقد تقول: عملت الصفحة، وصنعت الجفنة، وكذلك الأصنام معمولة على هذا؟. قلنا: لا يتعلق الفعل فيما ذكرتم إلا بالصورة التي هي التآليف **والتركيب**. وهي نفس العمل (وأما الجوهر المؤلف المركب فليس بمعمول لنا، فقد رجع العمل) والفعل إلى الأحداث دون الجوهر. وهذا إجماع منا ومنهم، فلا يصح حملهم على غير ذلك وأما ما زعموا من حسن النظم وإعجاز الكلام فهو ظاهر..."¹ ويقول في مسألة: "...وإنما الجواب في ذلك إنما لما كانت مركبة من " لا " و " إن " ثم حذفت الهمزة اكتفاء بكسر (الكاف)، بقي عمل (إن) لبقاء العلة الموجبة للعمل، وهي فتح آخرها، وبذلك ضارعت الفعل، فلما حذفت النون المفتوحة وقد ذهب الهمزة للتركيب، ولم يبق إلا النون الساكنة - وجب إبطال حكم العمل بذهاب طرفيها وارتفاع علة المضارعة للفعل، بخلاف أخواتها إذا خفن، فإن معظم لفظها باق، جاز أن يبقى حكمها، على أن الأستاذ أبا القاسم بن الزمك - رحمه الله تعالى - قد أفادني رواية عن (يونس) أنه حكى الأعمال في (الكن) مع تخفيفها. وكان أبو القاسم - رحمه الله - يستغرب هذه الرواية، ورأيته حين ذكرني بها متعجباً منها، وكان إماماً في هذه الصناعة رحمه الله تعالى.² ويقول أيضاً في مسألة: "في " عرفت " و " علمت " ونحوهما: أما " عرفت " فأصل وضعها لتمييز الشيء وتعيينه حتى يظهر للذهن منفرداً من معنى زائد عليه، وهذه اللفظة مأخوذة من لفظ " العرف "، وهو ما ارتفع من الأرض حتى يظهر ويتميز. وأما " علمت " فأصل موضوعها للمركبات لا لتمييز المعاني المفردة، ومعنى **لتركيب** إضافة الصفة إلى المحل، وذلك أنك تعرف " زيداً " على حدثه، وتعرف معنى " القيام " على حدثه، ثم تضيف القيام إلى " زيد " فإضافة القيام إلى زيد هو التركيب، وهو متعلق العلم.³ فالتركيب عند الإمام السهيلي هو: إضافة القيام إلى " زيد " بمعنى أن هناك اسم وأضيف إلى هذا الاسم. ويقول أيضاً: "... ولولا مقارنة (لو) لهذا الحرف لما جاز هذا، لأن الحروف لا تعمل في الأسماء معانيها أصلاً، فالعامل في هذا الاسم الذي بعد (لولا) كالعامل في هذا الاسم الذي هو الحديث من قولك: " لو أنك ذاهب ل فعلت كذا ". وأما اختصاص " لا " بالتركيب معها في باب " لولا زيد

1 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ١٤٨.

2 - نفسه، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

3 - نفسه، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

ذاهب لعلت كذا " . فلأنّ " لا " قد تكون منفردة تغني عن الفعل، إذ قيل لك: هل قام زيد؟ فتقول: لا. فقد أخبرت عنه بالعود. وإذا قيل لك: هل قعد؟ فقلت: لا. فكأنك مخبر بالقيام. وليس شيء من حروف النفي يكتفي به في الجواب حتى يكون بمنزلة الإخبار إلا هذا الحرف، فمن ثم صلح الاعتماد عليه في هذا الباب، وساغ تركيبه مع حروف لا تطلب إلا الفعل، فصارت الكلمة بأسرها بمنزلة حرف وفعل، وصار " زيد " بعدها بمنزلة الفاعل. ولذلك قال سيبويه: "إنه مبني على "لولا". وهذا هو الحق، لأنّ ما يهدون به من أنّه مبتدأ وخبره محذوف، لا يظهر، وخامل لا يذكر."^١ ويقول في مسألة قول وإذن: "لأنّ " لن " فيها معنى "أن" وإذا كان الأمر عندهم على الشك لا على الظن، كأنه يقول: أيقون أم لا يكون؟ (قلت في النفي لا يكون) وهذا كله مقول تركيبها من " لا " و " أن "."^٢

II . بين النظرية الخليلية الحديثة ونتائج الفكر في النحو:

• مفاهيم أساسية في النظرية الخليلية الحديثة: يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: اعتمد العلماء العرب- وزعيمهم في ذلك الخليل- على عدد من المفاهيم والمبادئ لتحليل اللغة، وأهمّها هي:

- مفهوم الاستقامة وما إليها وما يترتب على ذلك من التفريق المطلق بين ما يرجع إلى اللفظ وبين ما هو خاص بالمعنى.
- مفهوم الانفراد في التحليل من هذا المفهوم.
- مفهوم الموضع والعلامة العدمية.
- مفهوم اللفظة والعامل.^٣

١- الاستقامة وما إليها:...ومن ثم جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى، وأعنى بذلك أنّ اللفظ إذا حدّد أو فسّر باللجوء إلى اعتبارات تخصّ المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي (sémantique) لا غير، أمّا إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي (sémiologico- grammatical).^٤ والإمام السهيلي في كل تحليلاته يعتمد اللفظ والمعنى.

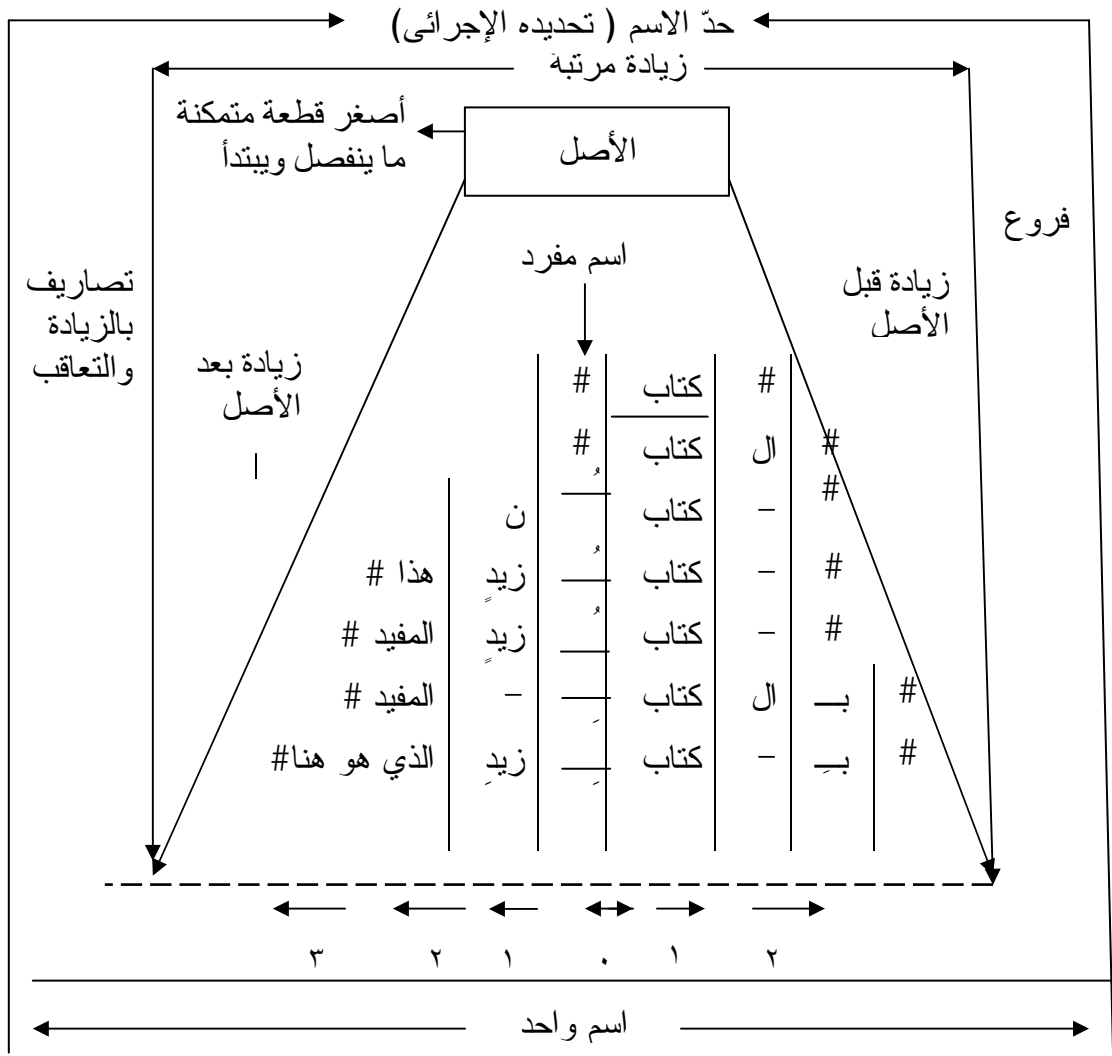
١ - نفسه، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

٢ - نفسه، ص ١٠٣.

٣ - نفسه، ص ٣٠.

٤ - نفسه، ص ٣١.

٢- الانفراد وحدّ اللفظة: يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: " وبالفعل كان المنطلق عندهم (الخليل وسيبويه) كل ما ينفصل ويبتدئ وهي صفة الانفراد ويمكن أن يكون بذلك الأصل لأشياء أخرى تتفرّع عليه. ولهذا فيجب أن ينطلق من أقل ما ينطلق به ممّا ينفصل ويبتدئ (= ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربيّة. وكل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلته، ولهذا سمّي النحاة الأوّلون هذه النواة بالاسم المفرد و" ما بمنزلة الاسم المفرد" وأطلق عليها ابن يعيش والرّضي اسم " اللفظة" و" ترجمناها بـ Lexie".¹ ويقول: " وهكذا يمكننا نحن أن نبنّي انطلاقاً من هذه المفاهيم وهذا التّصوّر المثال والحدّ (modèle) الذي يتحدّد به الاسم لفظياً ليس إلّا:



1 - نفسه، ص ٣٢.

"والفرق بين هذا التحويل وغيره مما يوجد عند البنيويين هو أنّ الوحدات الداخلة في اللفظة (الكلم) تتحدد بهذا التفريع (التحويل بزيادة دون أن تتجاوز حدّ اللفظة). فالتحويل هو الذي يحدّد الوحدات في النظرية الخليلية ولا تحتاج إلى التحليل إلى " المكونات القريبة" الذي صاغه تشومسكي على شكل شجرة.¹ ولقد ذكرنا فيما سبق كيف حدد الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح الاسم والفعل.²

٣- **تعريف الكلمة:** "والكلمة عند النحاة الأولين هي في هذا المستوى أدنى عنصر تتركب منه " اللفظة"، وعلى هذا فالكلمة كاصطلاح نحوي ليست دائماً مورفيماً أي أقلّ ما ينطق به ممّا يدل على معنى، لأنّه لا بدّ من التمييز بين العنصر الدال الذي يُمكن أن يحذف دون أي ضرر أو تغيير للعبارة وهو الكلمة كالحذف لحرف الجر فخروجه لا يسبب تلاشي الاسم وبين العنصر الدال الذي إذا حذف أو استبدل بشيء آخر تلاشت العبارة التي يدخل فيها وذلك كالتاء في "افتعل" وحروف المضارعة فهذه مورفيّات ولكنها ليست كلاً لأنّها عناصر داخلة في صيغة الكلم فهي من مكونات الكلمة وليست من مكونات اللفظة وليس لها الاستقلال النوعي الذي للكلم.³ " ليست "اللفظة" الوحدة الصغرى التي يتركب منها مستوى التراكيب (niveau syntixique) لأنّ لهذا المستوى وحدات أخرى من جنس آخر أكثر تجريداً.⁴ ويقول: " وأما مجال المعنى فيعتقد الخليليون أنّ المعاني تنقسم هي أيضاً إلى أصول وفروع. فأما الأصول فهي التي تتحدّد بدلالة اللفظ ليس إلا، وهي من معطيات المواضعة (données sémiologique) الخاصة بلغة من اللغات في زمان معيّن من تطورها. أما الفروع فهي المعاني التي تتحدّد بدلالة غير لفظية.⁵ وكذلك يرى أنّ: " التمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب والنظرة إليه كبنية: إنّ سيبويه والخليل قد انفردا مع أكثر النحويين الأقدمين بنظرية اندثرت بعدهم وصارت بعد غزو المنطق اليوناني خاصّة لا يتفطن إليها إلاّ الأفذاذ من النحاة مثل السّهيلي والرّضي الاسترابادي. ومن أهمّ المبادئ التي بُنيت عليها هذه النظرية نذكر تمييزهم الصارم في تحليلهم للغة بين الجانب الوظيفي من جهة وهو الإعلام والمخاطبة أي تبليغ الأغراض

1 - نفسه، ص ٣٤.

٢ - ينظر، مفهوم الاسم والفعل لدى المعاصرين.

3 - عبد الرحمان الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة- مفاهيمها الأساسية"- نفسه، ص ٣٥.

4 - نفسه، ص ٣٦.

5 - نفسه، ص ٣٩ - ٤٠.

المتبادل بين ناطق وسامع، وبين الجانب اللفظي الصوري من جهة أخرى أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بقطع النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظية. إذ هناك دلالة اللفظ ودلالة المعنى.^١

٤- **اللفظ:** " وقد بنى على ذلك النحاة أنّ اللفظ هو الأول لأنّه هو المتبادر إلى الذهن أولاً ثم يفهم منه المعنى ويترتب على ذلك أنّ الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله وهو الأصل (الذي ليس فيه زيادة ولا علامة له بالنسبة إلى ما يبني عليه) "٢.

وقد تكوّنت حلقة من الباحثين العرب في عصرنا هذا بعد أن انتبه بعضهم إلى هذه الأشياء وهم يحاولون الآن أن يوضحوا هذه الأفكار ويواصلوا ما بدأه الخليل وأتباعه، وقد أطلق بعضهم عليهم اسم المدرسة الخليلية الحديثة لهذا السبب، وهو شرف لهم أن ينتسبوا إلى هذا الرجل العبقري مع الإشارة إلى أنّ الكثير من هذه الأفكار هي للخليل ولغيره ممّن شاركوا في الحركة العلمية اللغوية انطلاقاً من أبي عمرو بن العلاء حتى ابن جني في القرن الرابع (وقد كان لهم أتباع أفذاذ ولكن قليلون بعد هذه الفترة وذلك كالتسهيبي والرّضي الاسترابادي).^٣ " فالحرف عند الأولين هو العنصر أي الوحدة المؤلّفة من قطعة صوتية وتنطبق كعنصر على الوحدة الصوتية (الفونيم) أو على المفردة أيّاً كانت اسماً أو فعلاً أو أداة.^٤ " فمع ذلك فإنّ تصوّر العام للنحو ليس هو بل أكثر هذه المصطلحات قد تغيّر معناها أو على الأصح تغيّر ما كان يقصده منها النحاة الأولون^٥

• **منطلق النظرية الخليلية الحديثة:** " أما في النظرية الخليلية الحديثة فلا يُنطلق فيها من مفهوم الجملة المفيدة (" الكلام المستغني" عند سيبويه) بل من مفهوم ما يسميه سيبويه: "ما ينفصل ويبتدأ"^٦ " والمقصود من ذلك هو أن يمكن بالنسبة إلى قطعة من الكلام أن ينطق بها منفردة لا يسبقها ولا يأتي بعدها شيء، مثل " زيد "، أو " الكتاب "، في الإجابة عن الأسئلة: من هذا؟ ومن خرج؟ وما هذا؟ فالمنطلق منه هنا يبني تحديده على مفهوم واحد هو " الانفراد "، والجدير بالملاحظة هو أنّ هذا المفهوم يوجد في مكان يتقاطع فيه

1 - نفسه، ص ١٠٢.

2 - نفسه، ص ٣١.

3 - نفسه، ص ٦٤.

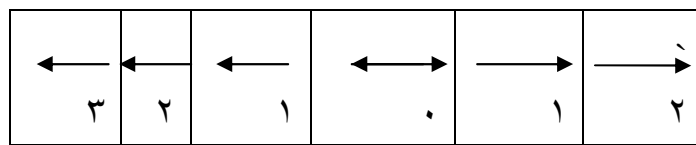
4 - نفسه، ص ٦٥.

5 - نفسه، ص ٦٥.

6 - نفسه، ص ٨٢، نقلاً عن سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٩٦.

الكلام كلفظ والكلام كخطاب فهو لفظ مسموع له بنية وكلام مفيد لمعنى. فيصبح أن ينطلق منه كمفهوم واضح معقول ومدرك حسيًا (فلا يحتاج ههنا أن نلجأ إلى مفاهيم ستظهر فيما بعد كمتفرقات لهذه الأوليات مثل الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر.) وسمي سيبويه هذه الوحدة الصغرى بـ "الكلمة المفردة".¹ الموظفون يحلون الجمل بعملية التقطيع المتسلسل والاسـتبدال (Segmentation / Commutation)، القراننيون الأمريكيون (Distributionalists) يلجؤون إلى التقطيع إلى مجموعات متداخلة من العناصر اللغوية يسمونها بالمكونات القريبة (Immediat Constituents). " فجاء تشومسكي فاستطاع أن يصوغها على شكل شجرة وهو مفهوم منطقي رياضي. ومهما كان فكل هذا عمل تحليلي - تقطيعي. أما عند الخليلين فالعمل، على عكس ذلك، تركيبى - تقريعي.² " أما عند الخليلين فالعمل، على عكس ذلك، تركيبى - تقريعي. وهذا طبيعي لأنهم ينطلقون في عملهم من أصغر ما يتخاطب به مفرداً، ويعتمدون في ذلك - كما فعل الخليل وسيبويه - على عملية تفرعية (أو تحويلية) واحدة زهي الزيادة على الأصل وهي تخضع لقواعد معينة.³ " ويقول: "هذا ويعتبر المثال المولد بالنسبة للمخاطب " مثلاً للتعرف الآلي على البنى" وما تحتوي عليه من العناصر المندمجة فيها لأنه مجموعة من المواضع المرتبة ترتيباً معيناً وهو نتيجة للعمليات التفرعية التي تحدّد هذه المواضع فتظهر على مستوى المحور التركيبى على شكل سلسلة من المواضع المرتبة، فهذا نسميه بالمثال التدرّجى لأنه يتحصل في درج الكلام أي ببعد واحد، وهكذا هو مثال الكلمة الذي هو وزنها وبنائها (فعل - فُعل - مَفْعَل، إلخ)، وهكذا هو المثال التركيبى:

[(ع ← م ١) + م ٢] + خ ، وهكذا هو المثال التدرّجى للفظة الاسمية:



(أنظر مثال

اللفظة الاسمية)

فبهذه المُثل التدرّجىة التي تظهر في الكلام على شكل تسلسل الوحدات المحصلة (وليست مثلها لأن المُثل دائماً اعتبارية (ليس لها محتوى محسوس) (actualized) يمكن أن نستكشف بنى الكلام المحصل وما يحتوى عليه من الوحدات. وهذا يقتضى أن يعتمد على

1 - نفسه، ص ٨٣.

2 - نفسه، ص ٨٣.

3 - نفسه، ص ٨٣.

معجم آلي لكل جنس من المفردات.¹ والإمام السهيلي أيضاً يجعل الاسم هو الأول ولم يشترك، وكلما أضفنا إليه حروف أضفنا فيه معنى، وكلما أضفنا له كلمة كونا جملاً مختلفة. ♥

• **مصطلح الوضع بين السهيلي والدكتور عبد الرحمان الحاج صالح:** يقول الإمام السهيلي: في قوله ﷻ " قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " ^٢ ، ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ ^٣ . قصد في هذه إلى تعيين ذواتها وتفصيل آحادها بخلاف ما تقدم. فإن قيل: فلم قال في سورة سبا: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وفي سورة يونس: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^٤ وهل في النظم المعجز ما يقتضي فرقاً بين الموضعين. قلنا: نعم، قد يرد لفظ السماء عبارة عن كل ما علا من السماوات فما فوقها إلى العرش وغير ذلك من المعاني العلوية المختصة بالربوبية، فيكون اللفظة بصيغة الإفراد كالوصف المعبر به عن الموصوف، كما تقدم في الوصف قبل هذا. وقد يكون السماء عبارة عن السماء الدنيا عرفاً، ويكون عبارة عن السحاب الذي ينزل منه الماء، وكان المخاطبون بهذه الآية - أعني التي في يونس - مقرين بنزول الرزق من هذه السماء - أعني الرزق المحسوس كالغيث ونحوه وقد قال ﷻ في آخر الآية: ﴿ فسيقولون الله ^٥ فلما انتظم هذا الكلام بما قبله لم يصلح في النظم إلا ذكر السماء مفردة، لأنهم لا يقرون بما ينزل من فوق ذلك من الرزق المعقول والرحمة بالعباد كالوحي الذي به حياة الأرواح والأجساد، بل ينكرون ذلك، فوردت السماء فيها بلفظ الإفراد، بخلاف الآية الأخرى، فإنه لم ينتظم بها ذكر إقرارهم بما ينزل من الرزق، ولكنه قال ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ ^٦ فأمر نبيه بهذا القول الذي هو تصديق لنزول الرزق، والخبر هو الحكمة والعلم - وهو أفضل الرزق -

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر ٢٠٠٧، ج٢، ص ٩٣.

♥ - ينظر ما قدمناه فيما سبق عن الاسم عند الإمام السهيلي، ويمكن كذلك العودة إلى كتاب نتائج الفكر في النحو.

² - سبا، الآية: ٢٤.

³ - الطلاق، الآية: ١٢.

⁴ - يونس، الآية: ٣١.

⁵ - يونس، الآية: ٣١.

⁶ - سبا، الآية: ٢٤.

من فوق سبع سماوات، وأما الرزق من الأرض فيصلح ذكره في الاثنتين جميعاً، إذ لا ينكر رزق الأرض وما ينزل من الغيث من هذه السماء بر ولا فاجر، بل يعترف به المؤمن والكافر. فتأمل ما ذكرته من هذه النكت فإنها أنف لم أزاحم عليها ولا وجدتها لأحد تقدمني إليها، والله الموفق لشكر يقتضي الزيد من فضله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.¹ ويقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح: "والدليل على عدم تطابق الموقع المحصل المحسوس للوحدة والموضع عند النحاة العرب هو تمييزهم بين حالة الوحدة التي هي عليه في اللفظ وما ينبغي أن تكون عليه بحسب ما يقتضيه القياس أو الباب، وقد يتطابق اللفظ والموضع وقد يفترقان، فإذا جاء اللفظ مخالفاً للموضع بحث النحاة عن العلة أي عن العارض الذي أخرجه عن أصله ووجهه...²" ويقول أيضاً "فالحمل على الموضع كثير في كلام العرب."³ وفي مثال آخر يقول السهيلي: "فإن قيل: فما الفرق بين قوله ﷺ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾⁴ . (وبين قوله ﷺ): ﴿وَقَرِيبًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾⁵ حتى ثبتت التاء في إحداهما، وحذفت في الأخرى؟ قلنا: لو كان هذا السؤال في غير القرآن ما احتاج إلى جواب، لأن الإثبات والحذف جائزان، فللمتكلم أن يفعل من ذلك ما شاء، ولكن كلام (الحكيم) الخبير ليس كغيره من الكلام، لإعجازه في الأسلوب والانتظام. والفرق بين الموضعين المتقدمين لائح من وجهين: أحدهما لفظي والآخر معنوي. أما اللفظي فهو أن الحروف الحواجز بين الفعل والفاعل في قوله ﷺ: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أكثر منها في قوله ﷺ: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ . وقد تقدم أن الحواجز بين الفعل والفاعل) كلما كثرت كان حذف " التاء " أحسن - وأما الفرق من جهة المعنى فإن (مَنْ) في سورة النحل واقعة على الأمة، وهي مؤنثة لفظاً، ألا تراه يقول ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾⁶ ثم قال ﷺ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ . أي: من الأمم أم ضلت أو حقت عليها الضلالة (ولو قال بدل ذلك: ضلت، لتعينت التاء، ومعنى الكلامين واحد، وإذا كان معنى الكلامين واحداً كان إثبات التاء أحسن من تركها، لأنها ثابتة فيما هو في معنى الكلام. وليس كذلك قوله

1 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ١٢٤ - ١٢٥.

2 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج ٢، ص ١٢.

3 - نفسه، ص ١٢.

4 - النحل، الآية: ٣٢.

5 - الأعراف، الآية: ٣٠.

6 - النحل، الآية: ٣٢.

عَلَيْكَ: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ ، لأنَّ معناه: وفريقاً ضلوا، بغير تاء في اللفظ، فليحسن حذفها إذاً فيما هو في معناه، فكثيراً ما تفعل العرب ذلك، تدع حكم اللفظ الواجب له في القياس، إذا كان في معنى الكلمة ما ليس له ذلك الحكم، ألا تراهم يقولون: " هو أحسن الفتيان وأجمله في معنى: هو أحسن فتى وأجمله، ونظائره كثيرة. فإذا حسن الحمل على المعنى فيما كان القياس أن لا يجوز، فما ظنك به حيث يجوز القياس والاستعمال. وأحسن من هذه العبارة أن تقول: إنهم أرادوا " أحسن شيء وأجمله"، بجعل " شيء " مكان " فتى " في اللفظ، لأن في الصحيح قوله عليه السلام: " خير نساء ركين الإبل صالح نساء قريش، أحناء على ولد في صغره، وأرعاه (على زوج) في ذات يده ". فلو كان التقدير هناك: " أحسن فتى " حين ذكر الفتيان، لقلنا هنا: " أحناءها على ولد " إذا ذكر النسوان. ولكن التقدير كما قدرناه لا كما قدروه، والله المستعان.¹ ويقول الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: " ولا ينبغي أن نذهب بعيداً فالموضع لا يمكن أن يكون الموقع الظاهر في اللفظ وباللفظ أي بظهور لفظة محسوسة في كان معيّن من الكلام كما هو الشأن عند القرائنيين الأمريكيين (Slot) لسبب بسيط وهو: " أولاً اعتبار النحاة الموضع الذي تظهر فيه الوحدة في مستوى التراكيب واحداً سواء قدّمت أم أخرت وذلك مثل: " ضربت زيدا"، وزيداً ضربت"، فهذا يدل على أنّ الموضع المقصود عندهم غير الموقع اللفظي." يقول السهيلي: " ومن فوائد هذه المسألة أن يسأل عن المعنى الذي من أجله قال: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) بحرف " على ". وقال في موضع آخر: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) . وكذلك: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) . والفرق بين الموضعين أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفياً وإبداء ما كان مكتوباً، حقيقة الموجود دون معنى زائد، وقد استعمل أيضاً من لفظها: النفاسة والشيء النفسي، فصلحت للتعبير عن البارئ سبحانه وتعالى. بخلاف ما تقدم من الألفاظ المجازية. وأما " الذات "، فقد استهوى أكثر الناس - ولا سيما المتكلمين - القول فيها، إنها في معنى النفس والحقيقة، ويقولون: (ذات البارئ هي نفسه)، ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته، ويحتجون في إطلاق ذلك بقوله عليه السلام في قصة إبراهيم: " ثلاث كذبات كلها في ذات الله ".² ويقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح: " وثانياً إطلاقهم كلمة الموضع على الخالي من كل وحدة، وبعبارة أوضح على

¹ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ١٣٢-١٣٣.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص ١٢.

³ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

الموقع الذي كان يمكن أن تظهر فيه وحدة تنتمي إلى الباب من الوحدات التي تدخل عادة في هذا الموضع.¹ ويقول أيضاً " فبهذا يتضح أنّ الموضع هو موقع تقديري واعتباري أي مجرد تقتضيه بنية الجملة في مستوى التراكيب وقد يكون خالياً فلا يظهر له أثر في اللفظ المسموع. فهو وضعٌ معين يجب أن يكون عليه كل واحد من مكونات الجملة لفظاً أو تقديراً، فقد تخلو الجملة من بعض أجزائها إلا أنّ مواضعها موجودة متصورة مرسومة في مثال الجملة أي نمطها وقياسها. وما يقال عن الموضع هاهنا يمكن أن يقال عن الموضع في مستويات أدنى منها.² ويقول كذلك: " الموضع فيما نسميه في النظرية الخيلية الحديثة باللفظة: إنّ الاسم أو الفعل عند النحاة الأولين لا ينحصران في مثل: كتاب ورجل وفرس وضرب وجلس وأمثلتها، أي لا يكون مثل كتاب هو الوضع الوحيد لما يسميه النحاة اسماً وكذلك ضرب أو ضربت أو ضربوا لا تكون أفعالاً هي وحدها... فالاسم كبنية له ستة مواضع يمكن أن تخلو مما تدخل فيها إلا الموضع المركزي وهو " الاسم المفرد" كما يقول سيوييه...³ ويقول "فكل هذه المواضع تكون مثال الاسم، وحتى لا يقع التباس بين الاسم ككلمة (أي مجردة مما يدخل عليها) مبين الاسم مع الزوائد الداخلة عليه أطلقنا على هذا الأخير مصطلحاً استعمله الرضي وابن يعيش وهو اللفظة (وهذا مستوى بين الأفراد (الكلم) وبين التركيب). (الاسمية أو الفعلية)"⁴ ولست في صدد دراسة مقارنة بين النظرية الخيلية الحديثة للدكتور عبد الرحمان الحاج صالح وكتاب نتائج الفكر في النحو للأستاذ السهيلي؛ وإنما من خلال هذه الدراسة توصلت إلى القول إنّ نحو السهيلي هو نفسه نحو الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهذا ما سبق بذكره أستاذنا الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح. وربما سأنجز دراسة مفصلة بين النظرية الخيلية الحديثة وكتاب نتائج الفكر في النحو، في يوم ما إن شاء الله، فأعتقد أنّه بإمكاننا التوصل إلى نتائج أفضل من خلال دراسة كتاب نتائج الفكر باستعمال النظرية الخيلية الحديثة.

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص ١٢.

² - نفسه، ص ١٣.

³ - نفسه، ص ١٣.

⁴ - نفسه، ص ١٤.

الفصل الرابع

المستوى الصوتي

I. أصوات المد لدى القدماء:

أ- أصوات المدّ عند الفراء (ت ٢٠٨ هـ): " قد تكون إشارة الفراء إلى عمل اللسان في أثناء إصدار أصوات المدّ أول إشارة عربيّة صريحة في هذا الشأن، إذ أنّه ذهب إلى أنّه لمخرجي " الضم والكسر مؤونة على اللسان" بيد أنّه لم يشر إلى طبيعة هذه المؤونة، وما يعنى بها، ثم نلاحظ أنّه يخص بذلك الضم والكسر، فيخرج الفتح من ذلك، إذ يرى أنّ الفتحة تخرج من خرج الفم بلا كلفة "، وهو رأي يقترب مما ذهب إليه سيبويه في تعريف الألف من (أنّه ليس منها علاج على اللسان والشفة... أنّما هي بمنزلة النفس). ثم يشير الفراء إلى دور الشفتين في الضمة والكسرة، فيذهب إلى أنّ (الشفتين تنظم الرفعة بهما، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة)، ثم يخرج الفتحة من ذلك أيضاً بما يشعر بأنّ الشفتين عنده تأخذان في أثناء نطقها وضعا محايداً. ويمكن أن نلاحظ أيضاً ما يأتي:

١- إنّ الفراء نظر إلى أصوات المدّ الثلاثة على أنّها تمثل قسمين من الأصوات:

القسم الأول: ويضم الكسرة والضمة، وهما في رأيه صوتان ثقلان. **القسم الثاني:**

ويضم الفتحة وحدها، وهي في رأيه صوت ليس ثقلاً.¹

ب - أصوات المدّ عند سيبويه (ت ١٨١ هـ): قسّم سيبويه الأصوات اللغوية وفقاً لمعيار " تحكم جهاز النطق بالهواء الخارج من الفم" إلى أقسام عدة هي:

١- الأصوات الشديدة، وعرفها بأنّها أصوات يمتنع الصوت أن يجري فيها وهو

تعريف قريب من تعريفنا لما نصطلح عليه بالأصوات الانفجارية، وأدرج تحت

هذا القسم أصوات الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والذال والباء.

٢- الأصوات الرخوة: وعرفها بأنّها الأصوات التي يجري فيها الصوت وهو تعريف

قريب مما نصطلح عليه بالأصوات الاحتكاكية المستمرة، وأدرج تحت هذا القسم

الهاء والحاء والغين والحاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والطاء والتاء

والذال والفاء.

٣- أصوات بين الشدة والرخاوة، وصف بذلك صوت العين، ثم وصف أصوات اللام

والراء والنون والميم بشيء قريب من هذا، إذ ذهب إلى أنّها أصوات شديدة، ولكن

¹ - غالب فاضل المطليبي، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربيّة، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات ٣٦٤، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، ١٩٨٤، ص ٨٣.

الصوت يجري معها لأسباب مختلفة، وفي الحق أنّ وصفه لهذه الأصوات قريب من الوصف الحديث.¹

٤- الأصوات اللينة: وهي أصوات الألف والواو والياء، لعله وصفها باللين مقابلة لوصف غيرها من سائر الأصوات بالشدّة أو الرخاوة أو التوسط بينهما وكأنّه أراد أن يشير بهذا إلى درجة رابعة في التحكم بإخراج الهواء في أثناء أداء الصوت اللّغوي، ويبدو أنّ فكرة (اللين) في هذا المصطلح لا تشير إلى معنى (الضعف)، بل إلى معنى السهولة في إخراج الصوت بلا احتباس أو تضيق من نحو ما نلاحظ في الأصوات اللينة فقد ذهب إلى أنّ الألف والواو والياء (وتدخل معها أصوات المد القصيرة وهي أصوات عدّها سيبويه أجزاء من الألف والواو والياء): " أصوات غير مهموسة وهي حروف مدّ ولين، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضمّ غيرها".

ويمكن أن نلاحظ في هذا التعريف ما يأتي أيضاً:

١- أنّ هذه الأصوات مجهورة.

٢- أنّها أصوات يمدّ بها الصوت، وهي عبارة تحمل طائفة من المعاني المتقاربة، منها أنّها أصوات يمكن إطالة التصويت بها ومطله، أو أنّها أصوات ذات طابع موسيقي أو أصوات ذات قوة إسماع عالية... الخ.

٣- حرية مرور الهواء في أثناء نطقها بحيث لا يذانيها في ذلك إلا صوت لغوي آخر، لأنّ " مخارجها متسعة لهواء الصوت وليس من الحروف أوسع مخارج منها".

٤- في حالة خلوصها للمد لا تتعلق بشيء من جهاز النطق، فلا (تضمها شفة ولا لسان، ولا حلق كضمّ غيرها).

٥- أنّ سيبويه أبعد الهمزة عن هذه الأصوات، وفي الحق أنّ سيبويه جنح عن ترتيب الخليل للأصوات التي وصفها الخليل بالاعتلال عن غيرها، ولا يعطينا سيبويه من أقصى الحلق مع الهمزة والهاء وليس لذلك من مسوغ سوى أنّ سيبويه فكرّ بأنّ الهمزة والألف صوتان مستقلان، ولأنّ الألف كذلك فكأنّه خارج من الحلق شأنه شأن الأصوات الحلقية التي هي أصوات مستقلة. ثم جعل مخرج الياء مع الجيم والشين وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، ثم جعل الواو مع الباء والميم في أنّ مخرجها جميعاً الشفتان. ونلاحظ

¹ - نفسه، ص ٧٧.

في هذا المجال أنه إذا كان ثمة ما يسوغ إبعاد الهمزة عن أصوات الألف والواو والياء في الترتيب الصوتي. وهو ما جنح سيبويه إلى الأخذ به فإن ما فعله سيبويه من حشر لأصوات الألف والواو والياء في داخل ذلك الترتيب الصوتي أمر لا يمكن تسويغه، فالألف من جهة لا يمكن أن يوضع مع أصوات أقصى الحلق. إذ أنه صوت مدّ لا حيز له، والواو والياء من جهة أخرى قد أدخلتا في مواضع لا تكون لهما إلا في بعض الحالات، وهي تلك الحالات التي تكون لهما فيها خصائص "صامتية"، حين يكونان في حالة نصف Semi-Vowel في حين أنّ هذين الصوتين في كثير من أحوالهما يعدّ أنّ صوتي مد محضين Ling Vowels وهي فكرة لا يشير ترتيب سيبويه للأصوات اللغوية العربيّة إليها. ومن هذا المنطق يمكن القول: إن فكرة الخليل في إخراج هذه الأصوات في طائفة مستقلة، قد يكون من وجهة النظر الصوتية الفونولوجية أكثر دقة إذ أنّ ذلك سوف يغنينا عن النظر إلى ازدواجية هذه الأصوات في الوظيفة والخصائص. بيد إن هذا لا يعني أنّ سيبويه لم يفتن إلى ازدواجية صوتي الواو والياء واختلافهما عن الألف في ذلك، إذ لاحظ أنّ (الألف لا تتغير على كل حال، لأنها حركت صارت غير ألف، والواو والياء تحركان ولا تغيران)، ثم يشير إلى أنّ الألف حرف (لين اتسع مخرجه لهواء الصوت، مخرجه اشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك) والتعبير بـ(قد) هنا تعبير دقيق، فكأنّ سيبويه أراد أن يشير بذلك إلى وجود حال يجنح فيها صوتا الواو والياء عن أن يكونا صوتي مدّ محض.¹ "فكرته عن دور اللسان: لقد فطن سيبويه إلى شيء من عمل اللسان في أثناء نطق أصوات المدّ فقد قسمها إلى ضربين من الأصوات:

١- مرتفعة، وأشار بذلك إلى الواو والياء، والضمّة والكسرة؛

٢- مستقلة، وأشار بذلك إلى الألف والفتحة.

وكذلك يقول: إنّ فكرة الارتفاع والاستقلال مرتبطة عند اللغويين العرب إلى حد كبير بارتفاع اللسان وانحطاطه في داخل الفم في أثناء نطقه الأصوات اللغوية فكأنّ الألف عند سيبويه صوت يكون اللسان في أثناء نطقه منحطاً في قاع الفم بل هو ذهب إلى ذلك صراحة، إذ أنّ الألف عنده (ليس منها علاج على اللسان... إنما هي بمنزلة النفس) ثم كأنّ الواو والياء والضمّة والكسرة أصوات يكون اللسان في أثناء نطقها مرتفعاً، وقد يساعدنا على الاعتقاد بذلك ما ورد عن سيبويه من وصف لصوت

¹ - نفسه، ص ٧٨ - ٧٩.

الياء، إذ أنه وضعه مع الأصوات التي يكون للجزء الأمامي من اللسان دور في أثناء حدوثها، بل هو يشير إلى ذلك صراحة في بعض المواضع.¹ " فكرته عن دور الشفتين: لقد لاحظنا في تعريف أصوات المدّ عند سيبويه أنه ذهب إلى أنها لا تتعلق " بشفة"، وهو يعني بذلك أنه لا أثر للاحتكاك بالشفنتين في أثناء إصدارها، ثم هو يكرر كلاماً من هذا القبيل في حديثه عن الألف، إذ أشار إلى أنه ليس لحركة الشفتين في أثناء إصدار هذه الأصوات دخل في حدوثها. لكننا من جانب آخر نلاحظ أنه قد وضع الواو، وهو يقصد هنا الواو نصف المد مع الأصوات الشفوية، وهو يشير بذلك إلى أن هذا التغيير في نطق الواو إنما كان بسبب من الاحتكاك بمنطقة الشفتين، وهو أمر غير صحيح من قبل النظرة الصوتية الحديثة، لأنّ هذا التغيير إنّما كان نتيجة احتكاك الجزء الخلفي من اللسان بالحنك بعض الاحتكاك، وليس نتيجة احتكاك الشفتين وان كنا لا نستبعد حدوث شيء من الاحتكاك بالشفنتين في هذه الحالة ولعل ما نلاحظه من تحول الواو نصف المدية إلى صامت من قبيل V أو P أو B في طائفة من اللغات كان بسبب من المبالغة في الاحتكاك بالشفنتين، إلاّ أنّ هذا الاحتكاك ليس هو الذي يحول صوت المد الطويل إلى نصف نصف مد كما أوضحنا ذلك سابقاً. هذه هي الأفكار الأساسية عن أصوات المد عند سيبويه، ومن المؤسف حقاً ألا يكون سيبويه قد أفرد لها مبحثاً خاصاً بها، فهي متناثرة في مباحث شتى ونحن إلى ذلك لا نجد حديثاً صريحاً عن أهميتها اللغوية أو وظيفتها، بل قد نجد في بعض الأحيان أخطاء في النظر إلى هذه الأصوات، من ذلك نظرتة إلى امتناع مجيء حركة بعد أصوات المد الطويلة في العربية على أنه أمر يعبر عن سكون هذه الأصوات، وهو خطأ واضح، إذ لا يمكننا أن نصف هذه الأصوات بالسكون ولعل ذلك راجع إلى أفكار الخليل السابقة، وإلى النزعة الصرفية - وليس الصوتية - في دراسة هذه الأصوات، لكننا لا نعدم إشارة غامضة تشير إلى عدم اقتناع سيبويه بفكرة السكون هذه، فقد ذهب في بعض أقواله إلى أن صوت المدّ بمنزلة المتحرك.² ويقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: " لم يفهم الكثير ممن جاء بعد سيبويه أنّ الهمزة وأصوات الحركات والمدات لا تختلف بمكان حدوثها فليس للهمزة مخرج يختلف عن مخرج أخواتها إنّما اختلافها

1 - نفسه، ص ٨٠.

2 - نفسه، ص ٨١.

في كيفية حدوثها: الهمزة شديدة (إغلاق الأوتار ففتح دفعة)، والهاء بتضيق فوهة الحنجرة، وأصوات الحركات والمدات باهتزاز الأوتار كما هو معروف.^١

II. الحركة والحرف عند السهيلي:

١- **تعريف الحركة:** يقول الإمام السهيلي: " الحركة عبارة عن تحريك العضو الذي هو الشفتان عند النطق بالصوت الذي هو الحرف، والحرف عبارة عن جزء من الصوت."^٢ ويقول: "ومحال أن تقوم الحركة بالحرف حتى يقال: حرف متحرك، حقيقة، لأنّ الحرف الذي هو جزء من الصوت عرض عند جميع العقلاء إلا النظام."^٣ بمعنى أنّه يمكن استعمال مصطلح الحرف المتحرك لأنّ الحرف جزء من الصوت. ويقول الإمام السهيلي عن قول النظام: " وقوله لا ينسق مع الصواب في نظام فإذا ثبت أنّ الصوت عرض والحركة عرض آخر، فقولنا: (حرف) متحرك أو ساكن، مجاز لأنّ السكون أيضاً ضد الحركة ومحلّه محلها. وهو العضو، إذ لا تقوم الحركة والسكون إلا بجسم أو جوهر، فإذا ثبت ذلك"^٤ " وجب أن يكون إعرابه الجزم الذي هو نفي الحركة وانقطاع الصوت، ليتطابق اللفظ والمعنى كما تقدم في باب الإعراب."^٥

٢- **تعريف الضمة:** يقول: " فالضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق بالحرف، فيحدث عن ذلك صوت خفي مقارن للحرف، وإن امتد كان " واواً " وإن قصر كان ضمة. وصورتها عند حذاق الكتاب صورة " واو " صغيرة لأنها بعض واو."^٦ " فالضم الذي هو ضده (يقصد ضد الفتح) ينبئ عن القلة والحقارة، ولذلك تجد المقلل للشيء يشير إليه بضم فم أو يد، كما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذكر الساعة التي في يوم الجمعة، وأشار بيده يقللها، لأنه ضم بين إبهامه وأصبعه - ﷺ -."^٧ "وقد تقدم أنّ الحركة بعض الحرف الذي هو حرف المد، فالضمة التي هي علامة الرفع في قولك " أخ "، هي بعينها علامة الرفع في " أخوك "، إلا أنّ الصوت بها مد، ليتمموا اللفظ كما تمموا المعنى بالإضافة إلى ما بعد الاسم، ولم يحتاجوا مع تطويل حركات

١ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج ٢، ص ٦١.

٢ - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص ٦٦.

٣ - نفسه، ص ٦٧.

٤ - نفسه، ص ٦٧.

٥ - نفسه، ص ١٠٠.

٦ - نفسه، ص ٦٧.

٧ - نفسه، ص ٧١.

الإعراب إلى إعادة ما قد حذف من الكلمة رأساً، كما لا يعاد ما حذف من (يد) و (دم) .^١ ولما كان الإخبار عن جمع ما يعقل بخلاف ذلك، وكان كل واحد من الجمع فيه يتعين غالباً في القصد إليه والإشارة، وكان اجتماعهم في الغالب عن ملأ منهم وتدبير وأغراض عقلية، جعلت لهم علامة تختص بهم تنبئ عن الجمع المعنوي كما هي في ذاتها جمع لفظي، وهي " الواو "، لأنها ضامة بين الشفتين أو جامعة لهما.^٢ " حيث كانت هي الضمة في الحقيقة ومخرجها في النطق من الشفتين، واطراد هذا المعنى فيها في جميع أبوابها.^٣

٣- تعريف الفتحة: يقول: " والفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف وحدوث الصوت الخفي الذي يسمى فتحة أو نصبة، وإن امتدت كانت ألفاً، وإن قصرت فهي بعض ألف. وصورتها كصورة ألف صغيرة.^٤ " فما ظنك بالفتحة التي هي حركة، والحركة أضعف من الحروف، ولا سيما والفتحة أضعف الحركات؟^٥ " وأبقوا من الألف بعضها وهي الفتحة^٦

٤- تعريف الكسرة: يقول: " مثلها مثل الفتحة فيقول: " وكذلك القول في الكسرة والياء أن إحداهما بعض الأخرى، وحدوثهما عند تحريك العضو بالكسر مع مقارنة الحرف.^٧ " وقد تقدم أن الكسر إشعار بالانقطاع عما قبل^٨ " لأن الكسر خفض للصوت وإخفاء له،^٩ " وكذلك القول في الكسرة والياء أن إحداهما بعض الأخرى، وحدوثهما عند تحريك العضو بالكسر مع مقارنة الحرف.^{١٠} " فقولنا إذاً: فتح، وضم، وكسر، وسكون، هو من صفة العضو، وإذا سميها رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً، فهي من صفة الصوت، لأنه

١ - نفسه، ص ٧٨.

٢ - نفسه، ص ٨٣.

٣ - نفسه، ص ١١٩.

٤ - نفسه، ص ٦٧.

٥ - نفسه، ص ١٩١.

٦ - نفسه، ص ١١٨.

٧ - نفسه، ص ٦٧.

٨ - نفسه، ص ٢٦٨.

٩ - نفسه، ص ٢٥٤.

١٠ - نفسه، ص ٦٧.

يرتفع عند ضم الشفتين، وينتصب عند فتحهما، وينخفض عند كسرهما، وينجزم عند سكونهما.¹ "فجعلوا الياء التي هي من الكسرة علامة الخفض"²

٥- تعريف السكون: يقول: "والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف، فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك، أي: ينقطع، فتسميه جزماً، اعتباراً بالصوت وانجزامه، وتسميه سكوناً، اعتباراً بالعضو الساكن."³ "والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف، فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك، أي: ينقطع، فتسميه جزماً، اعتباراً بالصوت وانجزامه، وتسميه سكوناً، اعتباراً بالعضو الساكن."⁴

ويخلص بالقول أن:

"فقولنا إذاً: فتح، وضم، وكسر، وسكون، هو من صفة العضو، وإذا سميناها رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً، فهي من صفة الصوت، لأنه يرتفع عند ضم الشفتين، وينتصب عند فتحهما، وينخفض عند كسرهما، وينجزم عند سكونهما."⁵ "ولهذه الحكمة عبر أرباب الصنعة بالرفع والنصب والجزم والخفض عن حركات الإعراب، إذ الإعراب لا يكون إلا بعامل وسبب، كما أن هذه الصفات التي تضاف إلى الصوت من رفع ونصب وخفض إنما يكون بسبب وهو تحرك العضو فاقتضت الحكمة اللطيفة والصنعة البديعة أن يعبر بما يكون عن سبب عما يكون لسبب وهو الإعراب، وأن يعبر بالفتح والضم والكسر والسكون عن أحوال البناء، فإن البناء لا يكون بسبب، أعني بالسبب العامل. فاقتضت الحكمة أن يعبر عن تلك الأحوال بما يكون وجوده بغير آلة، إذ الحركات الموجودة في العضو لا تكون بآلة، كما تكون الصفات المضافة إلى الصوت. فمن تأمل هذه الحكمة من أرباب الصناعة، رأى من بعد غورهم، ودقة أذهانهم، ورجاحة أحلامهم، وثقابة أفهامهم، ما يستدل به على أنهم مؤيدون بالحكمة في جميع أغراضهم وكلامهم. ولعلنا أن نعطف عنان الكلام بعد هذا إلى الخفض وتسميتهم إياه جرماً. والتكلم على صورته في الخط، إلى غير ذلك مما يليق ذكره بذلك المقام، والله المستعان."⁶

1 - نفسه، ص ٦٧.

2 - نفسه، ص ١١٨.

3 - نفسه، ص ٦٧.

4 - نفسه، ص ٦٧.

5 - نفسه، ص ٦٧.

6 - نفسه، ص ٦٨.

٦- رأيه في بعض الحروف التي ذكرها في كتابه:

أ- اللام: " وكذلك قال بعض الناس في قوله - عليه السلام -: " لا تتراءى ناراهما " أن " لا " ردع، وما بعدها واجب. لعمري إن في لفظها إشارة لهذا المعنى، حيث كان بعد اللام فيها صوت مديد ينقطع في أقصى الحلق، راجع إلى خلف مخارج الحروف، بخلاف " لم " فإنها مشاركة لـ " لا " في " اللام " المفتوحة كما هي مشاركة لها في النفي. ثم فيها " الميم " وصوتها بين يدي الفم، ليكون هواء الكلمة إلى ما بعدها، ومعناها فيما يتصل بها لا فيما وراءها، كما كان ذلك جائزاً في " لا " والله أعلم.¹

ب- الألف: ولذلك كان في لفظها ألف آخرة لما في الألف من الحد والانتساع في هواء الفم، مشاكلة لاتساع معناها في الأجناس.²

ج- الهمزة: "أما " الهمزة " فلأن مخرجها من الصدر، وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم إذ المتكلم في الحقيقة محله وراء حبل الوريد،³

د- بين الهمزة والألف والهاء: "وقد رأيت لابن فورك نحواً من هذا في اسم الله سبحانه، قال: الحكمة في وجود الألف في أوله أنها من أقصى مخارج الصوت قريباً من القلب الذي هو محل المعرفة إليه، ثم الهاء في آخره مخرجها من هناك أيضاً، لأن المبتدأ منه والمعاد إليه، والإعادة أهون من الابتداء، وكذلك لفظ الهاء أهون من لفظ الهمزة، هذا معنى كلامه.⁴" والجواب: أن الضمة التي هي علامة الرفع في الفاعل هي " واو " قصيرة الصوت، كما تقدم، و " الواو " تتقلب " ياء " عند مجاورة الباء، فنقول: هؤلاء مسلمي.

فالواو - وهي علامة الرفع - قد انقلبت بالمجاورة ياء، فكذلك الضمة إذا قلت: مسلم، تتقلب كسرة إذ أضفته إلى نفسك، كما انقلبت الواو في الجمع المسلم حين أضفت إلى نفسك. وإذا كان الواو - وهي أقوى من الحركة - تتقلب ياء في هذا الموطن، فما ظنك بالحركة وهي أضعف منها؟ فالكسرة الموجودة في اللفظ إذا قلت: قومي، عين الضمة التي قبل الإضافة، كما كانت الياء الأولى من قولك: مسلمي، هي الواو بعينها التي كانت في قولك: مسلمون، قبل الإضافة. وأما في حال الخفض، فالكسرة التي هي علامة الخفض ممتزجة بصوت الياء إذا كانت الياء ساكنة، وباقية على حالها إذا كانت الياء

1 - نفسه، ص ١٠٩.

2 - نفسه، ص ١٤٠.

3 - نفسه، ص ١٧١.

4 - نفسه، ص ١٧٦.

متحركة، فاستوى اللفظ في حال الرفع والخفض إذا قلت: قومي، أو: غلامي، كما استوى في الجمع إذا قلت: هؤلاء مسلمون، مررت بمسلمي. وأما الفتحة فقد غلب عليها صوت الياء، فاستوت مع الكسرة، وإذا كان الواو من "خاف" يغلبون عليها صوت الكثرة في حال الإمالة، حتى يكون اللفظ بها كاللفظ¹

و- **الهاء:** "وإنما استحقت" الهاء "ذلك لأن مخرجها من منتهى الصوت وغايته فصلحت للغايات، ولذلك قالوا: علامة ونسابة أي: غاية في صفتيهما.²
الحرف والصوت الذي منه ينتظم اللفظ³

ي- **النون:** "وأما إلحاق" النون "بعد حروف المد في هذه الأفعال الخمسة، فحملت على الأسماء التي في معناها المجموعة جمع السلامة والمثناة، نحو: "مسلمون" و"مسلمان"، وهي في تثنية الأسماء وجمعها عوض من التثوين كما ذكروا، ثم شبهوا بها هذه الأمثلة الخمسة، فألحقوا النون فيها في حال الرفع، لأنها إذا كانت مرفوعة كانت واقعة موقع الاسم، فاجتمع فيها وقوعها موقع الاسم ومضارعتها له في اللفظ، لأن آخرها حرف مد ولين، ومشاركتها له في المعنى، فألحق فيها النون عوضاً من حركة الإعراب حملاً على الأسماء كما حملت الأسماء عليها فجمعت بالواو والياء. وقد تقدم ذكر ذلك.
فالنون في تثنية الأسماء وجمعها أصل للنون في تثنية الأفعال وجمعها. وحروف المد في تثنية الأفعال وجمعها - أعني علامة الإضمار - هي أصل لحروف المد في تثنية الأسماء وجمعها، التي هي علامات إعراب، أو حروف إعراب كما تقدم.⁴ "فإن قيل: فلم لم يثبتوا هذه النون في حال النصب والجزم من الأمثلة الخمسة؟ قلنا: لعدم العلة المتقدمة وهي وقوعها موقع الاسم، وأنت إذا أدخلت النواصب والجوازم لم تقع موقع الأسماء، لأن الأسماء لا تكون بعد عوامل الأفعال، فبعدت عن الأسماء، ولم يبق فيها إلا مضارعتها لها في اتصال حروف المد بها، مع الاشتراك في معنى الفعل. فإن قيل: فأين الإعراب فيها في حال النصب والجزم؟ قلنا: مقدر، كما هو في كل اسم وفعل آخره حرف مد ولين، سواء كان حرف المد زائداً أو أصلياً، ضميراً أو غير ضمير، فالأصلي نحو: يرمي والقاضي، ونحو: عصا ورحى، والزائد نحو: سكرى، والضمير نحو: غلامي

1 - نفسه، ص ١٩٠.

2 - نفسه، ص ٢٥٠.

3 - نفسه، ص ٣٣.

4 - نفسه، ص ٨٤.

وصاحبي، إلا أنه مع هذه الياء مقدر قبلها - أعني الإعراب - وهو في (يرمي) و(بخشى) و (سكرى) ونحو ذلك مقدر في نفس الحرف لا قبله، لأنه لا يتقدر إعراب اسم في غيره، وإذا ثبت ذلك فقولك: " لن يفعلوا " و " لن تفعلوا " إعرابه مقدر قبل الضمير في لام الفعل¹

٧- قول السهيلي في طول صوت المد: يقول السهيلي: " وأما " أخت " و " بنت " فالتاء من " أخت " مبدلة من " الواو " وكما أبدلت منها في " تراث " و " تخمة "، وإنما حملهم على ذلك هاهنا أنهم رأوا المذكر قد حذفت لامة في الأفراد فقالوا: أخ، وكان القياس أن يقولوا في المؤنث: " أخته "، بهاء في الوقف، فلو فعلوا ذلك لكانت تلك التاء حرف إعراب في الإضافة والأفراد، ولم يمكنهم أن يعيدوا المحذوف في الإضافة تتميماً للفظ فيخالف لفظه لفظ المذكر، ولا أمكنهم من تطويل الصوت بالحركات ما أمكنهم في التذكير، لأن ما قبل (تاء) التانيث ليس بحرف إعراب، ولا أمكنهم نقصان اللفظ في الموطن الذي تم فيه المعنى، فجمعوا بين الأغراض بإبدالها تاء، لتكون في حال الأفراد علماءً للتانيث،² " فكان ينبغي أن تكون جازمة كالم، لأنها حرف نفي مختص بالأفعال، فوجب أن يكون إعرابه الجزم الذي هو نفي الحركة وانقطاع الصوت، ليتطابق اللفظ والمعنى كما تقدم في باب الإعراب.³ " وكذلك قال بعض الناس في قوله - عليه السلام -: " لا تتراءى ناراهما ": أن " لا " ردع، وما بعدها واجب. لعمرى إن في لفظها إشارة لهذا المعنى، حيث كان بعد اللام فيها صوت مديد ينقطع في أقصى الحلق، راجع إلى خلف مخارج الحروف، بخلاف " لم " فإنها مشاركة لـ " لا " في " اللام " المفتوحة كما هي مشاركة لها في النفي. ثم فيها " الميم " وصوتها بين يدي الفم، ليكون هواء الكلمة إلى ما بعدها، ومعناها فيما يتصل بها لا فيما وراءها، كما كان ذلك جائزاً في " لا ".⁴

" فحرف " لا ": لام بعدها ألف، يمتد بها الصوت ما لم يقطعه تضيق النفس، فإذا امتداد لفظها بامتداد معناها، و" لن " بعكس ذلك، فتأمله فإنه معنى لطيف، وغرض شريف، ألا ترى كيف جاء في القرآن البديع نظمه، الفائق على كل العلوم علمه: (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا) ، بحرف " لا " في الموضع الذي اقترن فيه حرف الشرط بالفعل فصار من صيغ

1 - نفسه، ص ٨٥.

2 - نفسه، ص ٨٩.

3 - نفسه، ص ١٠٠.

4 - نفسه، ص ١٠٩.

العموم، فانسحب على جميع الأزمنة، وهو قوله ﷺ: (إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ).^١

٨- بعض آرائه المتفرعة:

١- "وإذا كان الفتح يبنى عن السعة والكثرة، فالضم الذي هو ضده يبنى عن القلة والحقارة، ولذلك تجد المقلل للشيء يشير إليه بضم فم أو يد، كما فعل رسول الله ﷺ حين ذكر الساعة التي في يوم الجمعة، وأشار بيده يقللها، لأنه ضم بين إبهامه وأصبعه ﷺ. وهذا بين في الحكمة لمن تأمله، ونافع في التعليل لمن حصله."^٢

٢- "ولذلك تجد النحويين يعبرون عن هذا المعنى بالقلب لا بالإبدال، ويقولون في التاء من تراث وتخمة: بدل من واو، وفي الطاء من مصطفى كذلك. وفي الميم من " فم " وفي الألف المبدلة من التتوين في الوقف، يسمون هذا كله بدلاً ولا يسمونه قلباً، فاصغ لهذا الباب وفرغ له قلباً. فإن قيل لك: إذا كانت طوائف من العرب فد جعلك التثنية في جميع أحوالها بالألف للعلة التي ذكرتم، فلم لم يطردها على الجمع بالواو، فيكون في جميع أحوالها على تلك اللغة؟ فالجواب: أن الألف منفردة في الكثير من أحكامها عن الواو والياء. كانفرادها في الردف واختصاصها بالتأسيس وغير ذلك."^٣

٣- " وإنما أعرب المستقبل الذي هو أوله الزوائد لأنه تضمن معنى الاسم، إذ " الهمزة " تدل على المتكلم، و " التاء " على المخاطب، و " الياء " على الغائب، فلما تضمن بلفظ معنى الاسم ضارع الاسم فأعرب، كما أن الاسم إذا تضمن معنى الحرف بني."^٤

٤- " وأما ضمير الغائب المنفصل فـ " هاء " بعدها " واو " خصت " الهاء " بذلك، لأن الغائب لما كان مذكوراً بالقلب واستغنى عن اسمه الظاهر بتقديمه، كانت الهاء التي مخرجها من الصدر قريباً من محل الذكر، أولى بأن تكون عبارة عن المذكور بالقلب، ولم تكن " الهمزة " لأنها مجهورة شديدة، فكانت أولى بالمتكلم الذي هو أظهر، والهاء - لخبائها - أولى بالغائب، الذي هو أخفى وأبطن، ثم وصلت بالواو لأنه لفظ يرمز به إلى المخاطب، ليعلم ما في النفس من مذكور. والرمز بالشفقتين، والواو مخرجها من هناك، فخصت بذلك. ثم طردوا أصلهم من ضمير الغائب المنفرد فجعلوه في جميع أحواله

١ - نفسه، ص ١٠١.

٢ - نفسه، ص ٧١.

٣ - نفسه، ص ١١٩.

٤ - نفسه، ص ٥٥.

" هاء "، إلا في الرفع. وإنما فعلوا ذلك لأنهم رأوا الفرق بين الحالات واقعاً باختلاف الضمير، لأنه إذا دخلت عليه حروف الجر كسرت " الهاء " لضرورة اللفظ، وانقلبت واوه ياء.¹

٥- " والعمدة في الإشارة في هذا الموطن على اللسان، ولا يمكن إشارة اللسان إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان، التي هي آلة الإشارة دون سائر أجزائه، فليس إلا الذال أو التاء، فأما التاء فمهموسة رخوة، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان، والذال مجهورة فخصه بالإشارة إلى المذكر، وخصت التاء بالإشارة إلى المؤنث للفرق بينهما، وكانت أولى بها لهمسها، ولأنها قد ثبتت علامة للتأنيث في غير هذا الباب. ثم بينوا حركة الذال بالألف، كما فعلوا في النون من " أنا "، وربما شركوا المؤنث مع المذكر في الذال واكتفوا، " بالكسرة " والياء فرقا بينهما.²

أ- **حروف المد واللين:** يقول السهيلي " أن الأصل في الدلالة على المعاني الطارئة على الأسماء حروف المد واللين، وأبعضها - وهي الحركات - متى قدر عليها فهي أخف من غيرها، ومتى لم يمكن كان أشبه الحروف بها وأقربها إليها أولى بذلك مما هو أبعد منها. وأواخر الأسماء المعربة قد لحقتها حركات الإعراب فلا يصح أن يلحقها علامة للانفصال إلا غير الحركات وغير حروف المد واللين، لأن حروف المد واللين هي أنفس الحركات، إلا أنها مدت وطول بها الصوت، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. فإذا لم يمكن الحركة، ولا ما هي بعضها من الحروف، فأشبه الحروف بحروف المد واللين " النون " الساكنة لخفائها وسكونها، وأنها من حروف الزيادة، وأنهم قد جعلوها من علامات الإعراب في الأمثلة الخمسة، واختيرت علامة لتمكن الاسم، وتنبئها على انفصاله، ولذلك لا نجد فعلاً منونا أبداً، لاتصاله بفاعله واحتياجه إلى ما بعده. " وكذلك يقول: " وكان ينبغي على هذا أن يتم لفظها في حال الإضافة كما تم معناها، إلا أنهم كرهوا أن يخلو " الخاء " من أخ، و " الباء " من أب من الإعراب الحاصل فيها، إذ ليس في الكلام ما يكون حرف إعراب في حال الإفراد ولا يكون حرف إعراب في حال الإضافة، فجمعوا بين الغرضين ولم يبطلوا أحد القياسين، فمكنوا الحركات التي هي علامات الإعراب في حال الإفراد فصارت حروف مد ولين في الإضافة. وقد تقدم أن

1 - نفسه، ص ١٧٤.

2 - نفسه، ص ١٧٧ - ١٧٨.

3 - نفسه، ص ٧٠.

الحركة بعض الحرف الذي هو حرف المد، فالضمة التي هي علامة الرفع في قولك " أخ "، هي بعينها علامة الرفع في " أخوك "، إلا أنّ الصوت بها مد، ليتمموا اللفظ كما تمموا المعنى بالإضافة إلى ما بعد الاسم، ولم يحتاجوا مع تطويل حركات الإعراب إلى إعادة ما قد حذف من الكلمة رأساً، كما لا يعاد ما حذف من (يد) و (دم) .^١ ويقول: " وأما قولهم: " فوك " في الرفع، و " فاك " في النصب، و " فيك " في الخفض. فحروف المد فيها حروف إعراب بخلاف ما تقدم في " أخيك "، و " أبيك " و " حميك " والفرق بينهما وبين أخواتها أن " الفاء " لم تكن قط حرف إعراب لانفرادها، فلم يلزم فيها ما لزم في " الخاء " و " الباء " ألا تراهم يقولون: " هذا في " . و " جعلته في " كما يقولون: " هؤلاء مسلمي "، فيثبتونها مع ياء المتكلم.^٢

ب- في علامات الإعراب: قوله في هذا الباب: " وجميع ما يعرب به الكلام تسعة أشياء ". وذكر الحروف والحركات والحذف والسكون. وكلها أشياء في الحقيقة إلا الجزم والحذف، فإنهما عبارتان عن معدوم، والمعدوم ليس بشيء، وهو معلوم. وأما الحركات فأعراض، لأنها لحروف المد أبعاض، والحروف أصوات. وهي عند جميع المحققين من المتكلمين أعراض إلا (إبراهيم النّظام) ، وقد تقدم ذكر مذهبه فيما مضى.^٣ ويقول: " المتكلم في الحقيقة محله وراء حبل الوريد، ألا ترى إلى قوله سبحانه: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) . ألا تراهم يقول: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ) يعني: ما يلفظ المتكلم فإذا كان المتكلم على الحقيقة محله هناك، وأردت من الحروف ما يكون عبارة عنه، فأولاها بذلك ما كان مخرجه من جهته وأقرب المواضع إلى محله، وليس إلا " الهمزة " أو " الهاء " والهمزة أحق بالمتكلم لقوتها بالجهر والشدة، وضعف الهاء بالخفاء، فكان ما هو أجهر وأقوى أولى بالتعبير عن اسم المتكلم الذي الكلام صفة له، وهو أحق بالاتصاف به وأما تألفها مع " النون "، فلما كانت " الهمزة " بانفرادها لا تكون اسماً منفصلاً، كان أولى ما وصلت به النون أو حروف المد واللين، إذ هي أمهات الزوائد، ولم تكن حروف المد مع " الهمزة "، لذهابها عند النقاء الساكنين إذا قلت: أنا الرجل، و: أنا الغلام، و: أنا المخبر، وهذا كثير من كلام فلو حذف الحرف الثاني لبقيت " الهمزة " في أكثر الكلام منفردة مع لام التعريف، فتلتبس بالألف

١ - نفسه، ص ٧٨.

٢ - نفسه، ص ٨٠.

٣ - نفسه، ص ٨٧.

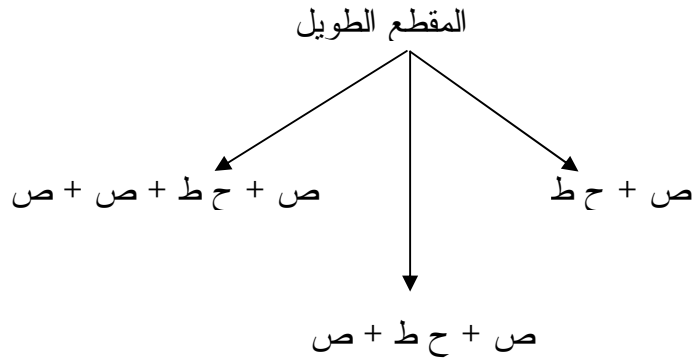
التي هي أخت اللام، فيختل أكثر الكلام. فكان أولى ما قرن به النون لقربها من حروف المد واللين.¹

III. دراسة آراء الإمام السهيلي في ضوء علم اللغة الحديث:

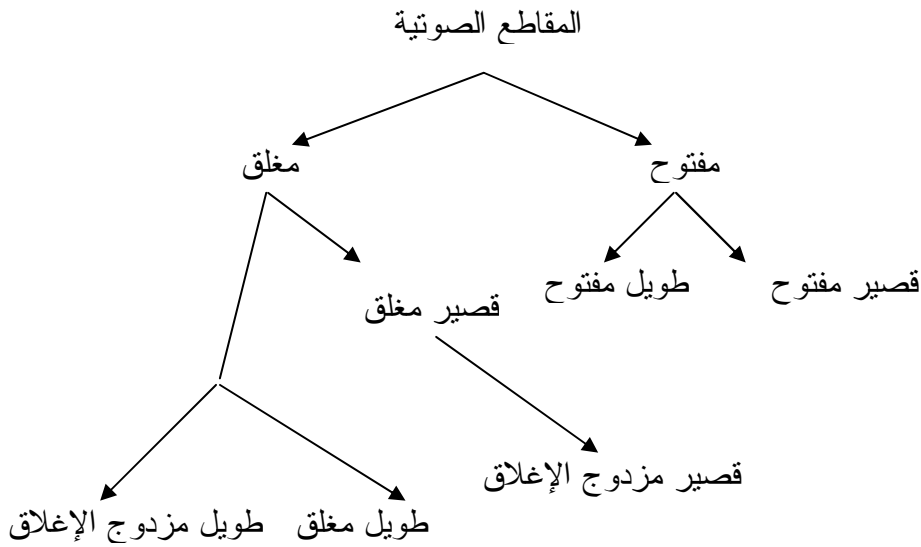
١- المقطع الصوتي: " إذا تجاوزنا الصوت المفرد، وانتقلنا خطوة أخرى نحو الأمام، واجهنا مجموعات الدنيا التي تسمى المقاطع. والمقطع يتألف في العادة من صوت صامت (صحيح) وآخر صائت، وقد يتألف من أكثر من ذلك، في مطلق الأحوال، لا بدّ فيه من الصائت، قصيراً كان أم طويلاً. خلافاً للغات أخرى يمكن فيها أن يكون المقطع خالياً من الصائت كما في الإنجليزية مثلاً، ففي كلمة stress المقطع الأول فيها لا صائت فيه وكذلك كلمة stop. وقد اهتم علماء الصوت بدراسة البنية المقطعية للغات لعدة أسباب، في مقدمتها أنّ معرفة المقطع وحدوده وأنواعه يمكن أن يسهّل على الطلبة تعلم عروض الشعر، لأنّه يعتمد على تكرار نمطي للمقاطع القصيرة والطويلة وفقاً لحساب عددي مقرّر لا حياض عنه. والشيء الثاني: أنّ معرفة المقاطع في اللغة في اللغة يساعد على النطق السليم للكلمات، ويضع حلولاً ناجحة أمام معلمي اللغة لغير الناطقين بها، فالمعلم يستطيع عن طريق تجزئة الكلمة الواحدة، لا سيما إذا كانت طويلة، عدة مقاطع، أن يدرّب الناطقين المتعلمين على ترديدها، مما يسهل عليهم من بعد النطق بالكلمة مجتمعة. علاوة على أنّ معرفة المقاطع من شأنها أن تذلل بعض الصعوبات الإملائية فالمتعلم غير العربي إذا عرف أنّ كلمة مستحيل مثلاً تتألف من المقاطع الآتية (مس/ تَ / حيل) لا يمكن أن يخطأ في كتابتها كأن يكتبها على النحو الآتي (مستحيل) أو (مستاحيل) لأنّها في الكتابتين سيختلف بناؤها المقطعي.² والمقطع في اللغة العربيّة نوعان يندرج تحت كل منهما أنواع، والنوعان الرئيسان هما المقطع القصير والمقطع الطويل. والمعيار في تسمية المقطع قصيراً أو طويلاً هو الصائت، فإن كان طويلاً سمي المقطع طويلاً كذلك، وإن كان قصيراً سمي المقطع قصيراً كذلك. فالمقطع القصير يتألف من صامت وحركة قصيرة، أو صامت وحركة قصيرة وصامت آخر، أو صامت وحركة قصيرة وصامتين، وأمّا المقطع الطويل فهو لا يختلف عن القصير إلا في شيء واحد وهو كون الحركة طويلة والحركة والحركات الطوال في العربيّة هي الألف و الواو والياء، ولتوضيح ذلك يمكن النظر في المخطط الآتي:

¹ - نفسه، ص ١٧١.

² - إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م - ١٤٢٧هـ، ط١، ص ٥٢.



وتصنف المقاطع الصوتية، من حيث ما تنتهي به إلى مقطع مفتوح وآخر مغلق، ومعيار الانغلاق والانفتاح هو نهاية المقطع، فإن انتهى بصامت عد مغلقاً وإن انتهى بصائت عد مفتوحاً، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:



٢- في الحركات: يقول الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح: " وفيما يخص أصوات اللّغة فلا نجد عند النحاة العرب مفهوم المصوت القصير ولا الطويل ولا المقطع ولا المصوت المزدوج بل نجد فيه مفهوماً خاصاً بهم هم وحدهم وهو الحركة ومقابلها السكون، وقد بني التحليل الصوتي - والعروض - كله على هذين المفهومين.¹ ويقول

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب: إيجابياته وسلبياته، ص ١١٧.

غالب فضل المطلبي: " اختلف اللغويون العرب في تسمية هذه الطائفة من الأصوات اللغوية التي اصطلح عليها بالانكليزية بـ Vowels اختلافاً كبيراً، ولو تتبعنا الأمر تتبعاً تاريخياً لوجدنا أنّ أول إشارة إلى تسمية هذه الأصوات قد جاءتنا منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) من قوله لصاحبه، في ذلك الخبر الذي يروى لنا تاريخ (الشكل): خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفقتي فانقط نقطة واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين) ويبدو من هذا النص أنّ تسميتها بالحركات قد تكون أطلقت عليها بسبب من الحركات التي تقوم بها الشفتان في أثناء النطق بها، وليس لعل في طبيعتها الصوتية " ١ " أما المصطلح الثاني فقد جاءنا من الخليل، وهو مصطلح " الحروف الهوائية " وقد أطلقه الخليل على الألف والواو والياء وقد علل هذه التسمية بأنه لم يكن لهذه الأصوات حيز تنسب إليه سوى الهواء و: أنه يشير بهذا إلى واحدة من أهم صفات هذه الأصوات وهي حرية مرور الهواء في أثناء التحقق الصوتي حرية تامة من غير حدوث احتكاك، وهو لهذه العلة أيضاً يسميها في موضع آخر:

٢- إنه يكاد يكون أكثر المصطلحات العربية في هذا المجال تعبيراً عن الطبيعة الصوتية لهذه الطائفة من الأصوات اللغوية، ذلك أنّ من صفاتها إمكان مد الصوت بها جراء خروج الهواء حراً إلى خارج الفم من غير حبس أو تضيق مما جعل بعض اللغويين المحدثين يعرفها بأنها أصوات يمكن الغناء بها، ولعل هذا المصطلح قريب في المعنى العام من مصطلح Vowel في اللغة الانكليزية إذ إنّ المصطلح الانكليزي يحمل في دلالاته العامة معنى الغناء ومد الصوت فقد أورد معجم أوكسفورد The Oxford English dictionary استعمالاً لـ Vowel تشير إلى ذلك من محو:

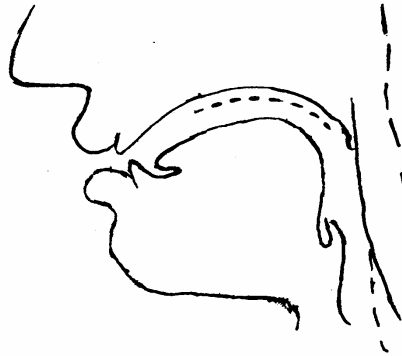
To utter the vowel in singing

To sing with vowel articulation

" بعض اللغويين العرب في الدلالة على هذه الأصوات وستأخذ به الدراسة للدلالة على هذه الطائفة من الأصوات التي يطلق عليها في الانكليزية مصطلح Consonants ولعل ما يسوغ ذلك أيضاً، أنّ الدراسات اللغوية العربية الحديثة قد جنحت إلى استعمال في هذا

¹ - غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، ص ١٥.

المجال أيضاً.^١ " لقد اتخذت فكرة مرور الهواء مروراً حراً في أثناء النطق من غير أن يكون ثمة احتكاك أو إعاقة، أساساً للتعريفات التي وضعها علماء اللّغة المحدثون لأصوات المدّ فذهب دانييل جونز Jones إلى أنّ صوت المدّ " صوت مجهور يخرج الهواء عند النطق به على شكل مستمر من الحلق والّفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكا مسموعاً " وذهب بلومفيلد Bloomfield إلى أنّه عبارة عن " تعديلات للصوت المنطوق لا تتضمن غلقاً ولا احتكاكاً ولا اتصالاً من اللسان أو الشفتين " وكذا الدكتور ابراهيم أنيس، فقد ذهب إلى أنّه عند النطق بصوت المدّ " يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة ثم يتخذ مجراه في الحلق والّفم في ممر ليس فيه حوائل ".^٢ " لقد تبين من خلال استعمال أشعة (اكس) في تصوير أوضاع اللسان في أثناء أداء أصوات المدّ، أمّه - أي اللسان - يتخذ في أثناء أداء مل صوت مدّ وضعاً بعينه، من حيث ارتفاعه في داخل جوف الّفم،.. وربما الرسوم الآتية تبين وضعيّة الجهاز الصوتي في أثناء حدوث خروج أصوات المدّ كما يوضحها الأستاذ غالب فاضل المطلبي:

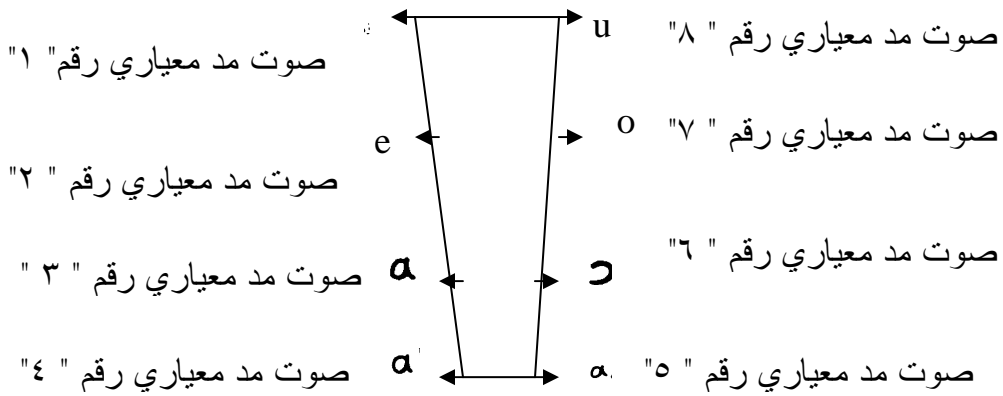
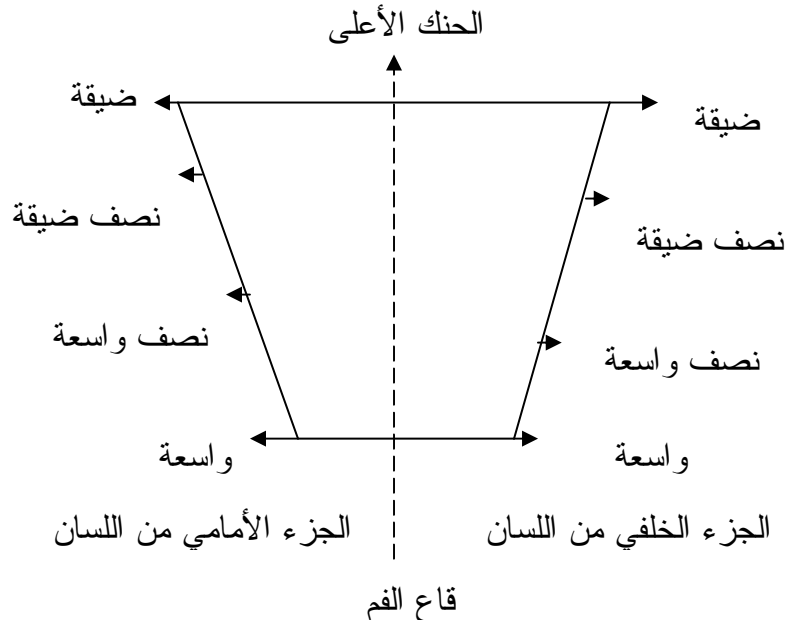


رسم يوضح منطقة حدوث أصوات المدّ ♥

1 - نفسه، ص ١٩.

2 - نفسه، ص ٢٤.

♥ - ينظر، نفسه، ص ٢٨.



♥ رسم يوضح مواضع أصوات المد المعيارية وأرقامها المعروفة بها

وهكذا صار من الممكن وضع جدول لأصوات المد الأساسية التي يمكن أن توجد في كل اللغات، أطلق عليه جونز اسم: "جدول أصوات المد المعيارية": Cardinal Vowels وهذه الأصوات كما يوضحها الرسم السابق تتألف من:

x . صوت مدّ أمامي ضيق يرمز له بالرمز i ومثاله صوت المد في الكلمة الفرنسية si
x . صوت مدّ أمامي واسع: ويرمز له بالرمز a ومثاله صوت المد في الكلمة الفرنسية pas

♥ - ينظر، نفسه، ص ٣٠ - ٣١.

x . صوت مدّ خلفي ضيق: ويرمز له بالرمز u ومثاله صوت المدّ في الكلمة الألمانية
Gut

x . صوت مدّ خلفي واسع، ويرمز له بالرمز a ومثاله صوت المدّ في الكلمة
الفرنسية ia " 1

• هذه هي أصوات المدّ الأساسية الأربعة في تصنيف جونز، أما أصوات المدّ
الثانوية، فهي خمسة:

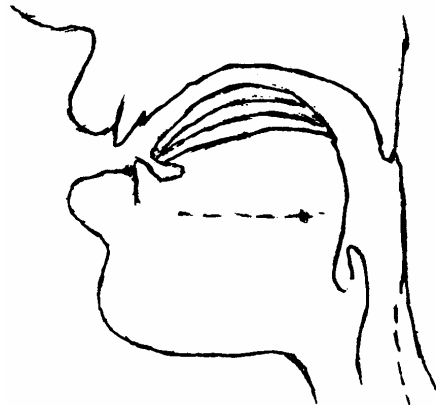
x . صوت مدّ أمامي نصف ضيق، ويرمز له بالرمز E ومثاله صوت المدّ في الكلمة
الفرنسية The ؛

x . صوت مدّ أمامي نصف واسع ويرمز له بالرمز E ومثاله صوت المدّ في الكلمة
الفرنسية me mer ؛

x . صوت مدّ خلفي نصف ضيق ويرمز له بالرمز O ومثاله صوت المدّ في الكلمة
الفرنسية rose؛

x . صوت مدّ خلفي نصف واسع، ويرمز له بالرمز > ومثاله صوت المدّ في الكلمة
الألمانية sonne ؛

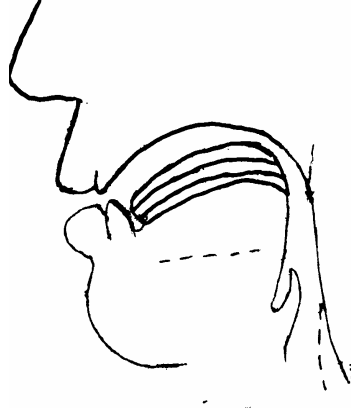
x . صوت مدّ متوسط، يأخذ فيه اللسان وضعاً حيادياً، ويرمز له بالرمز < ومثاله
صوت المدّ الثاني في الكلمة الانكليزية better .



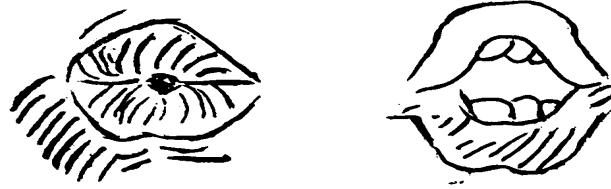
رسم يوضح مواضع حدوث أصوات المدّ الأمامية المعيارية من اللسان^٢

¹ - ينظر، نفسه، ص ٣١، نقلاً عن: The pronunciation of English, p,21 .

^٢ - ينظر، نفسه، ص ٣٢ .



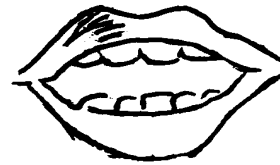
رسم يوضح مواضع حدوث أصوات المد المعيارية الخلفية من اللسان ♥



وضعا استدارة



وضع انفراج



وضع محايد

- أوضاع الشفتين في أثناء أداء أصوات المد •

٣- طول صوت المدّ: " يذكر Lodefoged أنّ في مقدور صوت المدّ أن يستمر أية مدة ممكنة يحدث في الحقيقة أمره من اتخاذ اللسان والشفتين وضعاً خاصاً كما أسلف القول

♥ - ينظر، نفسه، ص ٣٣.

• نفسه، ص ٣٥.

في الوقت الذي يستمر فيه الهواء بالخروج من الفم استمراراً حراً ، ولقد لاحظ العرب هذه الميزة فيه، ولعله من أجل ذلك سموه صوت المد، لأنك تستطيع أن تعد به الصوت ولقد جاءت من هذه القدرة على الاستمرار في التصويت أهمية أطوال المد في كثير من اللغات فثمة لغات تعني بثلاثة أطوال لصوت المد ولغات تعني بأطوال أربعة.¹

يقول الأستاذ غالب فاضل المطليبي: "لقد تحدثنا سابقاً عن درجات الطول في صوت المد من حيث كونها تمثل فونيمات مستقلة Phonemes بسبب من أن تغير درجة الطول فيها تؤدي إلى تغير في المعنى (المعنى الصرفي على الأقل) لكننا نلاحظ أن ثمة اختلافات في الطول لا تحدث لأغراض معنوية أي أنها لا تمثل فونيمات مستقلة، إذ أن درجة الطول قد نشأت السياق، ولقد استطاع الباحثون أن يميزوا طائفة من العوامل التي تسبب طولاً أو قصراً في أصوات المد، وأهم هذه العوامل:

١- طبيعة الأصوات المجاورة له في السياق.

درجة النبر ونوعه.²

٤- مفهوم الحركة والسكون عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح:

أ- مفهوم الحركة والسكون: يقول الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح: " هما مفهومان اختص بهما النحاة ولا يوجد ما يماثلهما في الصوتيات الغربية الحديثة اللهم إلا فيما أثبتته المهندسون المختصون في العلاج الآلي لأصوات اللغة (كالتركيب الاصطناعي للكلام المنطوق واستكشافه الآلي أيضاً).³ ويقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من خلال ما قاله عن الرماني: " من هذا الكلام نفهم أن للحركة دورين هاميين جداً تفرد بهما هي وحدها دون الحروف التوأم (الجامدة منها واللينية) وهو تمكين الناطق من إحداث الحرف أولاً، وتمكينه ثانياً من الانتقال من مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر.⁴ " فالحركة كصوت غير الحركة التي تمكّن من إحداث الحرف ووصله بحرف آخر.⁵ أما الحركة كصوت أي كمصوت قصير فهو المفهوم السائد عند بعض المتأخرين وأكثر المحدثين ولا يعرفون غيره. (التجاهل للجانب غير الصوتي هو سبب

1 - نفسه، ص ٣٧.

2 - نفسه، ص ٤٠.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج٢، ص ٦٤.

4 - نفسه، ص ١٨٠.

5 - نفسه، ص ١٨٠.

لسوء فهم لما قاله العلماء القديمى.^١ ويقول: " لا ينظر النحاة العرب إلى التسلسل الصوتي في الكلام على أنه مجرد توال لمقاطع صوتية وأن كل مقطع - وهو أصغر ما يمكن أن ينطق به عندهم - يتكون من مصوت على الأقل أو صامت مع مصوت وغير ذلك، فإنهم قد لاحظوا أن للكلام مظهرين: مظهر يخص الكلام كأصوات، ومظهر يخص حراكيته وكيفية تسلسله، فيجب ألا يخلط الباحث عندهم بين ما هو راجع إلى الصوت كظاهرة تخص السمع (وهي مجموعة المكونات الفيزيائية للمصوت (الترددية منها Frequency components = وهي التي تمنح للصوت جرسه (Timber).)، وبين الآليات التي يبني عليها تسلسل الكلام. ولكل جانب قوانينه الخاصة به، هذا مع وجود علاقات بين القوة الاندفاعية للحركة المحدثة للصوت، وما يتصف به الصوت اللغوي من قوة أو ضعف.^٢ ويقول: " فهذا سبب تسميتهم المصوت حركة لأن المقصود منها عند الخليل هو الحركة العضوية الهوائية التي تحدث الحرف من جهة، وتمكن من الانتقال من مخرجه إلى مخرج حرف آخر ويرافقها في الغالب مصوت (ولا وجود لمصوت في الحركة المختلصة، وكما قال العلماء: هو في زنة المتحرك فإنهم يعنون أن الحرف متحرك بحركة لا يأتي معها مصوت. وهذا ما يسميه الصوتيون الغربيون الآن: Explosive Group.^٣ ويقول " فأبسط الأصوات هي أصوات الحركات من فتحة وضممة وكسرة (وأما المتفرعات عنها، كالفتحة الممالة أو المفخمة والضممة المشربة كسراً وغيرها، فلا يذكرها النحاة وأهل الأداء إلا ككلمات لا كحروف أصول). ثم مداتها (وليست هي المصوتات الطويلة. والتصور العربي هنا مبني على أن كل ما يمكن أن يقوم مقام شيء فهو " بمنزلته". والحق أن كل هذه المدات يمكن أن تستبدل بحرف غير مد، وذلك مثل الهمزة والواو والياء في عصائب وكواهل وغيرها كما سبق في كلام الخليل. لأن فيها فضيلة المد أي زيادة لا توجد في أصوات الحركات، وتمتاز هذه الأصوات عندهم بالنسبة لغيرها باتساع المخرج (على درجات، فأوسعها الفتحة ومدتها).^٤

١ - نفسه، ص ١٨١.

٢ - نفسه، ص ٦٤.

٣ - نفسه، ص ٦٤.

٤ - نفسه، ص ٦٧.

ب- مفهوم الإدراج: " ... فهذا التسلسل للحروف الذي تحدثه الحركة هو الذي يسمونه بالإدراج يقول ابن جني: " أصل الإدراج للمتحرك إذ كانت الحركة سبباً له وعوناً عليه"^١ ويقول " الحرف الساكن - كما يقول ابن جني - ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله لو وقفت عليه"^٢ ثم إنَّ للحركة التي بها يتم الإدراج تأثيراً كبيراً على الحرف الذي تحدثه لأنه " يتقوم بها" وبما أن له مخرجاً كمصوت (أو نفس) فتجذب الحرف إلى مخرجها."^٣ هذا هو التصور العربي للدينامية اللفظية الطبيعية: فاتصال الحروف يقتضي تهيؤً للنطق بالحرف التالي في الوقت الذي ينطق بما قبله، وهذا يحدث في أثناء النطق بالحركة أي في بداية الخروج من مخرج الحرف والانتقال إلى مخرج آخر، فالحركة ههنا في مثل حركة الصور في الأفلام السينمائية فلا انقطاع فيها بين صورة وأخرى إطلاقاً، فهذا هو الإدراج."^٤ " هذا وقد استشكل العلماء الذين تأثروا بأقوال المتكلمين والفلاسفة أن يوصف الحرف بالحركة والسكون، وممن حاول رفع هذا الإشكال الزجاجي ثم السهيلي."^٥ قال هذا الأخير يقصد السهيلي: " قولهم حرف متحرك... تساهل منهم... فمحال أن تقوم الحركة بالحرف لأنه عرض والحركة لا تقوم بالعرض. وإنما المتحرك في الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان أو الحنك الذي يخرج منه الحرف... والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف"^٦ ويقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: " قال ماتسون (Mattson) في كتابه عن لهجة بيروت (١٩١١م): "في وقت متأخر تحصل علماءنا في المشرقيات على المعلومات الصوتية التي كانت تتقصم فاستطاعوا أن يفهموا في الأقل ما كان العرب قد لاحظوه وأثبتوه، وكان العرب قد أصابوا في معظم ما قالوه: (ص ١٠)."^٧ " وذكر ماتسون دي ساسي (Mattson) الذي لم يدرك شيئاً من التقسيمات الصوتية العربية وقد منع ساسي وبعض من جاء بعده من فهم هذه الأشياء وما ورثوه من الصوتيات اليونانية فكان كالحجاب على عقولهم وعلى أذهانهم وكيف كان يمكن أن

1 - نفسه، ص ١٨١، نقلاً عن ابن جني ، الخصائص، ج١، ص ٥٨.

2 - نفسه، ص ١٨٢.

3 - نفسه، ص ١٨٢.

4 - نفسه، ص ١٨٢.

5 - نفسه ، ص ١٨٣.

6 - نفسه، ص ١٨٣، نقلاً عن السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص ١٩١.

7 - عبد الرحمن الحاج صالح، تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب: إيجابياته وسلبياته، ص ١٢٦.

يميزوا بين المجهور والمهموس وهم لا يعرفون أنّ هذا يحصل في "أقصى الحلق" بوجود "صوت الصدر" (اهتزازات الأوتار) (وقد استغلّق ذلك إلى الآن على زملائنا) وأقرّ الغربيون ذلك التمييز نهائياً يوم تمكنوا من مشاهدة هذا الاهتزاز في المختبرات الصوتية في نهاية القرن العشرين.¹ ويقول الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح: " وينطبق هذا أيضاً في الوقت الراهن على مفاهيم خاصة بعلماء العرب ولا مقابل لها أبداً في الصوتيات الحديثة، وهو مفهوم المتحرك والساكن، وحرف المدّ وامتناع الابتداء بالساكن، وكون العين حرفاً بينياً، وغير ذلك، وقد حاولنا أن نبرهن على صحة كل هذه المفاهيم بالاختبار بالأجهزة الحديثة.² فكما نلاحظ فالدكتور عبد الرحمان الحاج صالح يقترب تفكيره من تفكير الأستاذ السهيلي، وكما لاحظنا فقد استشهد بما قدمه من قبل الأستاذ السهيلي، وعليه سنقول أن تفكير الإمام السهيلي يقترب من الصوتيات العربية الحديثة.

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب: إيجابياته وسلبياته، ص ١٢٦ - ١٢٧.

² - نفسه، ص ١٢٧.

خاتمة: أختتم بالقول أنّ: الأندلس بلاد عربيّة إسلامية، فيها شهدت الحضارة العربيّة الإسلامية أرقى ما توصلت إليه في الرقي العلمي والمعرفي، وكما قلت في المقدمة فهي الجسر الذي ربط الشرق والغرب، وفيها حدث احتكاك كبير بين الحضارتين الغربيّة والعربيّة، فإني لا أزعّم ولا أقول صراحة أنّ علماء الغرب قد نقلوا عن العرب، لكن الوقائع تتحدث بنفسها، حيث نجد الكثير مما قاله الإمام السهيلي رده دي سوسور وغيره من العلماء السالف ذكرهم، فلا يتم بناء حضارة إلا على أنقاض حضارة أخرى، وليس لدي دليل على أنّهم نقلوا عن الإمام السهيلي الذي هو بنفسه صرح عن جميع من نقل عنهم من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وآخرون، فعلماء الغرب لم يصرحوا أنّهم قد نقلوا عن العرب، إلا أنّنا نجد تقريباً كل أقوالهم قد قالت بها العرب من قبل. ومن خلال ما سبق توصلت إلى النتائج الآتية:

١- نبوغ الإمام السهيلي في الظروف السياسية والاجتماعية التي ذكرناها في المبحث الأول، ورغم أنّه مكفوف (فَقَدْ فَقَدَ بصره في سن السابعة عشر) إلا أنّ هذا لم يمنعه من أن يكون أستاذ فذ؛

٢- الفكر اللغوي عند الإمام السهيلي نفسه الفكر اللغوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي؛

٣- وما يمكن قوله فإنّ النحاة قداماء ومحدثين متفقين على أنّ الكلم فيه اسم، وفعل، وحرف، فهذا إجماع منهم أما من زاد قسم أو أكثر فعلى القارئ أن يختار التقسيم الذي يقنعه أكثر، كما نلاحظ خلط بين مصطلح الكلم والكلام والكلمة وهذا ما تفتن إليه الأستاذ أبو القاسم السهيلي وقد فصل فيه بطريقة مقنعة وصحيحة. فهو يقول: **وجمع الكلمة كلم، كما تقول: لبنة ولبن. وأما الكلام فهو اسم مفرد يعبر به عن المعنى القائم في النفس الذي تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات؛**

٤- مفهوم الاسم لدى السهيلي:

- المعاني المدلول عليها في الأسماء ثلاثة أقسام: مخبر عنه، وداخل في حديث غيره، ومضاف إليه - فلا يحتاج إلى إعراب رابع، لأنّه لا مدلول له؛
- ويقول كذلك: " الاسم الذي هو " السين " و " الميم " عبارة عن اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى هو الشيء الموجود في العيان - إن كان من المحسوسات - كزيد وعمرو - وفي الأذهان - إن كان مع المعقولات - كالعلم

والإرادة. فذلك الموجود الذي في العيان أو الموجود الذي في الأذهان وضعت له عبارة في اللسان. بما يترجم عنه، ويتوصل إلى فهمة والكشف عن حقيقته؛
- ويقول: " ...إنّ الاسم غير مشتق من شيء، وأنّ الألف واللام من نفس الكلمة... " من هنا يتضح لنا أنّ الامام السهيلي ينطلق في دراسته من "الاسم" هو المتقدم على كل لفظ وعبارة، وهذا ما انطلقت منه دراسات الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في " النظرية الخليلية الحديثة "؛

٥- إنّ عدم تحديد سيبويه الاسم واكتفائه بالتمثيل له، كان من أسباب الاضطراب الذي وقع فيه النحاة في مجال تحديد هذا الأخير؛

٦- للاسم عند النحاة منزلة خاصة تفوق ما لأجزاء الكلام الأخرى، ربّما للأسباب التي ذكرناها من قبل (لأنّ سيبويه - إمام النحاة - لم يحدده، وعليه كثر الحديث عنه دون أن يستطيع أحد تحديده تحديداً دقيقاً يشفي الغليل.)؛ ولكن الإمام السهيلي فصل في هذا الأمر بقوله: فإن قيل: ما بال سيبويه قد حدّد الفعل والحرف ولم يحدّد الاسم حين قال: " والاسم زيد وعمرو "؟ فالجواب: أنّ الاسم وقع في عبارة النحويين على ما هو في كلام العرب، فلم يحتج إلى تبيينه بحد ولا رسم. وأما الفعل والحرف فعبارتان مصطلح عليهما عند النحويين، لأنّ الفعل عند العرب هو الحدث، وعند النحويين هو: اللفظ الدال على الحدث والزمان. والحرف عند النحويين: ما دل على معنى في غيره. وليس يفهم من العرب من الحروف ذلك المعنى. وجميع ألفاظ النحويين ينقسم إلى قسمين، منها ما تواضعوا واصطلحوا عليه. ولا يعبر العرب به إلا عن معنى آخر، نحو: " الظرف "، و (الحرف) ، فهذا لا بد من تبيينه للمبتدئ بالحد والرسم. ومنها ما هو على أصل موضوعه في كلام العرب نحو: " الاسم " و " الفاعل " و " المفعول بها. فهذا لا إشكال فيه على ناظر في صناعة النحو، والله أعلم؛

٧- يقول السهيلي في تعريف الفعل:

- دلالة الفعل على الحدث بالتضمنين لا بالمطابقة، كنحو دلالة " البيت " على " السقف ".

- الفعل لا يدل على الزمان ألبتّة، وإنّما يدل اختلاف أبنيته على اختلاف أحوال الحدث من الماضي والاستقبال والحال. وأما الزمان الذي هو حركة للفاعل، إن كان مقارناً له، لأنّ حركة فاعل لا تدل على حركة فاعل آخر.

- الفعل عند العرب هو الحدث، وعند النحويين هو: اللفظ الدال على الحدث والزمان.

٨- لم يحظ الفعل في الدرس النحوي بعناية النحاة (قدماء ومعاصرون)، ولم تقدم فيه دراسات كثيرة مفصلة،

٩- الجملة لدى السهيلي كلام مستقل بنفسه، ويقول إن: الكلام هو اسم مفرد يعبر به عن المعنى القائم في النفس الذي تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات، وعليه فالجملة لدى السهيلي هي: معنى قائم في النفس، تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات.

١٠- نُضج المصطلح لدى الإمام السهيلي، (لأنه قدم المصطلحات بتعريفات بسيطة قريبة جدا إلى أذهاننا، وأقصد بذلك أننا نستعمل تلك المصطلحات بالمفاهيم التي قدمها الإمام السهيلي.)؛

١١- نظرية العامل لدى الإمام السهيلي:

- العلل التي ذكرها في كتابه هي: علل لفظية، وعلل معنوية، وعلل لفظية

معنوية، ويقول إن العلة اللفظية أقوى من المعنوية؛

- وجوب أن يكون الحرف عاملاً في كل ما دلّ على معنى؛

- أصل كل حرف أن يكون عاملاً؛

- الفعل لا بد أن لا يكون عاملاً في الاسم؛

- إذا دخلت الحروف في معنى الفعل فوجب أن تعمل فيه لا في الجملة،

كما وجب أن تعمل حروف الجر في الأسماء من حيث دلت على معنى فيها.

- يقول عن الحروف الداخلة على الجمل أنها لا تستحق من العمل فيها ما

تستحق الحروف الداخلة على الأسماء المفردة والأفعال.

- جميع الحروف (ويقصد الحروف الناصبة والجازمة للمضارع) أحق

للعمل فيما دخلت عليه عن الأسماء المفردة والأفعال، ويضيف إلى هذه الحروف، حروف العطف، ولام التوكيد؛

- استعمل مصطلح آخر في ذكر العامل وهو "السبب" حيث يقول: فإنّ البناء

لا يكون بسبب، أعني بالسبب العامل؛

- حق العامل أن لا يكون مهياً لدخول عامل آخر عليه؛

- لا يجتمع في شيء من الكلام عاملان في معمول واحد من خفض ولا

نصب؛

- الإمام السهيلي لم يقبل أن يكون معنى الإشارة هو العامل بل يقول إنّ العامل فعل مضمّر تقديره " أنظر". ويقول أيضاً أن العامل المعنوي لا يعمل حتى يدل عليه الدليل اللفظي أو التوجه أو ما شاكلة؛

- يقول المعنى أعظم حرمة واللفظ خدم للمعنى ويأتى به كدليل؛

- تكرار العامل يلزم تكرار المعمول؛

- العامل اللفظي يطلب معموله، فإن وجده لفظاً فهذا غير ممنوع منه، وإلا

تسلط على المعنى؛

- لا يعمل عامل معنوي في معمول معنوي؛

- العامل المعنوي لا يتقدم معموله.

١٢- ربّما نقل ابن القيم عن السهيلي (من كتاب نتائج الفكر في النحو إلى كتاب بدائع الفوائد)، ولأنّ ابن القيم معروف بعلمه، وكل العرب القدماء معروفون بذاكرتهم القويّة، وكما ذكر ابن القيم فهو كتب كتابه بعيداً عن كتبه بمعنى أنّه استعمل ما كان محفوظاً في ذاكرته؛ وعليه أقول: ربّما ذكر ما قاله السهيلي دون ذكر اسمه لأنّ ما قاله الإمام السهيلي أكثره ما قاله نحاة قبله خاصة الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، وربّما نسب إلى نفسه ما قاله السهيلي لأنّ أقوال الإمام السهيلي بسيطة وقوية، ثاقبة للذهن لدرجة يقتنع بها قارئها أو سامعها ويتأثر بها دون أيّ تردد، فتتغلغل في نفسه وعقله دون أن يدرك ذلك؛

١٣- حسب الخمسة مسائل التي ذكرها الإمام السهيلي في كتابه نتائج الفكر في النحو فالإمام السهيلي مع الخليل بن أحمد في كل ما قاله، ولم يقدم له نقد قط، وبالعكس فهو يوضح آراءه بمزيد من الشرح، ليكون الفهم أكثر للذين لم يفهموا كلام الخليل رحمه الله. (وليس هو فقط من يوافق الخليل لكن أستاذه ابن الطراوة كذلك)؛

١٤- المسائل التي عارض فيها سيبويه: ذكر الإمام السهيلي رأي سيبويه في الإثنتين والأربعين مسألة، وعارضه في ثمانية مسائل وهي:

- **ويعترض** على قول سيبويه في قوله: " قال سيبويه: " وإنما يحكى ما كان كلاماً لا قولاً، وما لم يكن هكذا سقط القول عليه ". وأصح من هذه العبارة عبارة من قال: " الكلام (ما) يتألف من ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف "، إلا أنّها (أيضاً) معترضة من وجه

واحد، وهو أنه قد يوجد في الكلام ما يتألف من شيئين، نحو: قام زيد، فليس الكلام كله يتألف من هذه الثلاثة، بل أكثره. فإن قيل: فما تصحيح عبارة من قال: الكلام ينقسم لثلاثة أقسام؟ فالجواب أن يقال: صحيحها أن يقال: ثلاثة أقسام: خبر، واستخبار وطلب. فكل واحد من هذه كلام، وليس كذلك الاسم والفعل والحرف، وهنا نجد الإمام السهيلي يعترض على قول سيبويه ولكنه يقدم البديل أو بمعنى أصح ما يراه صحيحاً؛

- يقول السهيلي في مسألة " من باب معرفة علامات الإعراب " : " ... هؤلاء مسلمي فتدغم الواو في الياء لأنها حرف إعراب عند سيبويه، وهي عند غيره علامات إعراب فإذا كانت " واو " الجمع ثبتت مع " ياء " المتكلم وهي زائدة علامة إعراب عند بعض النحويين، فكيف يحذف ما هو " لام " الفعل وأحق بالثبات منها؟ فقد وضح لك أنها ليست الحروف المحذوفة الأصلية. فإن قيل: فلم كان إعرابها بالحروف دون الحركات؟

- ويقول أيضاً في مسألة " المثني والجمع السالم " : " ... فإن قيل: فقد أثبتتم أن فعل جماعة المؤنث معرب، وهذا خلافاً لسيبويه ومن وافقه من النحويين، فإنهم زعموا أنه مبني وإن اختلفوا في علة بنائه!. وهنا يتبين أنه قد عارض سيبويه.

- ويقول: " وأما " لن " فهي عند الخليل مركبة من " لا " و " أن "، ولا يلزمه ما اعترض عليه سيبويه في تقديم المفعول عليها، لأنه يجوز في المركبات ما لا يجوز في البسائط. فإذا ثبت ذلك فمعناها نفي الإمكان بـ " أن " كما تقدم. وهنا نجده يؤيد الخليل ولا يعترض على قول سيبويه.

- ويقول أيهم أشد: "... وذهب سيبويه إلى أنها اسم مبني في موضع المفعول، وبني لمخالفته نظائره، حيث لم يوصل بجملة، والتقدير عنده: أيهم هو أشد. فلو صرحت بـ " هو " لنصبت ثم بـ " ننزعه "، فلما اختزلت بنيت " أي " لمخالفته النظائر، كما تقدم -.

وهذا الذي ذكره لو استشهد عليه بشاهد من نظم أو نثر، أو وجدناه بعده في كلام فصيح شاهداً له لم نعدل به قولاً، ولا رأينا لغيره عليه طويلاً، ولكننا لم نجد ما بني لمخالفته

غيره، لا سيما مثل هذه المخالفة، فإننا لا نسلم أنه حذف من الكلام شيء. وإن قال: إنه حذف ولا بد، والتقدير: أيهم هو أخوك؟. فيقال: فلم لم يبنوا النكرة فيقولون مررت برجل أخوك، أو: رأيت رجلاً أبوك؟. ولم خص " أي " بهذا دون سائر الأسماء أن يحذف من صلته ثم يبني للحذف؟ ومتى وجدنا شيئاً من الجملة يحذف ثم يبني الموصوف بالجملة من أجل ذلك... " وهنا يقول إن سيبويه لم يستشهد على ما قاله، وأنه بحث عن شواهد يؤيده بها فلم يجد، ولأنه كذلك فاختر قول الخليل على قول سيبويه.

- ويقول السهيلي: " كَلَامِ يَوْمِي أَمَامَةَ يَوْمِ صَدِّ. وقوله سبحانه وتعالى: (كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا مِنْ أَلْفَيْ سَلْوَةٍ مِنْ أَلْفَيْ سَلْوَةٍ وَأَيُّهَا لَمْ يَأْتِنَا رَبُّنَا بِالْحَقِّ وَكُنَّا لِلْآيَاتِ غَافِلِينَ) (كُلُّهَا) ، فأفرد الخبر عن (كلا). ولا حجة فيه، ولذلك عدل سيبويه في الاستدلال عنه، بما تقدم من أنك تضيف كلي كلا فتفرد الخبر عنه، فتقول: " كلكم راع " حملا على المعنى، إذ المعنى: كل واحد منكم راع. وكذلك (كلا) إنما معناه: كل واحد منهما ذاهب. فإن قيل: إنما أفرد الخبر عن " كل " لأنه اسم مفرد، وكذلك (كلا) لا للعلة التي ذكرت؟ قلنا: فلم وكد الجمع بها، والجمع لا يؤكد بالواحد، كما لا ينت بالواحد. وهو في التوكيد أبعد، لأنه تكرر للمؤكد؟ ولم يقل عز وجل: (كُلُّ لَهَ قَانِتُونَ) و (كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) وقد ثبت بما تقدم من الشواهد السمعية والأدلة القياسية أنه اسم للجمع بمنزلة قوم، وأنت لا تقول: قوم ذاهب، ولا قومك خارج فثبت أنه ليس باسم مفرد، وإنما هو اسم للجمع. وإنما التعديل لمن ذهب مذهب سيبويه على الحجة الأولى، على أنها معارضة بضروب من الاحتجاج، منها: أنها توكيد للاثنين ولا يؤكد الاثنان بواحد، كما لا ينعت الاثنان بواحد، وليس لقائل أن يقول فيها كما في " كل " إنها اسم للجمع، لأن الجمع تختلف صورته فيكون مسلما ومكسرا وأسماء الجمع لا واحد لها كرهط وقوم. ولا يكون للثنائية إلا صورة واحدة وحد واحد، وإذا بطل أن يكون واحداً في معنى الثنائية، وبطل توكيد الاثنان بواحد ولم يبق إلا أن يكون (كلاهما) لفظاً مثني تقلب ألفه ياء في النصب والخفض مع المضمر خاصة، لأنك إذا أضفته إلى مظهر استغنيت عن قلب ألفه ياء في خفض والنصب، بانقلاب ألف المظهرين اللذين تضيف إليهما إذا قلت رأيت كلا أخويك. ولو قلت: رأيت كلا أخويك، كنت قد جمعت بين علامتي إعراب في اسم واحد، لأنهما لا ينفصلان أبداً ولا تتفك " كلا " هذه عن الإضافة؛ هنا يقدم لنا تعديل لمن ذهب مذهب سيبويه.

- يقول الإمام السهيلي في مسألة " في ذكر بدل البعض من الكل، وبدل المصدر من الاسم: " ... فإن قيل: إذا كان موضع الخبر ومقر الفائدة فيه، فلم أخرج وقد قال سيبويه: " متى جعلته مستقراً قدمته ". فالجواب: إن تقديم المجرور الأول لفائدتين: إحداهما: أنه اسم للموجب لهذا الغرض، فيقدم تقدم السبب على المسبب. والفائدة الأخرى: أن الاسم المجرور من حيث كان اسماً لله - سبحانه - وجب الاهتمام بتقديمه، تعظيماً لحرمة هذا الواجب الذي أوجبه، وتخويفاً من تضييعه، إذ ليس ما أوجبه الله سبحانه بمثابة ما يوجبه غيره. " وهنا نجد الإمام السهيلي يقدم لنا مثال يعارض فيه سيبويه.

- ويقول: " فإن قيل: فإن كان سقوط حرف الجر هو الأصل، فمن إذا زائدة، كما قال الكسائي، وليس كما قال سيبويه ولا الزجاجي: إنما حذف حرف الجر ثم نصبت. "يذهب مذهب الكسائي، وليس مذهب سيبويه والزجاجي.

- ويقول: " أعلمت زيدا عمراً قائماً: ذكر سيبويه أنه لا يجوز الاقتصار على المفعول الأول. وتأول أصحابه قوله، قالوا: " لا يجوز: لا يحسن، لأنّ المعمول الأول هو الفاعل في المعنى، والفاعل يجوز الاقتصار عليه فتقول: "علم زيد". وإنما الذي لا يجوز الاقتصار عليه المفعول الثاني الذي هو الأول قبل النقل. وعندي أن كلام سيبويه محمول على الظاهر، لأنك لا تريد بقولك: أعلمت زيدا " أي: جعلته عالماً على الإطلاق، وهذا محال، إنما تريد: أعلمته بهذا - الحديث، فلا بد إذاً من ذكر الحديث الذي أعلمته به. فإن قيل: فهل يجوز: " أظننت زيدا عمراً قائماً"، كما تقول: أعلمت؟. " يقول إن كلام سيبويه محمول على الظاهر.

١٥- الإمام السهيلي يخلف عن الكوفيين حيث هو يعتبر الكاف في "كن"، "كاف" التشبيه في حين يراها الكوفيون للخطاب؛

١٦- الاسم والمسمى والتسمية لدى السهيلي:

- الاسم: هو " السين " والميم "، وهو اللفظ الذي وضع دليل على معنى؛

- المسمى: هو الشيء بعينه؛

- التسمية: عبارة عن فعل المسمى.

١٧- مفهوم الإشارة اللغوية عند الإمام السهيلي تقترب من مفهومها في ضوء علم اللغة الحديث؛ فالاسم المبهم مشار إليه، فالمتكلم يشير نحوه بلحظه أو بيده، ويشير مع ذلك بلسانه، لأنّ الكلام القائم في النفس والغائب عن الحواس في الأفئدة، تكشفه للمخاطبين خمسة أشياء: اللفظ، والخط، والإشارة، والعقد، والنصب، وهي لسان الحال، وهي أصدق من لسان المقال؛

١٨- يتم التطور الدلالي عند الإمام السهيلي بفضل المجاز والاستعارة وتعدد المعنى، ولقد فطن الإمام السهيلي، إلى أهمية التطور الدلالي، ودراسة الإتمولوجية، حيث يعبر هو عن ذلك بمصطلح "أصل الكلمات" في دراسة اللغات والمعنى خاصة؛

١٩- وكذلك فطن لأهمية الترادف ووجود درجات للترادف فلا وجود لترادف حقيقي إلا بدليل حسب تعبيره، وهو يعتبر الصفات مترادفات، وهي ليست مترادفة ترادف تام، فالترادف فيها درجات، وأعطى لنا أمثلة عن ذلك، حيث يعطي لنا مثال عن الأسد والليث

بمعنى أنها صفات مترادفة؛ فكما نلاحظ فالإمام السهيلي يعتبر المترادفات صفات مما يدل أنها من المؤكد أن تكون فيها اختلافات دقيقة وعليه نرجع إلى قول بالمر " يمكن القول مع كل هذا أنه ليست هناك مرادفات حقيقية وأنّ ليس هناك لكلمتين نفس المعنى تماماً ويبدو في الواقع أنّ من غير المحتمل أن تبقى في أية لغة كلمتان لهما معنى واحد تماماً. فإذا نظرنا إلى بعض المرادفات، فهناك على الأقل خمسة اختلافات بينها؛

٢٠- دورة الخطاب لدى الإمام السهيلي نفسها كما ذكرها دي سوسير؛

٢١- البنية العميقة والسطحية لدى السهيلي: عند الإمام السهيلي التفكير في المعاني يسبق الكلام، فالمعاني تمثل بنية عميقة، والكلام هو البنية السطحية، حيث يقول: ما تقدم من الكلام فنقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان، والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب وإما بالفضل والكمال. فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هي الأسباب الخمسة، أو بأكثرها سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك؛

٢٢- الاهتمام بالجانب الصوتي ضروري للوصول إلى المعاني الحقيقية، والفصل بين الحروف، ومن ثم تقطيع اللفظة إلى حروف، وتقطيع الجملة إلى كلمات، والكلمات إلى حروف، فهو ينطلق من اللفظة للوصول إلى الجملة.

الاقتراحات:

- ١- وضع معجم للمصطلحات النحوية، من الخليل إلى العصر الحالي؛
- ٢- وضع معجم موحد في علم الدلالة؛
- ٣- وضع معجم موحد في الصوتيات، يجمع بين ما قاله العرب القدماء وما تقوله الصوتيات الحديثة؛
- ٤- توحيد المصطلحات اللسانية العربية؛
- ٥- إحياء نحو الخليل، لأنه السبيل الوحيد لتسهيل تعلم اللغة العربية، والمحافظة على تراثنا القيم؛
- ٦- كما كانت الأندلس، جسر بين الحضارة الشرقية والغربية، وعرف الغرب كيف يستغلون ذلك، فعلينا أن نستغل اليو التكنولوجية الغربية، للحاق بالحضارة الغربية، فكل حضارة تبني على حساب حضارة أخرى، وهذا ما علمه لنا التاريخ؛

- ٧- تشجيع ودعم كل المحاولات لإحياء نحو الخليل؛ فالماضي يصنع المستقبل؛
- ٨- تشجيع ودعم الترجمة، لأنها السبيل للحصول على التكنولوجيا الغربية؛
- ٩- تشجيع ودعم كل اللغويين فاللغة، عماد كل أمة ودولة، -كما كان أسلافنا يحترمون اللغويين- فعلىنا ردّ الإعتبار لهم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم مع التفسير، الإصدار الخامس، مصحف إلكتروني، موقع: روح الإسلام، www.islamspirit.com
الموسوعات:

١- حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ - وفكر وحضارة وتراث، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج ٢، ط ١؛

٢- نعمة رحيم العزاوي، النقد اللغوي بين التحرير والجمود، الموسوعة الصغيرة ١٤١، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، الجمهورية العراقية: ١٩٨٤؛

٣- وليد بن أحمد الحسين الزبييري، إيداد بن عبد اللطيف القيسي، بشير بن جواد القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، عماد بن محمد البغدادي، الموسوعة الميسرة، في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم؛

المراجع:

١- إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م - ١٤٢٧هـ، ط ١؛

٢- ابن أبي زرع الفاسي، الأبيس المطرب في روض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة - الرباط، ١٩٧٢؛

٣- أبو بشر بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٨٨م؛

٤- أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ط ٣؛

٥- أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب، من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة،

- ٦- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيمّ الجوزيّة، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمّد العمران، مجد: ١، دار علم الفوائد، للنشر والتوزيع؛
- ٧- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت؛
- ٨- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، كتاب المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٤١٥-١٩٩٤م؛
- ٩- أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السّهيلي، نتائج الفكر في النحو، عادل أحمد عبد الموجود، علي محمّد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ط١؛
- ١٠- أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠؛
- ١١- أحمد حساني، السمات التفرعية للفعل في البنية التركيبية - مقارنة لسانية- ديوان المطبوعات الجامعية؛
- ١٢- أحمد عبد العظيم عبد الغني، المصطلح النحوي، دراسة نقدية تحليلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م؛
- ١٣- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ١٩٩٨، ط ٥؛
- ١٤- أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٢؛
- ١٥- أف. آر. بالمر، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، جامعة المستنصرية، ١٩٨٥،
- ١٦- الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو، تح: فخر الدين قباوة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م،
- ١٧- الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ، ط ١،

- ١٨- الرّضي الاسترابادي، شرح الرّضي على الكافية، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قان يونس بنغازي، ١٩٩٦، ط٢، ج٣،
- ١٩- تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤؛
- ٢٠- جاسم محمّد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربيّة، دراسة في ضوء علم اللّغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٧م، ط١؛
- ٢١- جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ط٢،
- ٢٢- _____، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرّم، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ط١، ج١؛
- ٢٣- جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، تح: مازن المبارك، ومحمد على عبد الله راجعه، سعيد الأفغاني، منشورات سيد الشهداء، أصفهان، دن، ط٥؛
- ٢٤- جون لاينز، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح، كاظم حسين باقر، كلية الآداب - جامعة البصرة، ١٩٨٠؛
- ٢٥- حسن خميس سعيد الملح، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ط١،
- ٢٦- حسن عبد الغني جواد الأسدي، مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧، ط١؛
- ٢٧- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر، ط١٢، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة؛
- ٢٨- شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، بيروت - لبنان، ١٩٦٨، ط١؛
- ٢٩- صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، دروس في الألسنية العامة، الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٥،

- ٣٠- عبد الجبار توأمة، زمن الفعل في اللغة العربية قرآنه وجهاته- دراسات في النحو العربي- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤؛
- ٣١- عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر، دمشق؛
- ٣٢- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٤؛
- ٣٣- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٩٥؛
- ٣٤- عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي الأشبيلي السبتي، البسيط في شرح الجمل، تح: عياد بن عيد الثبتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ١٤٠٧، ١٩٨٦، ط١؛
- ٣٥- غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، ١٩٨٤، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات ٣٦٤؛
- ٣٦- فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م؛
- ٣٧- لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة، موقع الوراق، <http://www.alwaraq.net>؛
- ٣٨- محمد إبراهيم البناء، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ط١؛
- ٣٩- محمد إبراهيم عباده، كتاب الجمل في النحو، المنسوب للخليل بن أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، دن؛
- ٤٠- محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م؛
- ٤١- _____، في المصطلح النحوي، الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٩٤؛

- ٤٢- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، تح: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧، ط١؛
- ٤٣- محمد حسن عبد العزيز، *سوسير رائد علم اللغة الحديث*، دار الفكر العربي، القاهرة؛
- ٤٤- محمد حسين آن ياسين، *الدراسات اللغوية عند العرب، إلى نهاية القرن الثالث*، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م؛
- ٤٥- محمد عبد الرحمن الرّيحاني، *اتجاهات التحليل الزمنيّ في الدراسات اللغوية*، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت؛
- ٤٦- مهدي المخزومي، *في النحو العربي نقد وتوجيه*، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، ١٩٦٤، ط١؛
- ٤٧- موقّق الدين يعيش بن علي بن يعيش، *شرح المفصل*، صححه، وعلق عليه جماعة من العلماء، الطباعة المنيرة، مصر.

المجلات:

- ١- شفيقة العلوي، العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العملي لنوام تشومسكي *مجلة حوليات التراث*، ع ٧، ٢٠٠٧، مستغانم (الجزائر)، <http://Annales.univ-mosta.dz>
- ٢- عبد الرحمان الحاج صالح، *النظريّة الخليليّة الحديثة - مفاهيمها الأساسيّة -*، عد٤، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربيّة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ٢٠٠٧؛
- ٣- _____، *بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة*، المجمع الجزائري للغة العربيّة، الجزائر، ٢٠٠٧، ج١؛
- ٤- _____، *بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة*، المجمع الجزائري للغة العربيّة، الجزائر، ٢٠٠٧، ج٢؛
- ٥- _____، *تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب: إيجابياته وسلبياته*، ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثامنة والستين يوم الأحد ٢٤ من المحرم سنة

١٤٢٣ هـ الموافق ٧ من أبريل (نيسان) سنة ٢٠٠٢م، مجلة مجمع اللغة العربيّة
القاهرة، عدد: ٩٦؛

٦- عبد الرزاق عبيد، التحليل الدلالي للتراكيب، مجلة القصة، ملحق لمجلة
التبيين يهتم بالقصة القصيرة، ٢٠٠١، عد: ٣، ص ٨٩.

رسائل جامعية:

١- البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر
ملوك الطوائف، رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الآداب إلى دائرة اللغة العربيّة،
الجامعة الأمريكية في بيروت، أيار ١٩٦٥؛

٢- عبد الرزاق عبيد، الحقول الدلالية في المعاجم العربيّة (فقه اللغة) للثعالبي
(أنموذجاً)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في علم المعاجم، قسم اللغة
العربيّة وآدابها، الجزائر، ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦.

الإنترنت:

- <http://www.alwaraq.net>
- <http://Annales.univ-mosta.dz>.
- www.islamspirit.com

شبكة الفصيح؛

- www.al-mostafa.com
- <http://adel-ebooks.mam9.com/f8-montada>

المكتبة الشاملة؛

- www.pdfbooks.net
- www.shared.com

فهرس

٠١مقدمة
٠٤تمهيد
٠٥	المبحث الأول: الظروف السياسية والاجتماعية في القرن السادس الهجري
٠٥	١- المرابطون في الأندلس (٤٩٣ - ٥٥٤هـ).....
٠٦	٢- الموحدون في الأندلس (٥٤١ - ٦٦٨ هـ).....
٠٩	٣- النشاط اللغوي في الأندلس في القرن السادس.....
٠٩	أ - مقام اللّغة عند الأندلسيين.....
١٠	ب - مدرسة النحو.....
١١	ج - شيوخ النحو واللّغة في عصر المرابطين...
١٢	خ - أعلام النحو واللّغة في عصر الموحدين....
١٤	د - الملامح التي اتسمت بها الدّراسة اللّغوية ..
١٤	١ - الاتجاه إلى الشرح.....
١٤	٢ - الاتجاه النقدي.....
١٦	صورة ضوئية، تمثل خريطة المغرب الأقصى والأندلس.....
١٨	المبحث الثاني: ترجمة السهيلي.....
١٨	١. نسبه.....
١٨	٢. ما يكنى به.....
١٨	٣. تعريف سهيل.....
٢٠	٤. تسميته الخثعمي.....
٢٠	٥. مولده.....
٢١	٦. حياته العلمية.....
٢١	٧. شيوخه.....
٢٣	٨. شيوخه في مالقة.....
٢٥	٩. مناظرات مع السهيلي.....
٢٦	١٠. تلاميذه.....
٣٤	١١. من شعره.....
٣٨	١٢. مصنفاته.....

٤٠ ١٣. ثناء العلماء عليه.....
٤١ ١٤. تنقلاته.....
٤١ ١٥. وفاته.....
٤٤ الفصل الأول: المستوى النحوي
٤٥ I . المصطلح النحوي في كتاب "نتائج الفكر في النحو".....
٤٦ ١ - ١ تقسيم الكلم لدى القدماء.....
٤٨ ١ - ٢ تقسيم الكلم لدى السهيلي.....
٤٩ ١ - ٣ تقسيم الكلم لدى المعاصرين.....
٥١ ٢ - ١ الاسم لدى القدماء.....
٥٥ ٢ - ٢ الاسم لدى السهيلي.....
٥٦ ٢ - ٣ الاسم لدى المعاصرين.....
٥٧ ٣ - ١ الفعل لدى القدماء.....
٥٧ ٣ - ٢ الفعل لدى السهيلي.....
٥٨ ٣ - ٣ الفعل لدى المعاصرين.....
٦٢ ٤ - ١ الحرف لدى القدماء.....
٦٢ ٤ - ٢ الحرف لدى السهيلي.....
٦٣ ٤ - ٣ الحرف لدى المعاصرين.....
٦٣ ٥ - ١ الجملة لدى القدماء.....
٦٥ ٥ - ٢ الجملة لدى السهيلي.....
٦٦ ٥ - ٣ الجملة لدى المعاصرين.....
٦٨ ٦ - ١ المصطلحات بين السهيلي وابن الأنباري من خلال كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين".....
٦٨ ٧ - ١ المصطلحات بين الخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال "كتاب الجمل" والسهيلي من خلال كتاب "نتائج الفكر في النحو".....
٧٢ ٨ - ١ دراسة بعض المصطلحات النحوية عند السهيلي.....
٧٦ II . نظرية العامل عند السهيلي.....
٩٢ III . السهيلي والنحاة - تأثير وتأثر -.....
٩٢ ١ - بين السهيلي في " نتائج الفكر في النحو " وابن القيم في " بدائع الفوائد "....

- ٢- بين السهيلي والخليل من خلال كتاب "نتائج الفكر في النحو"..... ٩٧
- ٣- بين السهيلي وسيبويه من خلال كتاب "نتائج الفكر في النحو"..... ١٠١
- ٤- بين السهيلي ومدرسة الكوفة من خلال كتاب "نتائج الفكر في النحو"..... ١١٩
- ٥- بين البصرة والكوفة من خلال كتاب "نتائج الفكر في النحو"..... ١١٩
- الفصل الثاني: المستوى الدلالي**..... ١٢٦
١. تعريف علم الدلالة..... ١٢٥
٢. إشارات العرب إلى المعنى..... ١٢٥
٣. أول المساهمين الغرب في علم الدلالة..... ١٢٦
- I. الاسم والمسمى والتسمية عند السهيلي..... ١٢٨
- II. دراسة ما قاله السهيلي من منظور الدرس اللغوي الحديث..... ١٣٠
- أ- طبيعة الدليل اللغوية..... ١٣٠
- ب- النظرية الإشارية..... ١٣٣
- ت- مفهوم النظرية الإشارية..... ١٣٣
- ❖ رأي السهيلي..... ١٣٤
- ❖ رأي سوسور..... ١٣٤
- ❖ رأي أوجدن ورتشاردز..... ١٣٤
- I. الإشارة عند السهيلي..... ١٣٦
- II. الإشارة في ضوء علم اللغة الحديث..... ١٣٧
- أ- الإشارة..... ١٣٧
- ب- التصرف اللالغوي..... ١٣٨
- ت- مكانة اللغة بين الحقائق البشرية: علم الإشارات.... ١٣٨
- ث- تمثيل اللغة بوساطة الكتابة..... ١٣٩
- I. التطور الدلالي عند السهيلي..... ١٤١
- II. دراسة التطور الدلالي عند السهيلي في ضوء علم اللغة الحديث..... ١٤٤
- أ - مفهوم الإتمولوجيا..... ١٤٤
- ١ - التطور الدلالي..... ١٤٥
- ٢ - تغير مجال الدلالة..... ١٤٥

١٤٥ الاستعارة
١٤٥ المجاز المرسل
١٤٦ ٣- تغيير المعنى
١٤٧ ب - أسباب تغيير المعنى (الاتمولوجيا)
١٤٨ I. الترادف عند السهيلي
١٥٠ II. دراسة الترادف عند السهيلي في ضوء علم اللّغة الحديث
١٥٤ أ- مقترحات لوضع درجات للترادف
١٥٥ ب- الترادف الإجمالي والترادف الكلي
١٥٥ ت- تناوب المعنى
١٥٥ I. البنية العميقة والبنية السطحية عند السهيلي
١٥٨ II. البنية العميقة والبنية السطحية عند التحويليين
١٥٨ I. دورة الخطاب عند السهيلي
١٥٩ II. دورة الخطاب عند دي سوسور
١٦٣ الفصل الثالث: المستوى التركيبي
١٦٤ I . مصطلح التركيب في كتاب "نتائج الفكر في النحو"
١٦٥ II . بين النظرية الخليلية وكتاب "نتائج الفكر في النحو"
١٦٥ • مفاهيم أساسية في النظرية الخليلية الحديثة
١٦٨ • منطلق النظرية الخليلية الحديثة
١٧٠ • مصطلح الوضع بين السهيلي والدكتور عبد الرحمان الحاج صالح
١٧٤ الفصل الرابع: المستوى الصوتي
١٧٥ I. أصوات المدّ لدى القدماء
١٧٥ أ - أصوات المدّ لدى الفراء (ت ٢٠٨هـ)
١٧٥ ب - أصوات المدّ لدى سيبويه (ث ١٨١هـ)
١٨٩ II. الحركة والحرف عند السهيلي
١٨٩ ١. تعريف الحركة
١٧٩ ٢. تعريف الضمة
١٨٠ ٣. تعريف الفتحة
١٨٠ ٤. تعريف الكسرة

١٨١	٥	تعريف السكون
١٨٢	٦	رأيه في بعض الحروف التي ذكرها في كتابه
١٨٤	٧	قول السهيلي في طول صوت المدّ
١٨٥	٨	بعض آراءه المتفرعة
١٨٨	III	دراسة آراء السهيلي في ضوء علم اللّغة الحديث
١٨٨	١	المقطع الصوتي
١٨٩	٢	الحركات
١٩٤	٣	طول صوت المدّ
١٩٥	٤	مفهوم الحركة والسكون عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح
١٩٩		خاتمة
٢٠٩		قائمة المصادر والمراجع
٢١٥		فهرس